جامعة الملك سعود
King Saud University

مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
King Salman's Center

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها

الحجاز في الرحلات الحجية الجزائرية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين/ السابع عشر والثامن عشر الميلاديين

أ.د. ناصر الدين سعيدوني

مشاهدات المغاربة في رحلاتهم إلى الحرمين الشريفين عن الحركة العلمية خلال القرن ١٢هـ /١٨م

أ.د. بنعيسى أحمد بويوزان

إمارة الأمير القاسم بن الحسن بن علي بن طرف في مخلاف عثر في ضوء دينار المضروب في بيش سنة ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م.

د. نايف بن عبدالله الشرعان

الموارد المائية بالحجاز من خلال رحلة الحج المغربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين

د. الغالي بنهشوم

المراجعات:

- ندوة "اليمن: الحضارة والتاريخ (٢٤-٢٥ أبريل ٢٠٢٤م)"
  د. صلاح سلطان عبده الحسيني
- كتاب "الإبـــل (عطـــايا الله)"
  د. محمود عبد الباسط

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها

دورية علمية محكمة

تصدر عن

مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها

جامعة الملك سعود

المجلد الثاني – العدد (٢)

رمضان، ١٤٤٦هـ/ مارس، ٢٠٢٥م

https://shcajournal.ksu.edu.sa/ar

shcajournal@ksu.edu.sa

المشرف العام

أ.د. عبدالله بن سلمان السلمان

رئيس جامعة الملك سعود المكلف

نائب المشرف العام

أ.د. نايف بن ثنيان بن محمد آل سعود

المشرف العام على مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها

الهيئة الاستشارية

أ.د.جون هيلي جامعة مانشستر	**أ.د. أحمد آل فائع** جامعة الملك خالد	**أ.د. محمد الكحلاوي** جامعة القاهرة	**أ.د. سعد عبود سمار** جامعة واسط
أ.د. ليلى نعمة جامعة السوربون	**أ.د. أحمد بوشرب** جامعة الحسن الثاني	**أ.د. موضي عبدالله السرحان** جامعة الملك سعود	

رئيس التحرير

أ.د. سليمان بن عبدالرحمن الذييب

هيئة التحرير

أ.د. خالد بن عبدالكريم البكر
جامعة الملك سعود

أ.د. عبدالرحمن بن عبدالله الأحمري
جامعة الملك سعود

أ.د. أحمد محمود أمين
جامعة الفيوم

أ.د. أحمد الجلاد
جامعة أوهايو

مدير التحرير

د. أحمد محمد عطوه عبدالحميد

السكرتارية والإخراج

محمد بن سمير عبدالله

عبدالرحمن بن موسى الجديد

سعود بن محمد التميمي

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها

دورية علمية محكمة نصف سنوية متخصصة في دراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها على مر العصور، تصدر في شهري (أكتوبر– مارس) عن مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها بجامعة الملك سعود تحت اسم "مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها". وتُعنى بنشر البحوث، والدراسات، ومراجعات الكتب، وملخصات الرسائل العلمية، باللغتين العربية والإنجليزية.

الـرؤيـــة

تتطلع المجلة أن تكون عالمية مفهرسة يمكن الوصول إليها إلكترونيًا، ورائدة في ميدان نشر البحوث في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها. فضلًا عن سعيها إلى نشر دراسات نقدية لأحدث الإصدارات العربية والعالمية عن تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها.

الـرسـالة

تسعى المجلة لتصبح مرجعًا علميًّا للباحثين وطلبة العلم في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، لتزويدهم بالمعارف والمهارات، انطلاقًا من الثقافة العربية والإسلامية والتراث الإنساني.

الأهـداف

- نشر البحوث والدراسات التاريخية والحضارية المحكّمة في ميدان تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها.
- التطلع إلى مشاركة الباحثين وطلاب الدراسات العليا، وحثهم على مزيد من التجويد والتدقيق في أبحاثهم المتعلقة بتاريخ الجزيرة العربية وحضارتها.
- استقطاب الباحثين في مجال الدراسات التاريخية والحضارية للجزيرة العربية.

للتواصل والمراسلة

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها

ص.ب: ٢٤٥٦- الرياض: ١١٤٥١

مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
جامعة الملك سعود – الرياض – المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٩٨٥٣٩ -٠١١

فاكس: ٤٦٧٥٥١٦-٠١١

البريد الإلكتروني: shcajournal@ksu.edu.sa

الموقع الإلكتروني: https://shcajournal.ksu.edu.sa/ar

رقم الإيداع (ورقي): 1443/9173

رقم الرمد (ورقي): 1658-9270

رقم الإيداع (النشر الإلكتروني): 1445/2699

رقم الردمد (النشر الإلكتروني):1658-9831

© مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، ١٤٤٦هـ (٢٠٢٥م)

جميع حقوق النشر محفوظة. لا يسمح بإعادة نشر أي جزء من المجلة أو نسخه بأي شكل وبأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو آلية بما في ذلك التصوير والتسجيل أو الإدخال في أي نظام حفظ معلومات أو استعادتها بدون الحصول على موافقة كتابية من مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية بجامعة الملك سعود.

قواعد النشر

الضوابط العامة وإجراءات النشر:

١. تنشر المجلة البحوث التي لم يسبق نشرها، بالعربية أو بالإنجليزية، في حقل تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها.
٢. أن تتسم البحوث بالموضوعية والتنظيم المترابط وعدم استخدام الضمائر الشخصية قدر المستطاع.
٣. الالتزام بالمنهج العلمي وتوخي الجدة والأصالة في الكتابة وسلامة الأسلوب وتنظيم الحقائق والأفكار.
٤. التقيد بأصول البحث العلمي بعرض الحقائق وتقدير وجهات نظر الآخرين.
٥. التقيد بالأمانة العلمية وألا يحتوي البحث على أي سرقة علمية أو انتهاك للملكية الفكرية.
٦. دعم الموضوع بالصور والخرائط والوثائق كلما أمكن ذلك.
٧. ضبط أسماء المواقع والأعلام بدقة والتعريف بها وتوثيقها في الهامش.
٨. منهج التوثيق المعتمد في المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA)، ويشمل ذلك التوثيق داخل النص وفي قائمة المصادر والمراجع.
٩. لايتجاوز عدد كلمات البحث (١٠ آلاف كلمة) بما فيها الملخصين العربي والإنجليزي، والكلمات المفتاحية، وقائمة المصادر والمراجع، والملاحق.
١٠. يرفق مع العمل ملخص باللغتين العربية والإنجليزية في حدود (٢٠٠) كلمة.
١١. يتضمن ملخص البحث (٥ كلمات مفتاحية) تعبر عن موضوع البحث والقضايا الرئيسة التي تناولها.
١٢. تكتب بيانات الباحث/ الباحثين (الاسم، الرتبة العلمية، التخصص، المؤسسة التعليمية، عنوان المراسلة، البريد الإلكتروني، ورقم الجوال) باللغتين العربية والإنجليزية.

١٣. لا يجوز أن يُصرَّح باسم الباحث/ الباحثين في متن البحث أو هوامشه.
١٤. يعد إرسال الباحث بحثه تعهدًا منه بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه لم يقدم للنشر في جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه في المجلة.
١٥. تقوم هيئة التحرير بفحص أولي للأبحاث لتقرير مدى صلاحيتها لاستكمال إجراءات التحكيم.
١٦. تخضع جميع الأبحاث بعد إجازتها الأولية من هيئة التحرير للتحكيم العلمي على نحو سري مزدوج.
١٧. يرسل البحث إلى اثنين من المحكمين المتخصصين في موضوعه فإن اختلف رأيهما، أُرسل إلى ثالث ويكون رأيه حاسمًا.
١٨. الأبحاث التي يشترط المحكمون قبولها بعد إجراء التعديلات عليها تعاد لأصحابها لإجراء التعديلات على ألا يتأخر الباحث في إرسال النسخة المعدلة عن أسبوعين من تاريخ الإرسال.
١٩. الأبحاث المقبولة للنشر في المجلة لا يجوز نشرها في أي منفذ نشر آخر، ورقي أو إلكتروني، دون أخذ موافقة خطية من رئيس هيئة التحرير.

اللغة والأسلوب:

١. التقيد بالأسلوب العلمي (عرضًا وتوثيقًا) بعيدًا عن العاطفة والإطناب الممل أو الإيجاز المخل.
٢. اعتماد الوضوح وتحري الدقة والصياغة الجيدة للأفكار والمفاهيم.
٣. معالجة الموضوعات وعناصرها بصورة تتسم بالتغطية الشاملة.
٤. العمل على التناسب والتوازن بين عناصر الموضوع.
٥. مراعاة أصول التحرير العلمي من سلامة اللغة وقواعد الإملاء وعلامات الترقيم والتنقيط.

تنسيق الصفحات:

١. حجم الصفحة A4.
٢. هوامش الصفحة: (٢,٥سم) لليمن واليسار و(٣,٥سم) من أعلى الصفحة وأسفلها.
٣. حجم الخط للمتن (١٤) بخط Lotus Linotype
٤. حجم الخط للعناوين (١٤) بخط ثقيل Lotus Linotype
٥. حجم الخط لعناوين الأشكال والجداول والصور (١٢) بخط ثقيل Lotus Linotype
٦. حجم الخط للتعليقات (١٢) بخط Lotus Linotype
٧. حجم الخط لمحتوى الجداول (١٢) بخط Lotus Linotype
٨. حجم الخط للمتن بلغة غير عربية (١٠) بخط Times New Roman
٩. حجم الخط للهامش بلغة غير عربية (٨) بخط Times New Roman

آلية إرسال الأبحاث:

- ترسل الأبحاث إلى البريد الإلكتروني للمجلة (shcajournal@ksu.edu.sa) بعد التأكد من التقيّد بشروط تسليم البحث وضوابط تحريره.
- أوقات العمل: تعمل المجلة على استقبال البحوث العلمية على مدار العام.
- لغة النشر: تستقبل المجلة الأبحاث المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية، مع وجوب الالتزام بسلامة اللغة والصياغة.

إرشادات التقديم:

- يتم إرسال نسختان من البحث العلمي، واحدة بصيغة (Word) وأخرى بصيغة (Pdf).

- تضمين الرسالة المرسلة على البريد الإلكتروني بالمرفقات الآتية:

١. خطاب موجه إلى رئيس هيئة تحرير المجلة ويتضمن أهمية البحث وفرضيته وارتباطه بأهداف المجلة ورؤيتها.

٢. ملخص للبحث العلمي بكل من اللغة العربية واللغة الإنجليزية في حدود (٢٠٠) كلمة، مضمنًا (٥) كلمات مفتاحية.

٣. السيرة الذاتية للباحث الرئيس وللباحث المشارك (إن وجد).

٤. نموذج إقرار نشر بحث بعد تعبئته واعتماده، وفي حال وجود أكثر من باحث، يقوم كل باحث بتعبئة الإقرار واعتماده منفردًا.

المحتويات

أبحاث العدد:

- **الحجاز في الرحلات الحجيّة الجزائرية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين/ السابع عشر والثامن عشر الميلاديين.**

أ.د.ناصر الدين سعيدوني.....١

- **مشاهدات المغاربة في رحلاتهم إلى الحرمين الشريفين عن الحركة العلمية خلال القرن ١٢هـ/ ١٨م.**

أ.د. بنعيسى أحمد بويوزان.....٥٧

- **إمارة الأمير القاسم بن الحسن بن علي بن طرف في مخلاف عثر في ضوء دينار ه المضروب في بيش سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤١م.**

د. نايف بن عبدالله الشرعان.....٩١

- **الموارد المائية بالحجاز من خلال رحلة الحج المغربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين.**

د. الغالي بنهشوم.....١١٩

المراجعات:

- **ندوة: "اليمن الحضارة والتاريخ (٢٤-٢٥ أبريل ٢٠٢٤م)".**

د. صلاح سلطان عبده الحسيني.....١٤٩

- **كتاب: "الإبل (عطـايا الله)".**

د. محمود عبد الباسط ١٥٧

جامعة الملك سعود
مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها (HSCA)
ردمد (ورقي): ٩٢٧٠-١٦٥٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٩٨٣١-١٦٥٨

King Saud University
King Salman's Center For Historical
and Civilization Studies Of Arabian Peninsula
Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia (HSCA)
ISSN: 1658-9270
EISSN: 1658-9831

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، مج(٢)، ع٢، ص ص ١-٥٥، جامعة الملك سعود، الرياض (١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م)
Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia, Vol. 2, (2), pp 1-55 , King Saud University, Riyadh (1446H / 2025)

الحجاز في الرحلات الحجية الجزائرية

خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين/ السابع عشر والثامن عشر الميلاديين

أ.د. ناصر الدين سعيدوني
جامعة الجزائر الأولى، الجزائر
nsaidouni@yahoo.fr
(قُدِّم للنشر في ١٨/ ٠٣/ ١٤٤٦هـ، وقُبِل للنشر في ١٦/ ٠٦/ ١٤٤٦هـ)

الملخص:

يتناول البحث الرحلات الحجية الجزائرية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، ببعدها الروحي، وأثرها الثقافي، ودلالاتها الاجتماعية، ومؤشراتها الاقتصادية، باعتبارها مصادر تاريخية مهمة لرسم صورة عن الحجاز خلال فترة الحكم العثماني. كما يحاول البحث إبراز الرصيد المعرفي الذي توفره هذه الرحلات التي تُعد حلقة مهمة في سلسلة الرحلات الـمُشكّلة لتراث الرحلة الأندلسي والمغاربي، بحيث تكمل ما تضمنته من معلومات الرحلات المغاربية الأخرى ومصنفات المسالك والجغرافية الوصفية.

تتم مقاربة الموضوع من خلال خمسة محاور رئيسية، هي: التعريف برحلة الحج وانتظام ركب الحجاج الجزائريين؛ وعرض رصيد أهم الرحلات الحجية الجزائرية؛ ورسم صورة لأوضاع الحجاز السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال محتوى أهم الرحلات الحجية الجزائرية؛ وتقديم وصف طوبوغرافي وعمراني لمسلك الحجاج الجزائريين بالحجاز كما يُستخلص من هذه الرحلات؛ وأخيرا إبراز الروابط الروحية والتفاعل الثقافي بين الحجاز والجزائر.

من خلال هذه المحاور يسعى البحث إلى استغلال المضمون المعرفي والدلالات الأدبية والنفسية للرحلات الحجية الجزائرية في أبعادها الروحية والثقافية والاجتماعية والأنثروبولوجية والاقتصادية، كمظهر تراثي جزائري مميّز في الفضاء الشاسع للذاكرة التاريخية للمجتمعات العربية والإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الرحلات الحجية، الجزائر، الحجاز، الفترة العثمانية، ركب الحج

Hijaz on Algerian pilgrimage narratives during 11-12th centuries AH / 17-18th centuries AD

Prof. Nasser Al-Din Saidouni
University of Algeria 1, Algeria
nsaidouni@yahoo.fr

(Received: 18/ 3/ 1446 H; Accepted for publication: 16/ 6/ 1446 H)

Abstract:

The paper addresses the content of Algerian pilgrimage narratives during the 11-12th centuries AH/17-18th centuries AD, as important historical sources. It explores their spiritual dimension, cultural impact, social connotations and economic indicators, with the aim to paint a picture of Hijaz during the Ottoman period. The research also seeks to highlight these narratives as a body of knowledge complementing other Maghribi and Andalusian pilgrimage narratives.

The subject is approached through five main themes, namely: the organization of Algerian pilgrimage trips; the presentation of the most important pilgrimage trips narratives; the drawing of a picture of the political, social and economic conditions of Hijaz through the information contained in these narratives; the sketching of a topographic and physical description of Hijaz in these narratives; and the highlighting of the spiritual links and cultural interactions between Hijaz and Algeria.

Through these themes, the research seeks to explore the literary and psychological aspects of Algerian pilgrimage narratives in their spiritual and cultural dimensions, social and anthropological connotations and economic indicators, as a distinct manifestation of Algerian heritage in the broad spectrum of Arab and Islamic written heritage.

Keywords: Pilgrimage narratives, Algeria, Hijaz, Ottoman Period, Pilgrimage trip.

المقدمة:

كان لأقطار المغرب العربي نصيب وافر من التراث المعرفي والرصيد التاريخي العربي الإسلامي، وقد كان للرحلات الحجية إسهام كبير فيه لما تضمنته من معلومات تاريخية مهمة، فكانت موضوع دراسات وبحوث عدّة ركز أغلبها على رحلات الأندلس والمغرب الأقصى لكثرتها وغنى مضامينها، في حين ظل حظ الجزائر من تلك الدراسات والبحوث محدودا وغير معروف، إذ ظلت أغلب الرحلات الحجية الجزائرية تفتقر إلى دراسة تحليلية معمقة ومعالجة تركيبية بنائية تسمح باستغلال مضمونها المعرفي ورصيدها الإثنوغرافي، رغم اهتمام العديد من الباحثين بها ومحاولتهم التعريف بأصحابها والإشارة إلى محتواها، من قبيل أبحاث أبو القاسم سعد الله حول الرحلات الحجازية الجزائرية خلال العهد العثماني، وخاصة ما تضمنته موسوعته "تاريخ الجزائر الثقافي" (سعد الله، ١٩٩٨، ج ٢، ص ٣١٩ – ٣٩٨)؛ وكذلك ما حققه محمد بن أبي شنب من الرحلات الجزائرية، وما كتبه أبو القاسم محمد الحفناوي في كتابه تعريف الخلف برجال السلف، وما نشره محمد بكوشة ورابح بونار وخير الدين شترة ومحمد بن معمر وحاج صادوق وغيرهم من تحقيقات وبحوث. وسوف يثبت بعض هذه الأعمال كمصادر للبحث عند الرجوع إليها.

وقد دفعنا النقص الملاحظ في التحليل إلى محاولة التعريف بالإسهام الجزائري وعرض بعض مميزاته، خاصة ما يتصل منه بالبعد الروحي والأثر الثقافي والدلالات الاجتماعية والمؤشرات الاقتصادية، من منطلق أن دراسة هذه الرحلات دراسة تحليلية نقدية تمكن الباحث من تكوين صورة عن الحجاز في الفترة العثمانية، وخاصة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة/ السابع عشر والثامن العشر الميلاديين. لا زالت الرحلات الحجية الجزائرية خلال هذين القرنين إلى دراسة شاملة من قبيل ما أنجزته الباحثة عواطف نواب حول كتب الرحلات في المغرب الأقصى خلال هذين القرنين (نواب، ٢٠٠٨، ص ٣٩ – ٩٦)، بحيث يكون هذ العمل خطوة من أجل الإلمام بالرحلات الحجية المغاربية.

اعتمادًا على المعلومات المتضمنة في أهم الرحلات الحجية الجزائرية خلال هذين القرنين، سوف تركز إشكالية البحث على إظهار بعض جوانب الحياة السياسية والحضارية ورسم بعض ملامح الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية ببلاد الحجاز آنذاك، فضلا على إبراز بعض خصائصها الطوبوغرافية والطوبونيمية كما تُستشف من هذه الرحلات، مع إبراز العلاقة الوثيقة بين البلاد الجزائرية والبلاد المغاربية عموما ببلاد الحجاز والتي كانت رحلة الحج فيها بمثابة قناة تواصل وتفاعل بين فضاءين بعيدين عن بعضهما جغرافيا، لكنهما كانا مرتبطين ارتباطا روحيا وحضاريا متينا.

إن تلمس أوضاع الحجاز اعتمادا على الرصيد المعرفي الذي توفره الرحلات الجزائرية يمكّن من استكمال المعلومات المتضمنة في الرحلات المغاربية الأخرى، فهذا الرصيد يشكل في حد ذاته إضافة مثرية ويسمح بمقاربة مستجدة للمواصفات الطوبوغرافية والحياة الاجتماعية والاقتصادية، كما يُبرز الترابط الروحي والتواصل المعرفي بين الجزائر وأرض الحرمين الشريفين. وهذا ما نحاول معالجته من خلال المباحث الخمسة التالية، قبل استخلاص استنتاجات في الموضوع ضمن خاتمة البحث:

أولًا: رحلة الحج وانتظام ركب الحجاج الجزائريين.

ثانيًا: رصيد الرحلات الحجية الجزائرية والتعريف بأهمها.

ثالثًا: أوضاع الحجاز السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الرصيد المعرفي للرحلات الحجية الجزائرية.

رابعًا: الوصف الطوبوغرافي والعمراني لمسلك الحجاج الجزائريين بالحجاز حسب الرحلات الحجية الجزائرية.

خامسًا: الروابط الروحية والتفاعل الثقافي بين الحجاز والجزائر من خلال الرحلات الحجية الجزائرية.

أولا: رحلة الحج الجزائرية وانتظام ركب الحجاج الجزائريين

تشكل رحلة الحج أحد مظاهر التواصل البشري والترابط الروحي والتفاعل الثقافي بين بلاد الحرمين الشريفين وأقطار المغرب العربي، ومنها البلاد الجزائرية؛ فبعد أن كانت رحلة الحج في الفترات الإسلامية السابقة للعهد العثماني تندرج ضمن مسعى أداء فريضة الحج وزيارة الحرمين الشريفين، تنتقل أثناءها جموع الحجاج المغاربة، ومنهم الجزائريون، برا وبحرا للحجاز، بتشجيع ومبادرة من الحكام المحليين وبرعاية من المجتمعات الأهلية، بدأت منذ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي تنتظم بفعل مبادرات شخصية[1] (الماجري، ٢٠١٣، ص٦٢٧ – ٦٢٨؛ ماكامان، ٢٠١٤، ص١٣٣)، في شكل قوافل تتوفر فيها شروط السفر والأمن، خاصة في عهد الحفصيين والزيانيين والمرينيين، ولم تلبث أن اتخذت رحلة الحج شكل ركب منظم لجموع الحجاج، وغدت مع مرور الوقت تقليدا سنويا متبعا في مختلف مناطق بلاد المغرب العربي، فعُرفت بركب حجيج المنطقة التي تخرج منها، فهناك ركب الحج الفاسي، والمراكشي، والسجلماسي (تافلالت)، والدرعي، والشنقيطي، والتونسي، والجزائري (ماكامان، ٢٠١٤، ص ١٣٣؛ عمالك، ص ٦٣ – ٦٥).

وقد حظي ركب الحجاج الجزائريين باهتمام الحكام العثمانيين (البايلربايات ومن بعدهم الباشوات)، قبل أن يوليه الدايات[2] اهتماما ورعاية خاصة بعد استقرار سلطتهم في القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر الميلادي، إذ وجدوا في تنظيم الركب والإشراف

(١) يُرجح أن أول من وضع أسس ركب الحج بالمغرب العربي هو أبو محمد صالح الماجري دفين آسفي (٦٣١هـ/ ١٢٣٣م) لمساعدة الحجاج المغاربة في رحلتهم الحجية، وتولى أبناؤه وحفدته الإشراف على أمور الركب ومنهم ابنه عبد العزيز الذي أقام بمصر للاعتناء بأمور الركب. وحسبما يُفهم من سياق الرحلات فإن ركاب الحج كانت تتسع أو تتقلص حسب الظروف، فالركب القسنطيني الذي كانت تشرف عليه عائلة الفكون أصبح جزءًا من الركب الرسمي الجزائري، كما أن الركب السجلماسي انفصل عنه الركب الناصري الدرعي (سنة ١٠٧٠ هـ/ ١٦٥٩ م).

(٢) البايلربايات: لقب حكام الجزائر العثمانية في الفترة الأولى من الحكم العثماني (١٥١٨ – ١٥٨٧م)، ومن بعدهم حمل حكام الجزائر العثمانية لقب "الباشوات (١٥٨٨–١٦٥٩م)، ثم خلفهم الآغوات (١٦٥٩– ١٦٧١م)، وأخيرًا الدايات (١٦٧١ – ١٨٣٠م).

عليه ما يؤكد شرعيتهم وصلتهم بالسكان، ويعمّق تواصل الجزائر مع الأقطار العربية الأخرى الخاضعة للسلطنة العثمانية.

كان ركب الحج الجزائري يتبع طريق البحر من الجزائر إلى الإسكندرية أو المسلك البري عبر مناطق الشرق الجزائري (الهضاب العليا والزيبان) نحو الجريد[1] (الجنوب التونسي)، ومن ثم يساير ساحل طرابلس الغرب وبرقة[2] وصولا إلى الإسكندرية التي عادة ما يجتمع فيها الحجاج الجزائريون القادمون برا وبحرا، فيدخلونها من باب السدرة، ويحطون رحالهم بزاوية أبي محمد صالح وجوارها (سعيدوني، ٢٠٠٨، ص١٦٦)، ومنها يتوجهون إلى القاهرة، وينضمون إلى الركب المصري المكلف بالمحمل مع غيرهم من حجاج المغرب الأقصى وتونس وطرابلس وفزّان،[3] مع محافظتهم على تنظيم خاص بهم أسوة بأفواج الحجيج الأخرى (سليم، ١٩٩٣، ص ٨٨ – ١٠٦).[4]

وكان الإعلان عن قافلة الحجيج الجزائري التي تؤلف ركب الحج الجزائري يتم أشهرا عديدة قبل انطلاق الركب، فينادي المنادون للسفر للحج في القرى والمدن، ليجتمع الراغبون في الحج (Hadj-Sadok, 1951, p 340). وهذا ما يؤكده ما ذكر الرحالة الورثلاني من أن زاويته استقبلت ثلاثمائة حاج من منطقة زواوة (القبائل) قاصدين التوجه إلى تونس

(١) الجريد: منطقة تقع جنوب غرب القطر التونسي، تُعرف بواحات النخيل، تنتظم حول شط الجريد، وهو سبخة تمتد على مسافة ١٢٠ كلم من الشرق إلى الغرب في الصحراء التونسية.

(٢) طرابلس الغرب نسبة إلى مدينة طرابلس وهي التسمية القديمة للغرب الليبي حاليا، أما برقة فهي التسمية القديمة للمنطقة الشرقية لليبيا (عاصمتها بنغازي).

(٣) فزّان هي المنطقة الجنوبية الغربية للقطر الليبي، كل أراضيها صحراء تتخللها جبال صخرية قاحلة، عاصمتها مدينة سبها.

(٤) ظل ركب الحج الجزائري تنظيما قائما بذاته بعد أن أولاه حكام الجزائر عنايتهم، ووفروا له إمكانية السفر برا وبحرا إلى مصر، وحمّلوه صرة الحرمين وهدايا الأشراف والأعطيات الموجهة للعلماء والفقراء في القرن الحادي عشر والثاني عشر للهجرة/ السابع عشر والثامن عشر الميلاديين. للتعرف بصفة إجمالية على المحمل وطريقه وإمارة الحج وواجبات ووظائف أمير الحج وأمور الصرة.

للسفر منها بحرا أو السير مع الركب برا تحت رئاسة شيخ الركب سيدي محمد المسعودي بن الموهوب (بوسعيد، ٢٠٢٢، ص٨٣-٨٤)[١] من مدوكال بمنطقة الحضنة (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٥).

أما في مدينة الجزائر، مركز الحكم، فكانت جموع الحجاج تنطلق عادة أشهرا قبل بداية موسم الحج، فقد ذكر الفرنسي سيور دو روكفيل (Sieur de Rocqueville) الذي كان أسيرا بالجزائر، والذي صدرت مذكراته أول مرة عام ١٠٨٦هـ/ ١٦٧٥م)، أن ركب الحج الجزائري في القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر الميلادي كان يضم ١٥,٠٠٠ حاج و٨٠٠ جمل، ويتولى أمره أمير الركب الذي يحف به ٢٠٠ حاج من الموظفين الأتراك والأشراف والأعيان الذين كانوا يركبون الخيل (Rocqueville, 1775, p 56-57).

ولا شك في أن هذا العدد الكبير من الحجاج والجمال تشكله قوافل الحجاج القادمة من الجهات الداخلية والأقاليم الجنوبية إلى مدينة الجزائر التي ينطلق منها الركب، فبعض المصادر تؤكد أن عدد ركب الحج المنطلق من مدينة الجزائر لا يتجاوز مائتي حاج (Vallière, 1781, p 28)، وإنما يزداد هذا العدد بالتحاق الحجاج القادمين من تلمسان وقسنطينة وبلاد القبائل وإقليم الزيبان.[٢]

وقد تزايدت أهمية الركب وتأكدت مكانة أميره بفعل ارتفاع عوائد أوقاف الحرمين الشريفين بالمدن الجزائرية (سعيدوني، ٢٠١٣، ص١٧٥ - ١٨٢؛ Vallière, 1781, p31)،

(١) لا يُعرف الكثير عن سيرته، وهو من بلدة مدوكال من منطقة الحضنة وسط شرق القطر الجزائري، كان أمير ركب الحج في النصف الثاني من القرن ١٢هـ/ ١٨م، ينتمي إلى أسرة آل المسعود (المسعودي)، وهو بيت اعتاد إمارة الركب الجزائري في العهد العثماني على غرار آل الفكون، وقد ذكرهم أبو سالم العياشي في رحلته (١٠٧٢هـ/ ١٦٦٢م).

(٢) تلمسان: من أهم مدن شمال غرب القطر الجزائري، كان لها دور حضاري بارز في العهود الإسلامية؛ قسنطينة: حاضرة الشرق الجزائري ومركزه الحضاري والروحي؛ بلاد القبائل: أو بلاد زواوة تقع شرق مدينة الجزائر في منطقة جرجرة الجبلية وتمتد شرقا إلى ما وراء وادي الصومام؛ الزيبان: منطقة تقع شمال الصحراء الجزائرية الشرقية، اشتهر بواحات النخيل وإنتاجها من التمور، أهمها مدنها مدينة بسكرة.

وتحول ما يُعرف بـ"الصرة" إلى وسيلة تواصل رسمي بين الجزائر والحرمين الشريفين (الزهار، ١٩٧٤، ص١٤٤؛ سعد الله، ٢٠٠٩، ص٣٧؛ Saidouni, 2007, p174-179)،[1] وهذا ما أضفى على أمير الركب مكانة الموظف السامي، فهو يحمل معه خطابا رسميا من باشا الجزائر (الداي) يحدد مهامه ويؤكد صلاحياته ويخول له القيام بمهمته في الحجاز.[2] وقد استمر هذا التقليد ساريا حتى الاحتلال الفرنسي للجزائر (١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م) الذي وضع حدا له، وسعى لإلغاء رحلة الحج، قبل أن يوقفها بحجة المحافظة على الأمن، ووجب انتظار بداية القرن الرابع عشر الهجري/ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ليُسمح مجددا بأداء أعداد محدودة من الحجاج الجزائريين (١٢٥٣ حاجا جزائريا) لفريضة الحج في ١٣٠٩-١٣١٠هـ/ ١٨٩٣ - ١٨٩٤م) (ريزفان، ١٩٩٣م، ص٢١). هذا ولم تتوقف عراقيل الإدارة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر بهدف قطع صلة الجزائريين بالحرمين من خلال تحديد

(١) حرص أمير ركب الحج الجزائري على حمل الصرة الخاصة بأوقاف الحرمين الشريفين بالجزائر، وكان ذلك تقليدا مرتبطا بالمحمل الرسمي على غرار المحمل الشامي والمصري، وهي في أساسها أعطيات للأشراف والعلماء والمجاورين، وقد تُصرف منها مبالغ لشراء رضا البدو لتأمين الطريق، لكنها من الراجح أنها لا ترقى إلى مستوى الصرة السلطانية التي يتكفل بها أمين الصرة بإستانبول والتي اكتست مظاهر رسمية وكانت مناسبة لاحتفالات شعبية، بينما ظلت الصرة إجراء رسميا يعتمد أساسا هدايا الحرمين المخصصة لبيت المال أو التي تعود إلى أوقاف الحرمين، يُكلف بها أمير الركب المعروف بأمين بيت المال (بيت المالجي).

(٢) جرت العادة أن يُختار امير ركب الحج الجزائري من بين الموظفين المهمين وأن يُزوّد بخطاب رسمي يحدد صلاحياته ويؤكد مكانته ويخول له تمثيل باشا الجزائر في الحجاز ويعرف عادة بأمين بيت المال (بيت المالجي).

ويتضمن الأرشيف الجزائري الذي يعود إلى العهد العثماني العديد من خطابات توكيل لمن كلف بإمارة الركب، نثبت هنا على سبيل المثال نص أحد التوكيلات مترجما من التركية إلى العربية: "لقد تم تحرير هذا الكتاب حسب القانون المعمول به في الأوجاق (ديوان الجزائر) بتاريخ سنة ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٥م لأداء فريضة الحج وزيارة بيت الله الحرام وروضة حضرة سيد الأنام صلى الله عليه وسلّم حبا في زيارة الحرمين الشريفين... فالذين يعودون إلى الجزائر يتسلمون ما تركوا لدى بيت المال والذين يتوفون توصل وصيتهم لورثتهم، ويمنع منعا باتا على أي شخص التدخل في شأن من شؤونه أو التعرض له في عمله بمقتضى الأمر الوارد فيها.": الأرشيف الوطني الجزائري، الوثائق العثمانية، ميكروفيلم رقم MI 15، شريط (bobine) ٥٣ / ٤٣٣ (الوثيقة بإمضاء حسن باشا والي محروسة جزائر غرب).

أعدادهم، فلم يتمكن من أداء الحج سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٩م سوى ٢٠٠ جزائري (ريزفان، ١٩٩٣، ص٢١). على أن هذه الجهود لم تنجح في التأثير على عمق صلات الجزائريين بإخوانهم بالمشرق، ولا سيما بالحجاز، فكانوا يحرصون على أداء الفريضة رغم الظروف القاسية جدا التي كانت تواجههم.

ثانيا: رصيد الرحلات الحجية الجزائرية والتعريف بأهمها

سمح ركب الحج الجزائري للعديد من الجزائريين بأداء فريضة الحج خلال العهد العثماني، منهم الموظفون الرسميون والأعيان وذوو المكانة الاجتماعية، وبعضهم من ذوي المنزلة العلمية والأدبية، فضلا عن كثير من العامة. وقد حرص بعض الحجاج والفقهاء والكتاب والشعراء على تسجيل ما لاحظوه في رحلاتهم الحجية، وقد أمكن لنا رصد حوالي خمسة وعشرين رحلة حجية جزائرية تشمل فترة تمتد من أواسط القرن الحادي عشر إلى منتصف القرن الثالث عشر للهجرة/ القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر الميلاديين، ويعود أغلبها إلى القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة/ السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، حسبما هو مثبت في الجدول التالي (سعد الله، ١٩٩٨، ص٣٧٦- ٣٩٨؛ سعيدوني، ٢٠١٦، ص٧-٤٤؛ سعيدوني، ٢٠١٣ب، ص٧٥٠؛ الحفناوي،١٩٨٢، ص١٢٩ – ١٤٧؛ شترة، ٢٠١٥، ص ص٢٦٢ – ٢٦٣؛ ابن سودة، ١٩٦٠، ص١٣ -٤٣):

جدول بالرحلات الحجية الجزائرية في الفترة العثمانية

(ق. ١١ – ١٢ – ١٣ للهجرة/ ١٧ – ١٨ – ١٩ م):

تاريخ وفاة صاحب الرحلة	صاحب الرحلة	عنوان الرحلة	ملاحظة عن الرحلة
١٠٤١هـ/ ١٦٣١م	شهاب الدين أبو العباس المقري	رحلة إلى المغرب والمشرق	في شكل مراسلات وتقاييد
١٠٤٢ هـ/ ١٦٣٢م	محمد بن عبد الكريم بن امحمّد التمنطيطي التواتي	تحفة الحجاز في معالم أرض الحجاز	مقدمتها في فضائل الحج وأدب المسافر، ضمنها المزارات ومشاهد الطريق
بعد ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م	عاشور بن موسى القسنطيني	رحلة منظومة	جاور وتوفي بالحجاز بعد

	(المعروف بالفُكيرين)	تناقلها طلبته	١٠٧٤ هـ
١٠٨٠ هـ/ ١٦٦٩م	أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي	كنز الرواية	ضمن مجموع درر الجمان، جاور وتوفي بالحجاز
بعد ١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م	أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني	رحلة منظومة تعرف بالعقيقة	قصيدة من الشعر الملحون وضعها في ٣٠٣ بيت
بعد ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م	محمد بن التريكي التلمساني	رحلة منظومة	وضعها بالشعر الملحون، وهي مفقودة. جاور مؤلفها بالحرمين
١١٣٩ هـ/ ١٧٢٦م	أبو العباس أحمد بن بلقاسم الساسي البوني	الروضة الشهية في الرحلة الحجازية	غير مكتملة، نصها مفقود
بعد ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م	محمد بن محمد بن منصور العامري التلمساني	رحلة حجية منظومة	قصيدة همزية كتبها عام ١١٥٢ هـ، بدأها: أزمع السير إذا دهت أدواء** لشفيع الأنام فهو الدواء جاور مؤلفها بالحرمين.
بعد ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م	عبد الرحمن بن محمد بن خرّوب المجاجي	رحلة حجية منظومة	منظومة فصيحة (١١٦٣هـ/ ١٧٥٠ م)، ذكر فيها مراحل الطريق من مجاجة (الجزائر) إلى مكة، مطلعها: نشق الفيافي فدفداً بعد فدْفد**جبالا وأوعارا وأرضا وطية.
١١٧٩ هـ/ ١٧٦٥ م	محمد بن قدور بن حواء المستغانمي	سبيكة العقيان	رحلة منظومة تناول فيها رحلته إلى الحجاز
بعد ١١٩٠ هـ/ ١٧٦٨م	أبو عبد الله محمد بن مسايب التلمساني	يا الورشان أقصد مكة	رحلة منظومة بالشعر الملحون في وصف مراحل الطريق ومشاهد الحجاز
١١٩٣ هـ/ ١٧٧٩ م	الحسين بن محمد السعيد الورثلاني	نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار	رحلة مكتملة، تعتبر أهم رحلة جزائرية في العهد العثماني

١١٩٤ هـ/ ١٧٨٠ م	عبد القادر بن محمد بن مبارك الراشدي القسنطيني	رحلة حجية	مفقودة
١١٩٩ هـ/ ١٧٨٤ م	مولاي محمد هاشم الشريف التواتي	رحلة حجية	رحلة كُتبت عام ١١١٣هـ/ ١٧٠٢م
نحو ١٢٢٠ هـ/ ١٧٨٥ م	عبد الرزاق بن محمد بن محمد بن حمادوش الجزائري	لسان المقال في النبإ عن الحسب والنسب والحال	ضاعت ولم يبق منها سوى الجزء المتعلق بالجزائر والمغرب الأقصى (١١٥٦ – ١١٦١هـ/ ١٧٤٣ – ١٧٤٨ م).
بعد ١٢٠٥ هـ/ ١٧٩١ م	أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمار الجزائري	نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب.	لم يصلنا منها سوى مقدمتها (طبعت في ٢٥٤ ص)
١٢١٥ هـ/ ١٨٠٠ م	محمد المصطفى بن عبد الله بن زرقة الدحاوي	الرحلة القمرية في السيرة المحمدية.	رحلة حجية تناول فيها كذلك فتح مدينة وهران.
توفي نحو ١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م– بدأ رحلته عام ١١٨٩ هـ/ ١٧٧٦م	عبد الرحمن بن إدريس بن عمر التنيلاني	رحلة حجازية	رحلة حجازية عبر الصحراء (نحو ١١٨٩ هـ/ ١٧٧٦ م). توفي المؤلف عند رجوعه من الحج في واحة سيوة (حوالي ١٢٣٤ هـ/ ١٨١٩ م)
لا يعرف تاريخ وفاته	عبد الله أحمد الفلاني (التواتي)	رحلة حجية	سافر إلى الحج مع شيخه عبد الرحمن بن عمر التنيلاني، كتب رحلته الحجية في شكل مذكرات يومية مختصرة
توفي في ١٢٧٨ هـ/ ١٨٢٣م – بدأ رحلته إلى المشرق عام ١٢٠٤ هـ/ ١٧٩٠ م	محمد بن أحمد بن عبد القادر المعروف بأبي راس الناصري المعسكري	في تعداد رحلتي عدتي ورحلتي	لم يصلنا منها سوى الجزء الذي ضمنه كتابه في سيرة حياته: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل الله ونعمته

هذا ويُستنتج من هذا الجدول أن الرحلات الحجية الجزائرية محل الدراسة تتميز باختلاف أسلوب كتابتها بين نثر ونظم وطريقة عرضها في شكل تقاييد وانطباعات شخصية، فضلا على أن الكثير منها تعرض للضياع كليا أو جزئيا، إلا أن ما بقي منها يظل

نظرا للمعلومات التي يتضمنها، مصدرا مهما لاستكمال المعطيات التاريخية المتوفرة عن أوجه الحياة بالحجاز وتلمس مدى عمق العلاقة بين القطر الجزائري والحرمين الشريفين، مما يسمح للدارسين برسم صورة أكثر اكتمالا عن أوضاع الحجاز في العهد العثماني.

وحتى نستفيد من المضمون المعرفي لهذه الرحلات في البحث، تحليلا واستقراءً، بهدف استخلاص دلالاتها المتعلقة بأوضاع الحجاز، فإننا آثرنا التركيز على التعريف بعيّنات منها، وهي:

١. رحلة شهاب الدين أبي العباس محمد بن محمد المقري التلمساني (ت. ١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م):

وُلد بتلمسان (٩٨٦ هـ/ ١٥٧٨م) ونشأ بها، عُرف بمعارفه الفقهية واللغوية، وانتقل إلى المغرب الأقصى عام ١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م، واستقر بفاس، ثم مراكش، واتصل بالسلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي، وتولى الوظيفة الديني لخلفه زيدان السعدي. وقد اضطرته الظروف السياسية إلى مغادرة المغرب الأقصى (١٠٢٧هـ/ ١٦١٧م)، فتحول إلى الجزائر ومنها إلى تونس فالإسكندرية، ليستقر به المقام بالقاهرة حيث التحق بجماعة علماء الأزهر (١٠٢٨هـ/ ١٦١٨م) (سعد الله، ١٩٩٨، ج٢، ص٣٤٠ – ٣٤٢، ٣٧٣ – ٣٧٦؛ سعيدوني، ٢٠١٣ ب، ص.٣٥٨ – ٣٦٧؛ عنان، ١٩٧٠، ص ٣٧٣ – ٣٨٧).

وقد ذكر المقري أسفاره إلى الحجاز حيث جاور هناك لبعض الوقت، بقوله: "بعد الحج والعمرة عدت إلى مصر وذلك في محرم ١٠٢٩ [١٦١٩ م]... وتكررت منها الذهاب إلى البقاع الطاهرة فدخلت لهذا التاريخ الذي هو عام تسع وثلاثون وألف مكة خمس مرات وحصلت لي بالمجاورة[1] فيها المرات" (المقري، ٢٠٠٤ أ، ص١٣ – ١٤).

أما رحلته الحجية التي تندرج ضمن موضوع البحث فعنوانها "رحلة إلى المغرب والمشرق"، وهي مجموعة تقاييد شخصية ورسائل خاصة ومعلومات أدبية تتعلق بأسفاره

(١) المجاور هو الذي يأتي إلى الحرمين ليعبد الله تعالى ويظفر بالصلاة فيهما، فهو ضيف بيت الله "المجاور له" بقصد المقام دون قصد الاعتكاف، لأن الاعتكاف غالبا يتقيد بمدة وشرائط بخلاف مطلق الإقامة.

ومراسلاته وعلاقاته بعلماء وحكام تواصل معهم، وخاصة منهم أمراء مكة وفقهاء الحرمين الشريفين، وهذا ما يضفي على رحلته أهمية في رصد الحياة الثقافية والعلاقات العلمية في الحجاز في القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر الميلادي، وقد ظلت مجهولة إلى أن تمكنت المكتبة الوطنية الجزائرية في فترة متأخرة (١٩٩٣ م) من الحصول على نسخة منها كانت في ملكية المستشرق الفرنسي جورج دولفان. (المقري، ٢٠٠٤ ب، ص٢٦١)

٢. رحلة أبي عبد الله محمد بن مسايب التلمساني (ت. حوالي ١١٩٠ هـ/ ١٧٦٨ م):

وُلد بتلمسان في عائلة حضرية ذات أصول أندلسية. اكتسب في صغره ثقافة عامة، وامتهن الحياكة ونسج الزرابي، ومال إلى تذوق الفن والإعجاب بالجمال، وعُرف بنظمه القصائد الغزلية. وقد اضطر إلى مغادرة موطنه تلمسان بعد أن تشبب بزوجة القائد التركي حاكم تلمسان، واستجار بأشراف عين الحوت، ومنها تحول إلى مكناس بالمغرب، قبل أن يتمكن من العودة إلى تلمسان بعد أن عفا عنه القائد التركي بوساطة من أخواله (سعيدوني، ٢٠١٣ ب، ص ٤٣٨ – ٤٤٥؛ Hamidou, 1936, p 1008-1046؛ Bencheneb, 1900, p 261-282).

ومع تقدمه في السن، تحول من حياة اللهو والاستمتاع بالحياة إلى عيشة الزهد والتصوف، فنظم قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلّم، مبديا فيها توبته وراجيا من الله العفو والمغفرة، منها قصيدته المشهورة "يا أهل الله أغيثوا الملهوف"، وقد بلغ عدد أبيات ما نظمه في حياته ٣٠٣٤ بيتا (ابن مسايب، ١٩٨٩، ص٩٠ – ٩٨). لكن ما أبقى ذكره حيّا بين ناظمي الرحلات الحجازية هو وصفه لرحلته الحجية (حوالي ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م) في قصيدة بالشعر العامي على نسق الموشحات الأندلسية، خاطب فيها حمامته المعروفة بالورشان، ومطلعها (ابن مسايب، ١٩٨٩، ص ص ١٠٠ – ١٠٥):

يا الورشان اقصد طيبة ** وسلم على الساكن فيها

وقد حدد فيها مراحل الطريق إلى مكة، ووصف فيها الحجاز والأماكن التي عاش فيها أو نزل بها الرسول صلى الله عليه وسلّم، فعبرت بصدق عن عواطف دينية جياشة

وحب ناظمها للرسول صلى الله عليه وسلّم وارتباطه الروحي بأرض االحرمين الشريفين، فكانت تناولا مبتكرا للرحلات الحجية بأسلوب طريف في عرض مراحل الرحلة وأماكن العبادة بالحجاز.

٣. رحلة الحسين بن محمد السعيد الورثلاني (ت. ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م):

وُلد عام ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م بقرية أنّو ببني ورثلان بمنطقة القبائل (الجزائر) من أسرة تُعد من الأشراف وعُرفت بالعلم والصلاح. تلقى معارفه الدينية والفقهية بالحواضر الجزائرية، واكتسب احتراما وتقديرا لورعه وعمق إيمانه، وعُرف بتمسكه بالمذهب المالكي وبالطريقة الأشعرية، واهتمامه بكتب التصوف والتاريخ والتراجم والرحلات (سعيدوني، ٢٠١٣ ب، ص٤٥٢- ٤٥٧).

أدى الورثلاني فريضة الحج ثلاث مرات، الأولى عام ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م، والثانية عام ١١٦٦ هـ/ ١٧٥٢م، والثالثة عام ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م، اصطحب فيها زوجتيه وزوجة ابنه. وقد مكنته تلك الرحلات من التعرف عن كثب على أوضاع الحجاز وحضور حلقات العلم بالأزهر والحرمين ومجالسة الشيوخ، كما ساعدته مطالعاته وأسفاره على تصنيف العديد من الكتب أغلبها شروح وحواشي ورسائل في شكل إجابات عن مسائل فقهية وتعليقات وقصائد إخوانية منها قصيدته الميمية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلّم (سعد الله، ١٩٩٨، ج ٢، ص٤٠٧ - ٤١٢؛ الحفناوي، ١٩٨٢، ص ١٢٩ – ١٤٧).

لكن الورثلاني اشتهر برحلته الحجية "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٨١٩)، فعُدّ بها عميد الرحالة الجزائريين لسعة معلوماتها ودقة مشاهداتها، وقد استعان فيها بقراءاته للعديد من الرحلات وكتب التراث والتاريخ مثل طبقات الأمم للسبكي، ونوازل البرزالي، وكتب السيوطي وخاصة منها حسن المحاضرة، وكتب ابن فرحون والشطبي والبكري والمقريزي والسمهوري. كما تعمد تضمين رحلته نصوصا حرفية من كتب الرحلات التي اصطحبها معه في سفره، وهي رحلات أبي عبد الله العبدري، وأحمد بن ناصر الدرعي، وأبي سالم العياشي (العبدري، ١٩٦٨، ص٤٣؛ الدرعي،

١٩٠٢، ص٢٦٤؛ العياشي، ١٨٩٨، ص٢٦٥)، وقد حرص على ذكرها وإحالة القارئ إليها، بالإضافة إلى تدوين ملاحظاته وما رُوي له أثناء سفره وما شاهده شخصيا، مشيرا إلى ذلك بعبارة "قلت أو انعطاف أو عودة إلى ما كنا بصدده". فجاءت الرحلة الورثلانية في شكل موسوعة من الأخبار تتعلق أساسا بمسلك الحج وبأوضاع الحجاز (عزي، ٢٠١١، ص٩٣؛ Hadj-Sadok, 1951, p 396)، ولذلك ارتأينا التركيز عليها أساسا في البحث باعتبار أن معلوماتها تعكس إلى حد كبير أوضاع الحجاز خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة/ السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، رغم أنها تعود إلى القرن الثاني عشر للهجرة/ الثامن عشر الميلادي.

٤. رحلة محمد بن أحمد بن عبد القادر المعروف بأبي راس الناصري المعسكري (ت. ١٢٣٨ هـ/ ١٨٢٣ م) (سعيدوني، ٢٠١٢ ب، ص٤٩٣- ٥٠٢؛ سعد الله، ١٩٩٨، ج ٢، ص ٣٧٦- ٣٨١؛ Faure Biguet, 1899, p 388-420):

وُلد بناحية معسكر (جبل كرسوط) بالجزائر حوالي عام ١١٥٠ هـ/ ١٧٣٧ م، وتلقى تعليمه بموطنه وبالعديد من المدن الجزائرية وفاس، وكان حريصا أثناء دراسته أو رحلاته على أخذ إجازات من الشيوخ الذين جلس إليهم، كما أبدى اهتماما كبيرا بالأنساب والتاريخ، وقد عُرف بكثرة مصنفاته التي بلغ عددها حسب روايته ٦٣ مصنفا، وأعلبها شروح لقصائد وتعليقات وتقاييد شخصية، أهمها "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" وهو ترجمة لقصيدته السينية (١١٨ بيتا) في فتح وهران، و"زهرة الشماريخ في علم التاريخ"، و"ما رواه الواعون في أخبار الطاعون"، و"درء الشقاوة في حروب درقاوة " (سعيدوني، ٢٠١٣ ب، ص٤٩٤– ٤٩٦؛ سعيدوني، ٢٠١٦، ص٣٦- ٣٨؛ ٢٠١٦؛ الناصري، ٢٠٠٧، ص ١٨٩).

تعرف أبو راس الناصري على الحجاز أثناء أدائه فريضة الحج سنة ١٢٠٤هـ/ ١٨٠٦م، فسلك طريق البحر من ينبع إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة، وجلس إلى العلماء، ووقف على المعالم الإسلامية، وسجل على عادته ما عرض له من لقاءات علمية في رحلته

الحجية التي عنونها بـ"عدتي ونحلتي في تعداد رحلتي" والتي ضاع نصها، وبقي منها ما سجله عن سفره بالمشرق في سيرته الذاتية بعنوان "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" (الناصري، ١٩٨٦، ص١٨٣)، والتي أفرد منها فصلا عن رحلته في المغرب والمشرق وهو الجزء الذي وصلنا وتمكنا من الرجوع إليه في التعرف على أوضاع الحجاز، ورغم أن الرحلة متأخرة عن فترة البحث إلا أن أهمية مضمونها يجعلها مصدرا لا غنى عنه يسمح بإلقاء الضوء على جوانب لم تتغير طيلة العهد العثماني ومنه القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر الميلادي.

ثالثًا: أوضاع الحجاز السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الرصيد المعرفي للرحلات الحجية الجزائرية

بالرجوع إلى الرصيد المعرفي الذي توفره الرحلات الحجية الجزائرية، يمكن التعرف على أوضاع الحجاز وذلك باعتماد منهج استقصائي للمعلومات التي توفرها لنا تلك الرحلات ومحاولة عرضها في مقاربة بنائية للمعطيات التاريخية والجغرافية التي توفرها نصوص تلك الرحلات، ليسهل عرضها في ثلاث نقاط أساسية، الأولى تتعلق بالوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي، والنقطة الثانية تخص الوصف الطوبوغرافي والعمراني للحجاز، والثالثة تعالج الروابط الروحية والتفاعل الثقافي بين الحجاز والجزائر.

١. أوضاع الحجاز السياسية والاجتماعية والاقتصادية:

أ. الوضع السياسي والإداري والأمني بالحجاز:

يُستخلص من مضمون الرحلات الحجية الجزائرية ومن بعض التقاييد الأخرى لكتاب الرحلات أن منطقة الحجاز كانت تعيش خلال القرن الحادي عشر وكذلك أثناء القرن الثاني عشر اضطرابا سياسيا نتج عن ضعف السلطة الحاكمة وتداخل صلاحيات الباشوات العثمانيين بجدة ومصر مع امتيازات ونفوذ أشراف مكة الذين يعود نفوذهم إلى الفترة الإسلامية واكتسبوا مع الوقت اعتبارا دينيا ومكانة اجتماعية وسياسية لدى جميع

السكان، وأصبح يُختار من بينهم من يتولى منصب الإمارة الذي يقره فيه السلطان العثماني، وقد تدعم منصب الإمارة بعد أن تولاه الشريف أبو نمي (٩٣٢– ٩٥٠هـ/ ١٥٢٥– ١٥٨٠م) الذي وضع قانونا يسمح بالمحافظة على مكانة الأشراف بالحجاز، وجعل منهم طبقة متميزة، ولم يحد السلطان العثماني في ذلك ما يمس بسلطته على الحجاز المعتمدة على القوة العسكرية المرابطة في الحصون والتي يمثلها الباشا العثماني متولي سنجقية جدة التي كانت تُلحق أحيانا بولاية الحبش (عبد الرحيم، ١٩٧٩، ص١٢١ – ١٢٢، ١٢٥).

مارست وظيفة الشرافة بالحجاز ثلاث عائلات استقلت بأمورها وتنافس أفرادها على تولي الإمارة، وهم ذوو بركات وذوو زيد وذوو عون، وقد استطاع الشريف قتادة وقومه من جهات ينبع ووادي الصفراء أن يكونوا إمارة بالحجاز تمتعت بنوع من الاستقلال الفعلي، لكن حدوث الشقاق والتنافس بين الأشراف جعل الشرافة تتحول إلى وظيفة أدبية بجانب السلطة الفعلية للباشا العثماني بجدة (عبد الرحيم، ١٩٧٩، ص١٢٣، ١٢٤؛ أنيس، ١٩٦٧، ص٣١).

وكان كل شريف من الأشراف يستميل إليه مجموعة من القبائل ويتقاتل الفريقان، فيتولى المنتصر منهم كرسي الإمارة، وينال بتأييد من أتباعه فرمان التعيين مقابل إبداء فروض الطاعة والولاء للسلطان باعتباره موظفا عثمانيا. ومع تزايد دخل الحجاز من رسوم المكوس في مواسم الحج، وتضخم عوائد الحج في مصر والشام والعراق منذ منتصف القرن الحادي عشر (١٠٤٠هـ/ ١٦٢٠م)، اشتد التنافس بين القوى الفاعلة محليا، فأصبح الولاة العثمانيون يزاحمون الأشراف على الأرباح التي يحصلون عليها نظير قيامهم على شؤون الحج وعمارة الحرمين، فكان الولاة يسعون دائما لإحداث الفرقة وإذكاء روح التنافس بين الأشراف الطامحين لتولي إمارة مكة، مما يبقي الباشا العثماني سيد الموقف، ويجعل ازدواجية السلطة بين الباشا والشريف وضعا يؤكد تبعية الحجاز للدولة العثمانية (عبد الرحيم، ١٩٧٩، ص١٢٣ –١٢٤؛ غرابية، ١٩٨٤، ص٢١٥)، قبل أن تتطور الأوضاع بظهور الدولة السعودية الأولى وتدخل محمد علي في الحجاز وتوسعه في نجد.

هذا وقد رصدت الرحلات الحجية هذه الأوضاع عن قرب، فالمقري كان على اتصال مباشر بشريف مكة (محسن بن الحسين أبي نمي) الذي كاتبه لما وُلي الإمارة تقديرا لمكانته، فردّ عليه المقري برسالة مؤرخة في حجة الحرام من عام ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٣م، فوصفه بسلطان الحرمين، وقد ضمّن رسالته أبياتا قدّر فيها مكانته (المقري، ٢٠٠٤ ب، ص ص ٧٦ – ٧٧):

ودام ظـلا عــلى الـزمـان ** ونــال ما شاء من الأماني

وحـيث حــلّت لـه ركـاب ** يصحب بـــالنصر الأمـــاني

لا زلت يا محسن الدنيا وسيدها ** ونيل عدلك يروي كل من وردا

ولا بَرِحْتَ مدى الأيام تحكم في ** سرح الحجاز موفى من عن وردا

كما تلقى المقري من أبي نمي خطابا من إنشائه وبه علامته بتاريخ أول محرم ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م، وُصف فيه المقري بـ "الشيخ العلامة الحبر الفهامة صدر المدرسين مفيد الطالبين مولانا الشيخ أحمد المقري المالكي أدام الله إجلاله وبلّغه آماله" (المقري، ٢٠٠٤ ب، ص٢٤١).

أما الورثلاني فقد تعرف في حجته الأولى على أمير مكة مسعود بن سعيد (ت. ١١٦٥هـ/ ١٧٥٢م)، وفي حجته الثالثة على الأمير مساعد بن مسعود (ت. ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م)، فلاحظ في عهد الأخير اضطراب أوضاع الحجاز و تردي الحياة فيها ، وأرجع ذلك إلى صراع الأمراء والأشراف للظفر بالإمارة ومنافستهم لباشوات جدة من أجل تأكيد مكانتهم، مما انعكس سلبا على الوضع الإداري بفعل كثرة عمليات العزل والتعيين حتى بين أفراد الأسرة نفسها، مما أدى إلى عجز الحكام عن إقرار الأمن وإنصاف الناس، فلم يعد، حسب قوله: "المرء آمنا على نفسه بعد أن أصبح الظلم يصدر عن الحكام" (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٤٢٢). وهذا ما أكده بقوله: "إن الزمان زاد في الظلم والتعدي، وأن ذلك صار من الأشراف وغيرهم من أصحابهم، فلا يكادون يرجعون عن التعدي" (الورثلاني، ١٩٠٨، ص ٤٢١)، وقد آلمه قتلهم رفيق صديقه سيدي محمد قسوم الريفي على

شربة ماء، وذهب به الحال من جراء اضطراب الأمن إلى القول: "أن الحج يكاد أن يكون ساقطا من ظلم الولاة وأصحابهم" (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٤٢٠، ٤٢٢).

ونفس الانطباع عن تردي الأوضاع بالحجاز كان قد لاحظه في فترة سابقة شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون (ت ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٣م) مفتي مدينة قسنطينة ومتولي إمارة ركب الحج من طرف حكام الجزائر العثمانيين، إذ صدمه جور الحكام وسوء حال المسلمين وضعف المحكومين، فانطوى على نفسه وفضل اللجوء إلى الله وتفويض أمره إليه (سعد الله، ٢٠٠٩، ص٣٧).

هذا وارتبط الوضع الإداري للحجاز في القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر الميلادي وما بعده بالوضع الأمني الذي كان سائدا عبر المسالك، وطبيعة العلاقات مع القبائل البدوية التي امتهن بعضها اللصوصية والاعتداء على قوافل الحج، ولم يتردد بعض أفرادها في الفتك بالحجاج وسلبهم جمالهم وأخذهم متاعهم، فالورثلاني كان كلما تحدث عن قافلة الحجاج أشار إلى اللصوص المتربصين بها وذكر ما عرض له أو سمعه من اعتداءاتهم على قوافل سابقة (هلايلي، ٢٠٠٨، ص٢٢٣)، فذكر أن الحجاج لم يعودوا ينزلون المحصب اتباعا للسنة لكثرة الإذاية والخوف من اللصوص (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٤٢١)، وأن بندر العقبة لم يعد الحجاج يأمنون فيه على أنفسهم لتعرضهم للنهب (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٣٩٨)، وأن ذلك جعل الركب المغربي يمشي نهارا بسبب الخوف من الأعراب (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٣٦٥)، وأن وادي السدرة به سرقة، وكذلك بندر عجرود، إذ ذكر "أن السرّاق أتوا إلينا أي إلى ناحيتنا فرفعوا جملا للحاج عبد الله الشياخي ولم يستطع استرجاعه" (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٣٣٣). كما أورد الورثلاني أن الخوف من الأعراب يستبد بالحجاج في تيه سبالة بعد مغادرتهم عسفان(١) (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٤٤٩)، وأن مضيق وادي العقيق الأولى له أن يسمى وادي العقوق لتلصص الأعراب به وجرأتهم (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٣٧٣).

(١) عسفان: بلدة تقع شمال غرب مكة المكرمة على بعد ٨٠ كلم منها.

ولم يستطع الحكام إصلاح هذا الوضع، كما لم يتمكن الجنود المرابطون ببعض الحصون من مواجهة اعتداءات قبائل البدو، فاكتفوا بالبقاء في حصونهم مثل بندر المويلح[1] الذي قال عنه الورثلاني أنه حصن كبير به عساكر، وحصن آخر في جرف واد كبير يعرف ببندر الوجه (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٣٧١- ٣٧٣)، فضلا عن وجود حاميات عثمانية بمكة والمدينة وجدة. علما بأن من أهم أسباب تعديات البدو عدم دفع العثمانيين للقبائل البدوية الأموال المتعارف عليها لعبور مناطقها، مما دفع بالكثير منها لذلك السلوك قبل بسط نفوذ الدولة السعودية.

وقد كان هذا الوضع المتردي إيذانا بتغير الوضع السياسي والنظام الإداري بالحجاز في فترة لاحقة عندما ظهرت الدولة السعودية الأولى بنجد وتمكنت من الاستيلاء على الحجاز في الأخير لإقرار الأمن والحد من جور الموظفين. وقد تعرف أبو راس الناصري على طلائع تلك الحركة عندما سجل في رحلته أنه تعرف على تسعة من علماء الدولة السعودية الأولى قدموا مكة في موسم الحج (سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م) (الناصري، ٢٠٠٤، ج١، ص١٩)، وسوف نذكر مساجلاته معهم لاحقا في القسم المخصص للروابط الروحية.

ب. الحياة الاجتماعية والوضع الصحي بالحجاز:

تناولت الرحلات الحجية الجزائرية الحياة الاجتماعية وما يتصل بها من أمور المعيشة والصحة من خلال ما عرض لأصحاب تلك الرحلات، وما شد انتباههم من عادات وتقاليد، وما لاحظوه من اختلاف طريقة العيش بين سكان المدن والبادية، والفرق في المعاملة بين الطبقة المحظوظة وهي جماعة الأشراف والموظفين ومن انضم إليهم من العلماء والتجار والطلبة وبين العامة الذين وجدوا في موسم الحج مصدر رزق لهم مقابل الخدمات التي يقدمونها للحجاج. كما لم يفت هؤلاء الرحالة ملاحظة الاختلاف بين مدينة وأخرى، فغلب -حسب ما سجلوه- على أهل مكة المكرمة التقشف، بينما كانت غالبية أهل المدينة

(١) المويلح: قرية بمحافظة تبوك شمال غرب المملكة العربية السعودية، تقع على البحر الأحمر، تقابلها في الساحل المصري بلدة الغردقة.

المنورة تنعم بالرفاهية وسهولة العيش (المنوني، ١٩٨٩، ص٣٠٣). كما حاولوا التعرف على مختلف القبائل في الصحراء وخاصة التي تعامل رجالها معهم أو كانت مواطنها قريبة من مسلك الحج، فذكروا من قبائل الحجاز: أعراب الحويطات وبني سعد وعقبة ومغازة بنواحي الينبوع، وعرب بني عطية بجوار العقبة، وأعراب مدين (العميرات) بنواحي مغاير شعيب،(١) وأعراب هتيم عند أكرا، وأعراب جهينة عند الحوراء، وعرب صبح عند بدر، وأعراب عنزة عند هدية (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٣٣٨- ٣٨٠ المنوني، ١٩٨٩، ص٤١٢)، بينما أغفلوا قبائل أخرى لعدم مجاورتها لمسلك الحجاج المغاربة مثل حرب بنو سليم وبلى و الحجادلة والجعافرة وهذيل وثقيف وجبيلة وزَهْرَان خشعم وغامد والناصرة (عبد الرحيم، ١٩٧٩، ص١٢٠ - ١٢١).

هذا وتطلعنا الرحلات الحجية الجزائرية على جماعة المجاورين بالحرمين الشريفين، خاصة من كان منهم من المغرب العربي، والذين فرضوا حضورهم بتفرغهم للعبادة والتدريس وبسلوكهم المنضبط، وقد كان جلّهم يعيش على الأعطيات والصدقات أو ما ينالونه مقابل أعمال يقومون بها، ويأتي في مقدمة من جاوروا بالحرمين ولو لفترة قصيرة جماعة من صفوة العلماء والمتصوفة، كان في مقدمتهم: محمد بن مرزوق (الجد) (ت. ٧٨١ هـ/ ١٣٧٩ م)، وابن مرزوق (الحفيد) (ت. ٨٤٢ هـ/ ١٤٣٨م)، وعبد الرحمن الثعالبي شيخ مدينة الجزائر (ت. ٨٧٥ هـ/ ١٤٧٠م)، وأحمد المقري التلمساني (ت. ١٠٤١هـ/ ١٦٣١ م)، وسعيد قدورة (ت ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٦م)، وعبد الكريم محمد الفكون (ت. ١٠٧٣ هـ/ ١٦٦٣م)، والشيخ أبو مهدي عيسى الثعالبي (ت. بمكة ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م)، ويحيى الشاوي (ت. ١٠٩٦ هـ/ ١٦٨٥ م)، وأحمد المنقلاتي (ت. ١١٠٠هـ/ ١٦٨٦م)، وأحمد بن بلقاسم الساسي البوني (ت. ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م)، والمفتي بن علي (ت حوالي ١١٦٩ هـ/ ١٧٥٩م)، والمنور التلمساني (ت. بعد ١١٧٢/ ١٧٦٠م)، وأحمد بن عمار الجزائري (ت. ١٢٠٥ هـ/ ١٧٩١م)، وأحمد بن المقايسي (ت. ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م) (سعد

(١)مغاير شعيب تُعرف حاليا بالبدع بمنطقة تبوك شمال غرب المملكة العربية السعودية.

الله، ٢٠٠٩، ص٣٤ – ٣٩؛ سعيدوني، ٢٠١٦، ج١ – ٢). كما أن الحسين الورثلاني (ت ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م) كان يرغب في المجاورة بالحرمين في حجته الأخيرة لكن إلحاح قومه عليه بالعودة اضطره إلى التنازل عن رغبته مواسيا نفسه بالحديث الشريف: "يبلغ المرء بنيته ما لا يبلغه بعمله." (الورثلاني، ١٩٠٨، ص ٥٢٩).

من جانب آخر تظهر الرحلات الحجية اختلاف أمزجة الحجاج بين مشارقة ومغاربة وبين مجموعات المغاربة من جزائريين وغيرهم، فسلوك حجاج المغرب الأقصى يطبعه الانتظام لأوامر أمير ركبهم، بينما يتميز الحجاج الجزائريون، حسب قول الورثلاني، بالغلظة وعدم احترام أوامر أمير الركب، وهذا ما عبّر عنه بقوله: "إن أهل وطننا فيهم الغلظة والجفاء وسوء الأدب وعدم إذعانهم للحكم... فالركب الجزائري لا حكم عليهم أصلا ولا يتوقفون عند الأمر والنهي." (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٥٤٢).

على أن العقيدة الإسلامية ظلت دائما عاملا يرسخ الأخوة في الدين ويحفز على الإحسان في المعاملة والرغبة في القيام بأعمال الخير، فالكل يسعى لأداء مناسك الحج والوقوف على الأماكن التي عاش فيها الرسول صلى الله عليه وسلّم وصحبه، وكان ذلك أساس تآخي الحجاج رغم اختلاف أصولهم وتباين عاداتهم، وعامل الانسجام بينهم وبين سكان الحجاز، بحيث كان المجتمع الحجازي بيئة متفهمة وحاضنة لجميع مكونات المجتمع المحلي والفئات الوافدة في موسم الحج أو الراغبة في المجاورة بالحرمين.

أما الجانب الآخر من الحياة الاجتماعية فهو ما يتعلق بالجانب الصحي، فكان ظهور الوباء وانتشار الطاعون من الهواجس التي تقض مضاجع الحجاج والمجاورين وغيرهم من سكان الحجاز، وقد تضمنت الرحلات الحجية الجزائرية، خاصة رحلة الورثلاني، أخبارا ضافية عن حالاته، فاعتبروه ابتلاء من الله وعبرة لعباده وعقابا لهم بسبب شيوع المعاصي في الأرض، وما كان من الحجاج إلا أن فوضوا أمرهم إلى الله، واستسلموا لقضاء الله و قدره ، و منهم من كان يلتجيء إلى التوسل بالصلحاء والأولياء اعتقادا منهم باحتمال الاستجابة لدعائهم وتوسلاتهم، فغفلوا عن الاحتراز من الوباء واعتبره بعضهم مثل المكوس التي

تطهر النفس، فاعتبر الورثلاني الحمى التي أصابته في المدينة المنورة هدية من الرسول صلى الله عليه وسلّم إلى ضيوفه (الورثلاني، ١٩٠٨، ص ٥١٢، كما رأى في الإسهال بلاءً من الله لمعرفة من قلبه سليم وقوي (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٥٥٦)، وأن ماء زمزم عذبا مباركا مهما يقال عنه (الورثلاني، ١٩٠٨، ص ٤١٩).

ج. النشاط الاقتصادي بالحجاز:

توفر الرحلات الحجية الجزائرية موضوع البحث معلومات مهمة عن النشاط الاقتصادي والمهارات الحرفية ووضعية الزراعة وحالة التجارة والتبادل وما يتصل بها من ظروف العيش وسنوات الخصب أو القحط وتوفر البضائع في الأسواق، فقراءة متفحصة لتلك الرحلات تسمح للباحث برصد الواقع الاقتصادي بالحجاز في مواسم الحج. وحتى نتمكن من تكوين فكرة عن ذلك سوف نحاول استخلاص ما تضمنته رحلة الورثلاني عن عنصر الماء، سواء كان في شكل أمطار أو ينابيع أوآبار، قبل أن نتطرق للمعلومات الخاصة بالمنتوجات الزراعية والسلع والتبادل التجاري.

١. **عنصر الماء**: أولت الرحلات الحجية الجزائرية أهمية خاصة لعنصر الماء من حيث توفره أو ندرته أو نوعيته أو أماكن الحصول عليه من آبار ومنابع وعيون ومعاطن وحفائر وسيول وبرك وأحواض وقنوات سقي، فتوفر عنصر الماء يحدد محطات الطريق ويضبط مسافات السير وأماكن توقف الركب. فبالرجوع إلى ملاحظات الرحالة وخاصة ما سجله الورثلاني، يمكن رسم خريطة لنقاط الماء عبر مسلك الحجاج بالحجاز، بمسايرة طريق الركب من العقبة إلى المدينة المنورة أو مكة المكرمة،(١) وهذا ما يمكن استخلاصه خاصة مما ورد في رحلة الورثلاني (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٣٤٤، ٣٤٧، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨١، ٤٥١): فمن وادي السدرة إلى العقبة طريق صعب يعاني فيه الحجاج مشقة الحر والعطش، وأن دار السلطان بها آبار السلطان، ووادي الأكره به سيول وماؤه لا يستساغ مر المذاق، وبالدركين بئر درك،

(١) انظر خريطتي مسلك الركب الجزائري عبر الحجاز الملحقتين بالبحث.

وبالحوراء آبار على حفائر على ساحل البحر ماؤها مالح كثير الإسهال، ومغاير شعيب بها ماء جار، وكذلك عيون القصب بها ماء جار عذب، وبندر الأزلم بها ثلاثة آبار مبنية بالحجارة وماؤها يسبب الإسهال، وبالنبط أربعة آبار حلوة، بينما وادي النار يشتد به العطش، أما الخضيرات فليس بها ماء، وبإصطبل عنتر ثلاثة آبار، وينبع النخيل هي قرى بها عيون، وبندر بدر ماؤه عذب بها بركة كبيرة تكفي الأركاب، ومستورة[1] بها بئر كبير مطوية بالحجر المنحوت غلب عليها الرمل، وخُليص الماء فيه بوفرة عظيمة وبها بركة ماء كبير يغرق فيها من لا يحسن السباحة ومنها تخرج السواقي إلى الأرض المحروقة، ورابغ[2] بها آبار كثيرة في واد يأتي إليها السيل من بعيد، وقُديد لا ماء فيها إلا ما يجلب من بعيد، عسفان ماء عذب ولكنه ساخن، ومنها إلى البئر التي يُقال أن الرسول صلى الله عليه وسلّم تفل بها، ماؤها حلو والشرب منه تبركا، ووادي فاطمة كثير المياه والبساتين، ووداي الشريف بها عيون ماء.

٢. **المنتجات الزراعية والتبادل التجاري**: تتضمن الرحلات الحجية الجزائرية معلومات تتعلق بالإنتاج الزراعي والنشاط الرعوي والتبادل التجاري، غالبا ما ترد عرضا في سياق وصف مسلك الحج عبر الحجاز.

فالنباتات البرية والمزروعات ورد ذكرها لدى الورثلاني في الأماكن التالية (الورثلاني، ١٩٠٨، ص ٣٣٧، ٣٥٢، ٣٥٧، ٣٦١، ٣٦٦، ٣٧٤، ٣٧٦، ٣٧٨، ٤٥١):

مغارة شعيب: به نخل عظيم وغيضة؛ عيون القصب: به كثير من القصب؛ الدركين: به غياض شجر الطلح؛ العقبة السوداء: و هي حرة بها أشجار؛ الحوراء: بها ديش كثير؛ ينبع النخل (النخيل): به مزارع نخل؛ بندر بدر[3]: قرية ذات نخيل، وهي قرية عظيمة طيبة وروضة من رياض الله؛ مستورة: قرية بها نخيل وهي كثيرة المزارع والمغاني؛ رابغ: قرية

(١) مستورة: بلدة بالحجاز تقع على البحر الأمر شمال جدة على بعد ٢٠٠ كلم منها، تتبع حاليا محافظة رابغ.

(٢) رابغ: بلدة بالحجاز، تقع على البحر الأحمر شمال مدينة جدة على بعد ١٠٠ كلم منها.

(٣) بندر بدر: حاليا هي بلدة تتبع محافظة المدينة المنورة، جنوب غرب المدينة على بعد ١٣٠ كلم، وقعت بأرضها معركة البدر التي انتصر فيها المسلمون على المشركين، وفيها قبور شهداء المعركة.

عظيمة بها نخيل وكثيرة المزارع والمغاني والنخيل؛ وادي سرف (الشريف): به نخيل وبساتين.

أما أسواق التبادل التجاري عبر مسلك الحجاج الجزائريين والتي ذكرها الورثلاني في رحلته، فهي (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٣٣٢، ٣٥٢، ٣٥٧، ٣٦١، ٣٦٧، ٣٧٤، ٣٧٦، ٣٧٨):

منزل العقبة وهو حصن توضع فيه ودائع الحجاج، وينبع وهي مرسى وأسواق وهي أول بلاد الحجاز وملتقى الأركاب (المصري والجزائري والفيلالي والفزّاني)، ودار الوقدة يوقد بها الشمع الكثير، وبندر بدر ملتقى الأركاب وموطن الأشراف وتوقد به النيران، وينبع تنزل بها الأركاب وأسواقها عظيمة، ورابغ يلتقي بها الركب المصري والشامي، وقُديد قرية بها مقاهي وتباع بها الفواكه، وعسفان بها أسواق، ووادي الشريف ملتقى الركب الشامي والمصري.

ويُستخلص من مضمون الرحلات الحجية، وخاصة رحلة الحسين الورثلاني الذي تتعلق بالقرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر الميلادي مع كونها تعود لفترة لاحقة،ـ أن اقتصاد الحجاز كان قائما أساسا على التبادل التجاري، خاصة في موسم الحج. وكان القمح ثم الأرز أهم مواد النشاط التجاري يضارب بها أشراف مكة، وتستورد أغلبها على طريق جدة من مصر والهند. وكان قليل من سكان الحجاز مستقرين يشتغلون بزراعة النخيل وبعض المنتوجات الأخرى مثل الحناء، إلى جانب ممارسة بعض المهن، أو يعيشون على الصيد في ساحل البحر الأحمر، أما غالبية السكان وهم ينتمون لقبائل بدوية قد تمثل ثلثي السكان فيعيشون على الرعي وتبادل منتوجاتهم وينتفعون من عوائد موسم الحج، وقد يلجؤون إلى النهب، ويستفيدون مما يُقدم لهم من هدايا وأعطيات لتأمين الطريق (كحالة، ١٩٢٥، ص١١٧).

رابعًا: الوصف الطوبوغرافي والعمراني للحجاز من خلال الرحلات الحجية الجزائرية

أ ـ الوضع الطوبوغرافي لمسلك الركب الجزائري:

تناولت الرحلات الحجية الجزائرية أرض الحجاز باعتبارها موطنا للوحي تهفو إليه القلوب، وتتشوق النفوس للوقوف على المواطن التي عاش فيها الرسول صلى الله عليه وسلّم والتعرف على مظاهرها الطبيعية لارتباطها بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلّم وبالتاريخ الإسلامي في فترة النبوة وفي زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وهذا ما يمكن الباحث من تصور طوبوغرافية وعمران الحجاز، قبل أن تتغير ملامحه بفعل التطور العمراني الحديث.

وقد تحكمت طوبوغرافية المنطقة في تحديد مسلك الحج المصري والمغاربي عبر الحجاز من العقبة إلى المدينة المنورة وإلى مكة المكرمة، فجبال الحجاز (السراه) باعتبارها حاجزا بين البحر الأحمر وهضبة نجد جعلت من الحجاز منطقة متميزة بارتفاعها واعتدال مناخها نسبيا، بينما المنخفضات الساحلية (تهامة) شديدة الحر وتسود بها رطوبة مرتفعة وبين الهضبة الداخلية (نجد) التي يفصلها عن الحجاز خط ارتفاع ٤٥٠ م، ويكون متوسط ارتفاع منطقة الحجاز الجبلية ٩٠٠ م، أعلاها جبال الشفاء (جبل اللوز ٢٤٠٣ م) في أقصى الشمال المتاخم لأرض الشام والقريبة من العقبة (أيلة). وقد حددت هذه المعطيات الطبيعية مسلك الحج المغاربي الذي يساير في الشمال سفوح الحاجز الجبلي ويصبح الطريق ضيقا جدا بين البحر والجبل بين العقبة وعيون القصب بحيث لا يمر به إلا جمل إثر جمل، وكأنه متن الصراط حسب تعبير الدرعي ، بعدها يحاذي الطريق ساحل البحر من المويلح إلى الوجه،[1] ثم يتجول الطريق إلى الداخل و يسهل السير فيه رغم مرتفعاته الجبلية و بعض الأودية التي تعبره (أكرا، العقيق ، النبط ، النار) قبل أن تنفرج الجبال عن سهل تهامة الواسع والذي يصل اتساعه عند ينبع حوالي ٦٠ كلم ،تعبره بعض الأودية (رابغ، العميان، الزاهر) يصل بعضها

(١)الوجه: بلدة جنوب غرب منطقة تبوك على البحر الأحمر.

البحر الأحمر ويغذي بعضها الآخر القيعان والسباخ في السهل الساحلي (غنيم، ٢٠٠٥، ص٥٢- ٥٧؛ الشرقاوي، ١٩٥٢، ص٣١٧).

وقد ذكرت الرحلات الحجية طبيعة المنطقة، فذكر الورثلاني لون الجبال وطبيعة الأرض ونوعية التضاريس بقوله: "إن لون جبال وأراضي مصر أقل سوادا منها في الحجاز" (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٣٤٧). كما لاحظ طوبوغرافية الطريق فذكر أن الجبال تساير خليج العقبة وما بعده إلى جبال سلمى وكفانة حيث يوجد قبر الشيخ مرزوق الكفافي (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٣٤٣)، وبعد أن تنفرج الجبال تضيق من جديد بين وادي الأراك وبندر الوجه، لتصبح الأرض حرات (طفح بركانية)، ويصبح السفر عبرها من أشد منازل الطريق وأصعبها. لكون الطريق يصبح مسلكا ضيقا يؤدي إلى وادي العقيق ووادي النار والخضيرات ومنه إلى سبع وعرات حيث تزداد صعوبة السفر لوعورة الطريق وانعدام المياه بها (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٣٦١، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨١).

ولا يتسع الطريق و يستوي إلا بجهات ينبع (بطن ينبع وينبع النخيل)، و منه نحو بندر بدر حيث تلتقي الأركاب بالقرب منها غير بعيد عن قبور الشهداء، لكن الطريق تكتنفه الرمال عند مستورة، ومنها إلى رابغ ملتقى الركب المصري والركب الشامي، منها إلى الجحفة ثم قُديد، وهي قرى غالب بيوتها خيشان وبها مقاهي، ومنه إلى العقبة (عقبة اسكر)، ومنها يصبح الطريق مبلطا إلى عسفان، ومنه عبر مفازة رقة (تيه سيالة) إلى وادي الشريف (سرف) (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٣٣٢، ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٦١).

ب ـ محطات مسلك الركب الجزائري عبر الحجاز:

تحكمت نوعية التضاريس وطبيعة الطوبوغرافية في الجهات الشمالية الغربية لمنطقة الحجاز في تحديد مسلك الحج الخاص بالركب الجزائري ومن معه من ركاب مصر وأقاليم المغرب العربي (الفاسي، المراكشي، الفلالي، الدرعي، الشنقيطي، الفزاني)، بحيث أصبح يساير في جزء كبير منه ساحل البحر الأحمر بين العقبة و قصبة الوجه ، عكس مسلك المركب السلطاني المنطلق من إستانبول والعابر لبلاد الشام والذي يساير مسلكا داخل الحجاز بعيدا

عن ساحل البحر والذي قد يسافر عبره من يريد زيارة بيت المقدس ودمشق من الحجاج الجزائريين.[1]

ويمكن تحديد طوبوغرافية طريق الركب الجزائري مع ركاب أقاليم المغرب ومصر من خلال تتبع العديد من الرحلات المغاربية ومنها الجزائرية، ولعل أهمها من حيث دقة الوصف وتفصيل المعلومات رحلة الحسين بن محمد السعيد الورثلاني التي تسمح للباحث بتحديد مسلك ركب الحج الجزائري، فقد حدد معالم الطريق ومحطاته بين العقبة ومكة المكرمة ، عبر مسافة ١١٥٠كلم ، تتضمن ٢٥ مرحلة تقطعها قافلة الحجاج خلال شهر ، وقد سجلت الرحلات الحجية منازل الطريق كالتالي:

– سطح العقبة (أو منزل أو حصن أو بئر العقبة أو عقبة التيه) – ظهر الحمار (ممر ضيق بين جبلين) – أم العظام (قرب عش الغراب) – شرف بن عطية (أو شرفات) – مغاير (أو مغارة شعيب) – عيون القصب – بندر وقصبة المويلح – دار السلطان (أو آبار السلطان) – شق العجوز – بندر الأزلم – إصطبل عنتر (أو بئر عنتر) – قصبة الوجه – وادي الأراك – وادي الأكره (الأكر أو الأكرى) – الدركين (أو بئر درك) – وادي المسيل متصل بالبحر (يعرف بماء الحورة أو الحوراء) – العقبة السوداء – وادي العقيق (وهو غير وادي العقيق القريب من المدينة) – ماء النبط (بلاد جهينة) – وادي النار – الخضيرات (الخضيرة) – سبع وعرات (مضيق يتربص به الأعراب) – بطن ينبع (أو الينبوع به مسجد مكان غزوة العشيرة) – بندر النخيل – بندر ينبع – السقائف – الصفراء.[2]

(١)مسلك الحج الشامي: أهم محطاته عبر الحجاز: ظهر العقبة، المدورة، حالة عمار، ذات الحاج، تبوك (وادي الأثيلي)، قلعة الأخيضر، قلعة المعظم، الدار الحمراء، المطلع، المزحم، الحجر (مدائن صالح)، العلا، البدائع، سهل المطران، بئر الزمرد، البئر الجديدة، المصورة، الصويرة، المديرج، هدية، جراعة، أبو النعم، اصطبل عنتر، البوير، بئر نصيف، المدينة المنورة. انظر الخريطة الملحقة بالبحث، رقم (١).

(٢)انظر خريطة مسلك الحجاج الجزائريين الملحقة بالبحث (خريطة رقم (١))، ومما يُلاحظ أن خط سير مسلك ركاب الحجاج المغاربة، ومنه الجزائري، ظل ثابتا ولم يعرف تغيرا إلا في فترات متباعدة ولمسافات قصيرة حسبما يُستنتج من تتبع أوصاف الرحلات الخاصة بابن مليح والدرعي والعياشي والورثلاني وأبي القاسم الزياني. كما يُلاحظ في العديد من الرحلات، ومنها رحلة الورثلاني، اضطرابا في ترتيب وتتابع منازل ومحطات الركب، ولعل ذلك يعود إلى تداخل تقاييدهم أو أنهم سجلوا مسار رحلاتهم في وقت متأخر.

وعند الصفراء يفترق الطريق المؤدي إلى المدينة المنورة عن طريق مكة المكرمة،فالذي يتجه إلى المدينة المنورة يمر بالروحاء أو فم الروحاء (بالقرب منه مسجد غزالة أو عرف طيبة) والسيالة – ملل الحفير – ذو الحذيفة والعقيق (الأكبر)، فالمدينة.[1]

أما الذي يواصل الطريق إلى مكة فيتجه نحو وادي الوقدة (دار الشعلة) ومنه إلى بندر بدر الجديدة (به قبور الشهداء أسفل الوادي و عريش النبي صلى الله عليه وسلّم، حيث مسجد الغمامة ، وفي أسفل الكثيب (مراقد الكفر) – مسجد غزالة – قاع البزوة (أو سبيل البزوة أو سبيل السلطان) – ومستورة (ستارة أو قاع مستورة أو البزوة أو المنحوت) – هرشاء (أو عقبة هرشي) – رابغ أو رابغ الرمل (تحاذيه شرقا الجحفة ميقات أهل مصر والمغرب) – المشلل (عقبة السكر) – قديد (خيمة أم معبد) – عقبة السكر ـ الخليص– عسفان (به بئر يقال تفل فيها الرسول صلى الله عليه وسلّم عليه مسجد) – وادي العميان – بطن مرّ (أو مرّ الظهران) – وادي سرف (أو وادي الشريف) أو وادي فاطمة (به مسجد مكان قبة أم المؤمنين أميمة، حيث بنى بها الرسول صلى الله عليه وسلّم وحيث توفيت) – التنعيم (مسجد عائشة) – جنان الزهراء ـ الحجون (مقابر مكة) – الحرم المكي.[2]

ج ـ المظاهر العمرانية والمعالم التاريخية عبر مسلك الحجاج الجزائريين :

إذا استثنينا المراكز الرئيسية بالحجاز وهي مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف، فإن الرحلات الحجية تؤكد لنا أن عمران الحجاز محدود لطبيعة المنطقة الصحراوية و لتغلب البداوة وانحصار المراكز العمرانية في قرى تعتمد على التبادل التجاري والزراعة تعرف بالبيادر (ج. بيدر) لا يتجاوز عددها عشرة أهمها: بندر العقبة، بندر المويلح، ينبع النخل، بدر، مستورة، رابغ، قُديد، عسفان (الورثلاني، ١٩٠٨، ص ٣٦٦، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٧٦، ٣٧٧-٣٧٨-٣٨١).

(١)انظر خريطة مسلك الحجاج الجزائريين عبر الحجاز الملحقة بالبحث (خريطة رقم (٢)).

(٢)انظر خريطة مسلك الحجاج الجزائريين عبر الحجاز الملحقة بالبحث (خريطة رقم (٢)).

كما حظيت المظاهر العمرانية بالحجاز المرتبطة بمناسك الحج باهتمام الرحالة، فخصّوها بأوصاف ضافية ودقيقة، خاصة الحرمين الشريفين (الحرم المكي والحرم النبوي) وما حولهما من معالم تاريخية ومزارات دينية، مما يتوجب عرض أوصافها كما وردت في أهم الرحلات:

١. **مكة المكرمة**: تشوّق إلى الوصول إليها الرحالة، فخصّها الورثلاني بعبارات التعظيم والمدح والإجلال عندما ذكر دخوله إليها بقوله "فدخلنا مكة... وكأن النفوس في وليمة عظيمة لا يعلمها وما فيها من الفرح إلا الله، بل الأوراح قد تجلى عليها ربها، فخرت صعقة مغشية عليها فغيبها عن الأكوان كلها بمشاهدة سكونها" (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٣٥٢)، ووصفها أبو راس الناصري في حجته بأنها "أم القرى ذات المكارم والعلى والعرى ... ذات النعم المفعمة ... والمقر الأشرف، درة السلك النضيد وبيت المعاني إليه القصيد ... وأول بيت وُضع للناس" (الناصري، ١٩٩٠، ص ١١٨).

وقد حرص أغلب الرحالة على التأكيد على مكانتها ووصف عمارة المسجد الحرام، وتلمس أحداث السيرة النبوية في مشاهدها، و الوقوف عند بعض المعالم المهمة مثل الدار التي وُلد بها الرسول صلى الله عليه وسلّم، وكذلك دار أبي بكر، ففضّل الورثلاني الدخول إليها من الثنية العليا التي دخل منها الرسول صلى الله عليه وسلّم مكة، وقد تأسف على أن ولاتها (ولاة مكة) قد بالغوا في حفر الثنية وفي تنقيبها حتى صارت كأحد الأزقة حسب وصفه (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٣٨٤).

٢. **المدينة المنورة**: حظي المسجد النبوي الشريف بأوصاف ضافية فيها كثير من الثناء والتبجيل، خاصة الروضة الشريفة، وكانت عمارته موضع اهتمام العديد من أصحاب الرحلات الحجية الجزائرية الذين عبروا عن تشوقهم إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلّم بعبارات التشوق، فذكرها أبو راس الناصري بقوله: "ثم رحلت إلى طيبة.. المدينة المشرفة، فيا حبذا بمهبط الوحي وتشريع الأحكام، نعم المهاد ومبعث الجيوش والسرايا للجهاد وضريح سيد المرسلين.." (الناصري، ١٩٩٠، ص١١٩). كما نظموا في معالمها

العديد من القصائد، فأحمد المقري يؤلف قصيدة عنها عند حلوله بها (محرم ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ مـ)، نذكر منها هذه الأبيات (المقري، ٢٠٠٤ ب، ص ١٠٨):

فحط رحل القصد في طيبة ** فهذه قبة طه تَلُوحُ

وهذه الروضة ذات السنى ** ومسجد التقوى العلي الصروحُ

ومهبط الوحي الذي لم يزل ** به من الوهاب تأتي الفتوحُ

وتلك أرض كان يمشي بها ** فعرفها في كل وقت نُفُوحُ

ويماثله في ذلك الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي نظم رحلة حجية مع تلميذه سيدي عمر الشيخ الكنتي (الصديق، د.ت، ص ٢٣٨، شترة، ٢٠١٥، ص٢٦٢)، ذكر فيها معالم المدينة المنورة بقصيدة مطلعها (الكنتي، د.ت، ص٢٤٢ – ٢٤٣؛ شترة، ٢٠١٥، ص.٢٦٣):

بشراك يا قلبي هذا سيد الأمم ** وهذه حضرة المختار في الحَرَمِ

وهذه الروضة الغرَّاء ظاهرةً ** وهذه القبة الخضراء كالعلم

خامسًا: الروابط الروحية والتفاعل الثقافي بين الحجاز والجزائر من خلال الرحلات الحجية الجزائرية.

تضمنت الرحلات الحجية الجزائرية معلومات مهمة عن الحياة الثقافية والروحية بالحجاز وانعكاسها على المجتمع الجزائري آنذاك.

١. فمن حيث **الجانب الثقافي** سجلت لنا تلك الرحلات اللقاءات العلمية، وأشارت إلى حلقات الدرس والإجازات وأسانيد الحديث والمطارحات العلمية، وما تميّزت به من نقاش وجدال ومناظرات وإبداء الرأي في الأحكام، بحيث يمكن استخلاص ثبت بهذه المسائل ووضع قوائم بأسماء المشايخ والمتصوفة وطلبة العلم. وهذا ما يجعل الحج بالإضافة إلى كونه أداء لفريضة دينية ،مناسبة لاكتساب المعرفة والتفقه في الدين بالجلوس إلى حلقات العلم بالحرمين وحضور المناظرات والاستماع إلى قصائد في المديح النبوي وأخذ أسانيد الحديث والاطلاع على الكتب ونسخ بعض المخطوطات. وقد تسمح الرحلة الحجية لبعض

العلماء بالتأليف، فالعالم الجزائري أبو مهدي عيسى الثعالبي الزواوي (ت. ١٠٨٠ هـ/ ١٦٦٩ م)[١] عندما تحول من القاهرة للمجاورة بالحرمين حرص على جمع الأسانيد وتصنيف ما انتهى إليه منها في كتابه "كنز الرواية"، حسبما ذكر تلميذه أبو سالم العياشي صاحب رحلة ماء الموائد (سعد الله، ٢٠٠٩، ص٣٨)؛ كما عكف يحيى الشاوي الذي انتقل من الجزائر إلى إستانبول ومنها إلى الحرمين على وضع مصنفاته العديدة في الفقه والحديث بالحجاز، وقد دخل في مهاترات مع أحد علماء الحرمين وهو إبراهيم الكوراني (سعد الله، ٢٠٠٩، ص١٣٨).

ومن جهته عقد أحمد المقري التلمساني أثناء حجّاته المتكررة صلات علمية مع وجهاء وعلماء وحكام الحرمين، فنال منهم التقدير وخصّه بعضهم بالثناء والمديح نثرا وشعرا حسبما أثبت ذلك في رحلته، كما أنه ألّف أثناء مجاورته بالمدينة المنورة كتابيه: "فتح المتعال" عن نعال الرسول صلى الله عليه وسلّم و"أزهار الكمامة" (سعد الله، ١٩٩٨، ج ٢، ص ٢١٧).

وقد تعمقت صداقة المقري العلمية بالعديد من علماء الحرمين الشريفين، منهم خطيب الحرم تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم الملكي المكي الذي أجازه المقري، وكذلك مفتي الحرم الشريف وخطيبه القاضي عبد اللطيف أنسي (ت ١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م)،[٢] الذي مدحه المقري بقصيدة مطلعها (المقري، ٢٠٠٤ ب، ص٩١):

يا مبلغ النفوس ما تنويه ** من رتب التشريف والتنويه

(١) أبو مهدي عيسى الثعالبي ولد في الجزائر في مطلع القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي. درس الفقه والحديث بمدينة الجزائر، وكانت له حظوة لدى حكام الجزائر العثمانيين. انتقل إلى تونس ومنها إلى مصر والحجاز حيث درس الفقه وعلوم الحديث واللغة. توفي بمكة المكرمة.

(٢) عبد اللطيف أنسي الحنفي صاحب رسالة الأنسي إلى المولى عبد الله بن عمر معلم السلطان عثمان الثاني.

ولعل صداقة المقري مع مفتي الحرم المكي الحنفي عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد (المرشدي)[1] كانت أعمق حسبما يستنتج من المراسلات التي تبادلاها، فقد أشاد المقري به في إحدى قصائده (المقري، ٢٠٠٤ ب، ص ٦٨):

يا سائق الإظعان يزجي العيسا ** أبلغ سلامي للرضي ابن عيسى
شيخ شيوخ واحد الزمان ** مفتى الأنام عابد الرحمن
بحر العلوم جامع الأنحاء ** من خص بالإفتاء في البطحاء

وفي رسالة أخرى له عدّد المقري خصال الشيخ المرشدي، واعتبره عالم قطر الحجاز (المقري، ٢٠٠٤ ب، ص ٨٨):

شيخ المشايخ عابد ** الرحمن ذو الخلق الملائم
أعني ابن عيس من تقر ** له الأعارب والأعاجم
...
فهو الوجيه ولا مجاري ** والجواد ولامصارم

وقد بادل المفتي عبد الرحمن المرشدي المقريَ عبارات التقدير والإجلال، ففي رسالة وجهها له مؤرخة في شهر ذي الحجة (١٠٣٤ هـ / ١٦٢٥ مـ) وصفه "بفجر العلماء العاملين وذخر الفضلاء الكاملين صدر المدرسين مفيد الطالبين مولانا الشيخ أحمد المقري" (المقري، ٢٠٠٤ ب، ص ٢٢٦).

كما أن أحمد بن بلقاسم الساسي البوني (ت. ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م) عالم مدينة عنابة الذي مكث في الحجاز فترة يتلقى العلم ويتصل بالعلماء الذين أدرجهم في تراجمه "الدرة المكنونة في علماء بونة" (الساسي البوني، ١٩١٣؛ الكتاني، ١٩٨٢، ج ١، ص ١٣٦)، ذكر ما يزيد عن عشرين من شيوخه بالحجاز في رحلته الحجية "الروضة الشهية في الرحلة

(١) أبو الوجاهة المرشدي (975 – ١٠٣٧ هـ/ 1628/ م): مفتى الحرم المكي وأحد الشعراء العلماء في الحجاز. ولد بمكة، وتولى ديوان الإنشاء في ولاية الشريف محسن بن الحسين بن أبى نمى، وإمامة المسجد الحرام وخطابته والإفتاء السلطاني سنة ١٠٢٠ هـ.

الحجازية"، مع أخبار رحلته وإقامته بالحجاز والتي لا يُعرف عنها إلا ما ذكره ابنه الشيخ أحمد زروق، بعد أن فُقد أصلها على الأرجح بالحرمين الشريفين (سعد الله، ١٩٩٨، ج٢، ص٣٩٠). ويماثلها في ذلك ضياع القسم الخاص بالحجاز والمخصص للحرمين من رحلة عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري (ت. حوالي ١٢٠٠ هـ/ ١٧٩٣ م) المعروفة بـ"لسان المقال عن النسب والحال" أثناء وجوده بالحجاز وإقامته بمصر منذ ١١٦١ هـ/ ١٧٤٨ م (ابن حمادوش الجزائري، ١٩٨٢، ص٣١٨).

أما الشاعر والأديب مفتي الجزائر أحمد بن عمار (ت. حوالي ١٢٠٥ هـ/ ١٧٩١ م) الذي جاور بالحجاز (١١٦٦– ١١٧٢هـ/ ١٧٥٢ – ١٧٦٢ م)، وكتب رحلته الحجية "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب" التي ضاعت ولم يصلنا إلا القسم الأول منها المعروف بالنبذة (ابن عمار، ١٩٠٣، ص٢٨٢)، فقد أخذ الحديث بالحجاز عن أبي حفص عمر بن عقيل البلوي، كما أخذ مبادئ الطريقة الشاذلية عن عبد الله محمد التوّار التلمساني، ومن الراجح أنه أجاز قبل أن يتوفي بمكة محمد خليل المرادي (حوالي ١٢٠٥ هـ/ ١٧٩١م) (سعد الله، ١٩٩٨، ج ٢، ص٢٢٥).

وكذلك الحسين الورثلاني الذي تعرف على مجالس العلم بالحرمين، حيث لقي حسب قوله "كثيرا من الفضلاء الأجلّة والبدور الأهلة" (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٣٦٠ – ٣٦١)، وارتبط بصداقة علمية مع الشيخ السمان القرشي المدني الذي استضافه بداره بالبقيع، فأثنى عليه ووصفه "بالصفيّ الودود والنقيّ ذي الأحوال الصادقة والأنفاس الطيبة والأعمال الزكية والمواجد الأهلية والمعارف الربانية والعلوم الدينية صاحب الأوراد والمريدين" (الورثلاني، ١٩٠٨، ص٥٣٠).

وفي فترة متأخرة حرص شيخ مؤرخي العهد العثماني بالجزائر محمد أبو راس الناصري (ت. ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٣م) الذي حج مرتين (١٢٠٤ و١٢٢٦هـ/ ١٧٩٠ و١٨١١م) على أن يضمن رحلته ما عرض له من نقاش وجدال، وما ناله من إجازات، وما عقده من صلات أو حضره من دروس بعض الفقهاء، مما يؤكد التفاعل الثقافي مع علماء الحرمين الشريفين.

فذكر عن نفسه أثناء حجته الأولى: "أنه اجتمع بعلمائها (مكة) وفقهائها كالعلامة الدارك السيد عبد المالك الحنفي (الشامي القلعي) وقرأ عليه نبذة من الحديث ونبذة من الكنز وشيئا من التفسير في سورة النور، وأجازني بالباقي" (الناصري، ١٩٩٠، ص١١٨). كما أشاد بالشيخ العلاف الذي تعرف عليه بينبع ووصفه بأنه أعظم الشيوخ الذين التقى بهم، وقال عنه أنه من الأئمة الكبار وأنه فارس المنبر، وروى عنه صحيح البخاري وحصل منه على إجازة (الناصري، ١٩٩٠، ص١١٨). وأثناء ذلك تعرف على مفتي الحنفية الشيخ عبد الغني، وكذلك مفتي المالكية الشيخ الحسين المغربي، وغيرهم من العلماء مثل الشيخ الزاهد عبد الرحمن التادلي المغربي. ومما ذكره عن المناخ السائد في الحرم المكي أنه مأوى الرائح والغادي، وأنه في رحابه وحول الكعبة حصل له نقاش مع بعض فقهاء الدعوة السلفية في حجته الثانية، وقد وصفهم بالعلماء الأكابر، وقال عنهم "أنه دخل معهم في مناظرة ومناقشة واعتراضات وتساؤلات وأجوبة فائقات ودلائل قاطعات وأحاديث مروية من أكابر الأئمة من الأمهات وخاصة في قصر الصلاة" (الناصري، ١٩٩٠، ص ١١٩).

٢. أما ما يتعلق **بالبعد الروحي** الذي يبرز التواصل الحضاري والترابط الديني بين الجزائر والحجاز، فقد عبرت عنه الرحلات الحجية الجزائرية بعمق وأبرزته العديد من القصائد الشعرية بلغة فصيحة أو لسان عامي وعبارات دارجة، وهذا ما حاولت العديد من الدراسات تجاوزه بفعل الخصوصية القطرية، مع أنه عامل مؤسس لوحدة الفضاء الإسلامي، خاصة مع الجزائر لبعدها الجغرافي ومواجهتها آنذاك للضغوط الأوربية بفعل الصراع الأوربي العثماني.

وأول ما يُلاحظ في هذا الجانب هو انبهار أصحاب الرحلات أو التقاييد بمشاهد الحرمين الشريفين وتأثرهم بذكريات مواطن الوحي ومآثر الرسول صلى الله عليه وسلّم، ففضل العديد منهم التعبير عن إحساسهم الروحي نثرا ونظما، مظهرين تعلقهم بالرسول صلى الله عليه وسلّم. فالمقري عبر عن شعوره عندما قصد مكة طلبا للعمرة وأداء الحج بأبيات منها (المقري، ٢٠٠٤ أ، ص٤١):

هذي أباطحُ مكة حولي وما ** جمعت مشاعرها من الحُرُمات
أدعو بـــها لبيك تلبية امـــرئٍ ** يرجو الخلاص بها من الأزمـات

كما نظم المقري العديد من القصائد في المديح النبوي، منها هذه الأبيات (المقري، ٢٠٠٤ ب، ص٥٦):

أحمد المختار فـي العليا من ** خـــير آباء وأسـمى جـــدود
يا رسول الله يا من جاءنا عنه ** فـــي التنزيل أوفوا بالـــعقـــود
اشفع اشفع للفقير المقري يوم ** جمع الناس من بطن اللحود
فهو ذو ذنبٍ ولكن يرتجي من ** كريم عفوه يوم الوفـــود
ما ســـرى ركـــــبٌ إلـى طـــيبة أو ** غنّت الورقاء في روض الصعود
أو أتيحَ الختم بالـحسنى لـمن ** كمل الله له كل القصـــــود

وماثله في ذلك الشاعر الأديب أحمد بن عمار الجزائري الذي تضمّنت رحلته الحجازية أشعارا في المديح النبوي عُرفت بالمولديات، تنم عن عمق إحساسه وصدق عاطفته وتشوقه إلى مواطن الوحي بالحجاز، منها قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلّم، جاء فيها (ابن عمار، ١٩٠٣، ص٣١):

الركب نحو الحبيب قد ساروا ** يود شوقا إليه لو طـاروا
قلبي المُعَنَّى الكئيب قد حـنـا ** إلى التلاقي وطال ما أنا

وفي مولدية أخرى ضمّنها رحلته الحجازية، تغنى بالربوع التي عاش فيها الرسول صلى الله عليه وسلّم، بدأها على عادة الشعراء بالنسيب، جاء فيها (ابن عمار، ١٩٠٣، ص١٠):

دعاني الـحبُّ نحوك أم عـــمرو ** فطرت إليك خفاق الجنـاح
ولو أستطيع من طرب وشـوق ** ركبت إليك أجنحة الرياح

وفي موشحة أخرى خطها بمناسبة المولد النبوي (سنة ١١٦٦ هـ/ ١٧٥٣ م)، بعد عقد العزم على أداء فريضة الحج، أبدى اشتياقه إلى ربوع الحجاز وما حولها، ومما جاء فيها (ابن عمار، ١٩٠٣، ص٤٥):

أَ نسيمًا بات من زهر الـربا ** يقتفـــي الركبان
احـملْنَّ منِّي سلاما طيبـا ** لأهـــيل البـان
إقرأن مـنِّي ســلاما عـبِقًا ** إن بدت نجــد
أن لـي قـلبا إليها شيقا ** شفه وجـــد

وقد جاراه في ذلك معاصره الشيخ أبو العباس أحمد المنقلاتي في موشحته "نلت المراح"، التي استهلها بالتطلع إلى مواطن النبوة بالحجاز ، بهذه الأبيات (ابن عمار، ١٩٠٣، ص٢٨):

بالله حادي القـطار ** قف لي بتلك الديار ** واقرأ سلاما
سلم على عرب نجد ** واذكر صبابة وجدي ** كيف يلام
من بادرته الدموع ** شوقا لتـلك الربـوع ** مع المقام

أما الشعر الملحون فكان أكثر التصاقا بضمير العامة وأكثر أثرا في حشد النفوس المتعلقة بمواطن الوحي والإشادة بمآثر الرسول صلى الله عليه وسلّم وصحبه. وقد نظم رحلاته شعرا ملحونا أو عاميا كثير من الرحالة، اشتهر منهم كل من أبي عثمان سعيد المنداسي، ومحمد بن مسايب التلمساني، وأحمد بن التريكي التلمساني.

وقد وضع أبو عثمان سعيد المنداسي التلمساني (ت. ١٠٨٨ هـ/ ١٦٧٧ م)[1] رحلته الحجية في شكل قصيدة عُرفت بالعقيقة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلّم، وتوقف فيها عند الأماكن التي ارتبطت بحياة الرسول صلى الله عليه وسلّم، نظمها في بلاط السلطان

(١) أبو عثمان سعيد بن عبد الله التلمساني المنداسي. ولد بتلمسان وعاش فيها في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي. تعلم فيها الفقه واللغة والأدب وعُرف بنظم الشعر. انتقل إلى المغرب الأقصى واستقر بسجلماسة، وكانت له مكانة في البلاط العلوي.

العلوي مولاي إسماعيل بالمغرب مستلهما فيه سفره إلى الحجاز، بلغت أبياتها ٣٠٢ بيتا، وكانت لها شهرة واسعة وتناقلها الرواة، ووضعت لها شروح عديدة منها سبعة شروح خصها بها أبو راس الناصري (الناصري، ٢٠٠٧، ص١٨٩)،[1] وقد بدأها المنداسي على عادة شعراء البلاط بالتغزل وذكر الأماكن القريبة من مكة والمدينة (المنداسي، ١٩٦٨، ص ٥ – ٤٣):

كيف يُنسى قلبي عرب العقيق والبان ** والعقيق يا قلايده انهلـــوا

بعدها ذكر كرامات الرسول صلى الله عليه وسلّم وأحداث سيرته العطرة بأبيات مؤثرة منها (المنداسي، ١٩٦٨، ص٢٢):

حط الرحال يا حادي العيس كن مهمام ** ذي منازل من قال الله عليه صلوا

هـذي هي الديار يا بـــــاكي الأرســام ** عرّات يد النسيب للمدح خطـــاها

هذه الروضة الـــمشرفة دفـــــعت الأنام ** هذه طيبة ضحك مع العين وطـــاها

هذي عين الوجود والرحمة طه

أما محمد بن مسايب التلمساني[2] فخاطب في رحلته الحجية حمامة (الورشان) تصور أنها تطير إلى محط أشواقه، واستذكر في شعره الموجه لها مميزات مراحل الرحلة وصفات مواطن الوحي، مثل قوله في مقام الرسول صلى الله عليه وسلّم (Bencheneb, 1900, p 282):

قـــــــل له يا طـــيب الأنفـــاس ** جست لرسول نَدِّ القرطاس

في الحشر توقف فيه الناس ** بغيتك تقول أنا لهـا

أما رفيق دربه وصنوه في الشعر الشعبي أحمد بن التريكي[3] فقد ذكر أنه نظم رحلته الحجية شعرا (١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م) على غرار ابن مسايب، ووصف فيها مكة ومشاهد

(١) العقيقة في مدح الرسول ومآثر الحجاز، تناقلها رواة الشعر الشعبي، ووُضعت لها شروح عديدة منها شرح ابن سحنون الراشدي، وخصّها أبو راس الناصري بسبعة شروح.

(٢) محمد بن مسايب التلمساني: شاعر جزائري من أصول أندلسية. وُلد بمدينة تلمسان، عُرف بأشعاره في الغزل والرثاء والمديح الصوفي. توفي بتلمسان على الأرجح بعد ١١٨٢ هـ/ ١٧٦٨ م.

(٣) أحمد بن التريكي: وُلد بتلمسان أواسط القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي في أسرة كرغلية لأب تركي). اشتهر بكتابة الشعر الملحون. نُفي من موطنه تلمسان، وتوفي بوجدة.

الحجاز ومحطات الطريق (العقبة، مغاير شعيب، أكرا، وادي النور، رابغ، المدينة، جبل عرفات) (Hamidou,1936, p1030-1031)، مظهرا تشوقه ومعبرا عن عواطفه الجيّاشة، ورغم ضياع الرحلة فإن ما بقي من شعره العامي يعطي لنا فكرة عن سياقها وموضوعها وتعلقه بالرسول صلى الله عليه وسلّم (الغوتي، ١٩٠٤، ص٧٥؛ المنداسي، ١٩٦٨، ص٢٢):

شـعـلـت نـيـرنا اكـبادي ** وعييت ما نبكي ولا نفعني نـواح
طـابوا بالدمـع أثـمـادي ** لو صبت نزور مقام راحتي نستراح
صـلى الله عـلى الـهـادي ** مولى الكعبة المشرفة مليح الإصلاح
لو صـبت نـزور مقام ** بـدر التـمـام
يتفـاجـأ كل غـمـام ** يـتـجـلاو الـهـمـوم

ويُستخلص من البعد الروحي الذي يمكن تلمسه في الرحلات الحجية الجزائرية شيوع التصوف وانتشار الاعتقادات والعادات الساذجة في الأوساط الشعبية، والتي هي انعكاس لحالة الانغلاق والجهل و تعبر عن المستوى المعرفي البسيط الذي كان يطبع ذهنية الانحطاط السائدة في المجتمعات المحلية آنذاك.

ومع أن التصوف يمكن اعتباره سلوك شخصي رافض لضغوط الحياة ومنسحب من واقعها، وأن بعض الاعتقادات الشعبية تنافي روح الدين ومتطلبات العقل وتعتبر تصرفات منافية لجوهر الشريعة، إلا أنها تظل ظواهر تاريخية لا يمكن تجاوزها أو تجاهلها لارتباطها بالذاكرة الشعبية وحمية الشعور الديني والتشوق إلى كل ما يعبر عن مآثر الرسول صلى الله عليه وسلّم والصحابة رضوان الله عليهم من خلال فكرة قدسية الأماكن التي شهدت نزول الوحي وعرفت أحداث النبوة، وهذا ما يجعل التبرك بقبور الأولياء والصالحين وزيارة أضرحتهم وتقديم النذر للقائمين عليها، من منظور التحليل التاريخي، سلوكا اجتماعيا أكثر منه تراثا مرتبطا بالشعائر الدينية، وإن كان فيها إخلال بصفاء العقيدة الإسلامية لكونها مخالفات وممارسات شركية حاربتها الحركات الإصلاحية الإسلامية.

على أن أهمية الاعتقادات الشعبية في الكرامات تكمن في كونها تقدم صورة روحانية تعبر عن وجدانية الذاكرة الحضارية للموروث الشعبي، فضلا عن كونها تكرس سلوك الورع والصدق ومحاولة الارتباط بموروث الذاكرة، ولم تستثن هذه الاعتقادات الخاصة، مع ما يُلاحظ من اختلاف بين اعتقادات العامة التي ترى في التبرك والنذر مطلبا واجبا، وبين نظرة الخاصة التي تسلم بهذا الأمر مع بعض التحفظات. فالرحالة الورثلاني، رغم تصديقه لكل ما يسمعه وتسليمه بتلك الاعتقادات الساذجة بفعل الورع ومجاراة الرأي السائد الذي يجعله يثبت ما تعتقده العامة (قوقام، ١٩٧٦، ص٣٢)، إلا أنه يحاول إيجاد تبرير وتفسير لها، فهو على سبيل المثال يُسلم بأن الأنوار التي ذكر أنها شوهدت في الخليص من جهة المدينة هي أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ويضيف أنها لا يمكن أن تكون برقا، لأن البروق في نظره تغير مكانها، ولأن الليلة كانت صحوا (الورثلاني، ١٩٠٨، ص ٣٨١ – ٣٨٢). كما تهيأ له أيضا أنه شاهد أنوار الرسول صلى الله عليه وسلّم من المدينة وهو ببدر، ونفى أن تكون تلك الأنوار بروقا (الورثلاني، ١٩٠٨، ص ٣٤٦)، كما ذكر أنه تهيأ له عند بلوغه بدر سماع صوت الطبل الذي وقع به النصر للرسول صلى الله عليه وسلّم، وعلّل الأمر بأن هذا الصوت لا يسمعه إلى من خصّه الله بتلك المزية العظمى، معتبرا أن ذلك من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلّم الباقية (الورثلاني، ١٩٠٨، ص ٣٦٥).

الخاتمة:

يمكن إجمال استنتاجات البحث في النقاط التالية:

١. إن الرحلات الحجية الجزائرية توفر مصدرا مهما للتعرف على أوضاع الحجاز، فهي تكمل مصنفات المسالك والجغرافية الوصفية، وتشكل حلقة تواصل بين الرحلات الأخرى المشكلة لتراث الرحلة الأندلسي والمغاربي. فهي جزء مهم ضمن التراث المشترك لأدب رحلات الحج، فإن كانت لا ترقى في مجملها إلى مستوى كتب المسالك والجغرافية الإسلامية التي وضعها أمثال البكري والإدريسي والزهري وابن سعيد وابن عبد المنعم، ولم يكن لها

صدى الرحلات الحجية الرئيسية التي كتبها كل من ابن جبير وابن رُشيد والبلوي والتجيبي وابن مليح السراج والعياشي والدرعي والإسحاقي (نواب، ٢٠٠٨، ص٣٩-٩٦؛ ماكامان، ٢٠١٤، ص٥٥٢؛ سعيدوني، ٢٠١٣ ب، ص٧٠٥)، إلا أنها من حيث خصوصيتها ونوعية المعلومات التي تتضمنها والشحنة العاطفية التي تحملها والمقاربة النفسية التي تعبر عنها بالنسبة لأوضاع الحجاز ومكانة الحرمين الشريفين، تظل في نظرنا مجالا للدراسة وميدانا للبحث بهدف استكمال مصادر الحجاز في الفترة العثمانية وخاصة القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة/ السابع عشر والثامن عشر الميلاديين.

٢. رغم خصوصية الرحلات الحجية الجزائرية وأهمية مضمونها المعرفي ودلالاتها الأدبية والاجتماعية والنفسية إلا أنها لم تحظ بالاهتمام اللائق بها، ولم تنل ما تستحقه من الدراسة، فنظر إليها البعض على أنها جزء من الرحلات المغاربية، واعتبرها آخرون أنها أقل شأنا من رحلات المغرب الأقصى من حيث العدد والمحتوى بسبب ضياع الكثير منها ووصول أجزاء منها فقط إلينا،كما هو الحال بالنسبة لرحلات ابن عمار وأحمد الساسي البوني وعبد الرزاق بن حمادوش وعبد القادر بن مبارك القسنطيني. ويُضاف إلى ذلك أن أغلب من اهتم بتسجيل رحلته من علماء الجزائر، فضل العيش في أقطار المشرق والمجاورة بالحرمين الشريفين مثل: يحيى الشاوي، وأحمد المقري وأحمد بن عمار، أو آثر الاكتفاء بتقييد رحلته ضمن ما صنفه من كتب الفقه والحديث وعلوم اللغة مثل أبي مهدي عيسى الثعالبي، وعبد الكريم بن احمد التواتي، وأبي راس الناصري.[١]

٣. تميّزت الرحلات الحجية الجزائرية بالاختلاف في الشكل والتباين في المحتوى والتنوع في الأسلوب، فهناك رحلات كُتبت نثرا مثل رحلة الورثلاني وأبي راس الناصري، وهناك ما زاوج بين النثر والشعر مثل رحلة المقري وابن عمار، ومنها ما وُضع نظما فصيحا كرحلة المجاجي وابن زرقة الدرقاوي، أو شعرا ملحونا دارجا في شكل رحلات منظومة كما هو حال أبي عثمان سعيد المنداسي ومحمد بن مسايب التلمساني وأحمد بن التريكي، كما أن

(١) انظر جدول الرحلات ضمن البحث.

بعض هذه الرحلات جاء في شكل تقاييد تعتمد النثر المسجوع أو المرسل مع التركيز على أحداث السيرة النبوية وموطن الوحي والشعائر الدينية، مثل رحلات محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، وعبد الكريم بن امحمّد التواتي، وأبي مهدي عيسى الثعالبي، ومنها أخيرا ما سجله ونقله الطلبة وحافظوا عليه كرحلة الورثلاني، أو تناقلوه عن طريق السماع المتواتر، مثل رحلة عاشور بن موسى القسنطيني.[1]

ورغم ما قد يؤكد على هذا التنوع وما يلاحظ أحيانا من خروج عن الشكل المعتاد والمتعارف عليه في الرحلات، إلا أن ذلك في نظرنا لا يقلل من أهميتها كإسهام غني وتراث حي وحصيلة ثقافية متنوعة من حيث الأسلوب والمضمون، تسمح للباحث بالاستقصاء والاستنتاج والتحليل والملاحظة، بما يمكنه من تقديم تصور موضوعي لمشاهد الحج ومعالم الحجاز ومؤسساته العلمية ومراحل ومنازل الطريق، من حيث أن الرحلة الحجية تعبر عن موقف حضاري وتشكل فضاءً أدبيا وروحيا يرتبط بأداء فريضة الحج وزيارة الحرمين الشريفين.

٤. يعتبر البحث المقدم محاولة لاستغلال المادة الخبرية والمضمون المعرفي ولو بشكل غير مباشر ،بهدف تلمس أوضاع الحجاز من حيث مظاهرها السياسية والإدارية والاقتصادية والثقافية والروحية، ومعالمها الجغرافية والعمرانية. وقد اعتمد في ذلك منهجا تحليليا يقوم على استقصاء المادة الخبرية وتحليلها وتركيب عناصرها بغية رسم صورة معبرة عن بعد إنساني ورؤية حضارية وإحساس روحي لرحلة الحجاج الجزائريين وتعرفهم على واقع الحجاز، وهذا ما يتطلب مستقبلا استكمال المادة الخبرية التي توفرها الرحلات الحجية الجزائرية وبذل جهد إضافي وبحث مركز للعثور على ما فُقد منها ونفض الغبار عما ظل منها في المكتبات الخاصة أو العامة بمصر والحجاز مثل الأجزاء الناقصة من رحلات ابن عمار (نحلة اللبيب)، وابن حمادوش (لسان المقال)، وأبي راس الناصري (عدتي ونحلتي في تعداد

(١) انظر جدول الرحلات ضمن البحث.

رحلتي). و لعل هذا ما دفع العالم والباحث الجزائري أبا القاسم سعد الله إلى القول بأن البحث عن الضائع منها ودرس الموجود وتقييمه واجب علمي (سعد الله، ١٩٧٩، ج٢، ص٣٤٤)، وهذا ما شعرنا به وشجعنا على المساهمة بكتابة هذا البحث ضمن هذا الجهد العلمي الضروري.

٥. كان لرحلة الحج الجزائري أثر بالغ في الحياة الثقافية والاجتماعية وخاصة الروحية، باعتبارها عامل تواصل ووسيلة تفاعل، فقد كان ركب الحج في مختلف البلاد الإسلامية وخاصة المغاربية منها شبه مدرسة متنقلة وحلقات درس ووعظ متجددة في كل المحطات والمنازل، وخاصة في رحاب الحرمين الشريفين حيث تُعقد مجالس العلم وتقام المناظرات والمناقشات وتلقى قصائد المدح ويسعى ذوو القريحة الأدبية والمعرفة الدينية لإثبات مكانتهم وكفاءتهم اللغوية ومقدرتهم الأدبية واستحقاقهم للإجازات العلمية والمنزلة الاجتماعية وجدارتهم بلقب الحاج الذي يُكسب صاحبه مكانة اجتماعية واعتبارا أدبيا في مجتمعه المحلي.

هذا ويمكن بالرجوع إلى الرحلات الحجية الجزائرية وضع جداول إحصائية تسمح برصد العلاقات الثقافية الجزائرية-الحجازية في مجال التأليف الديني والأدبي، ومسائل المناظرات والإجازات، وقضايا التأثير وانتقال الأفكار وشيوعها لدى الخاصة وبين العامة، خاصة ما يتعلق منها بالطرق الدينية و التصوف، وظاهرة الهجرة إلى الحجاز طلبا للعلم أو رغبة في المجاورة وبحثا عن الراحة النفسية.

٦. تندرج الرحلات الحجية الجزائرية ضمن التراث الثقافي والرصيد الروحي للشعب الجزائري، وتشكل من حيث تأثيرها و انعكاساتها رابطة قوية تشد المجتمع الجزائري إلى فضائه الروحي وبعده الحضاري. وذلك جانب وجب التركيز عليه في دراسة واقع الرحلات الحجية باعتباره المعبر الصادق عن عمق التواصل بين الجزائر وبلاد الحرمين الذي ظلت تختزنه الذاكرة التاريخية والمخيال الشعبي للفرد الجزائري الذي حافظ على قدسية رحلة الحج، وأعطى لها بعدا اجتماعيا وسلوكيا لا نجده في المصادر التاريخية العادية، ولا يمكن استنتاجه من الوثائق الأرشيفية.

فالأبعاد الروحية والنفسية لا يمكن مقاربتها إلا من خلال دراسة الرحلة الحجية عامة والجزائرية منها خاصة التي تعكس موروثا شعبيا وتصورا دينيا، ويمكن من خلالها استنتاج معطيات تتعلق بالأحوال الشخصية كالزواج و واقع المرأة المسلمة ومسألة الميراث وظاهرة قطع الميراث والسلوكات المختلفة من انضباط وحشمة وتبرج ، ومسألة الوعظ والإرشاد و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر والموقف من الظواهر السلبية للعادات والتقاليد المنحرفة عن روح الإسلام، وكيفية التعامل من قضايا طارئة كشرب القهوة وتدخين التبغ وسماع الموسيقى والتي كانت مجال نقاش وموضوعا لإبداء الرأي في تلك الفترة التاريخية (عزي، ٢٠١١، ص٨٠ – ٨١؛ سعد الله، ج٢، ص ٣٩٨).

٧. إن الرحلات الحجية الجزائرية باعتبارها مصدرا مهما لواقع الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة/ السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، تتطلب في بحوث مستقبلية مقارنة محتواها المعرفي بمضمون باقي الرحلات الأخرى بهدف استكمال صورة الحجاز في مختلف أوجه الحياة، خاصة فيما يتعلق بخط سير الركب ومحطاته والمراكز العمرانية المنتشرة على طوله والحالة الاقتصادية والاجتماعية والوضع الصحي والسياسي السائد بالحجاز، إذ يلاحظ بالرجوع إلى الرحلات المغاربية الأخرى وجود اختلاف بينها في تحديد خط سير الركب ومحطاته وفي وصف المراكز العمرانية عبره، وهذا ما يطرح التساؤل عن إمكانية اعتماد دراسة تحليلية مقارنة قائمة على رصد التطورات في المكان والزمان بالاعتماد على محتوى الرحلات الحجية، وبملاحظة ما جد على أوضاع الحجاز من تحول بفعل شروط المكان وظروف الزمان، وبذلك يتعرف الباحث بشكل موضوعي على واقع الحياة العلمية والاجتماعية والثقافية وعلى ما طرأ على خط سير الحجاج من تغير في مساره وفي محطاته.

وفي ختام البحث نؤكد على ما سبق ذكره من أن استغلال المضمون العلمي والدلالات الأدبية والنفسية للرحلات الحجية الجزائرية في بعدها الزمني ومضمونها الاجتماعي، يتطلب معاجلة متزنة تتجنب الأحكام والاستنتاجات المبالغ فيها والمتسرعة أو إهمال العادات والتقاليد كما هي في واقع الحياة في مكان وزمان محددين وليس كما تتصورها

الرؤى الإصلاحية التي تعالج قضايا الماضي انطلاقا من اعتبارات الحاضر وطموحاته، إذ يجب أن لا ننسى بأن الرحلات الحجية تختزن مضامين أنثروبولوجية ودلالات اجتماعية هي نتيجة احتكاك ثقافي وتعامل اجتماعي وضرورات اقتصادية وتواصل روحي، مما يجعلها بحق نتاجا تراثيا متميزا في الفضاء الشاسع للذاكرة التاريخية للمجتمعات العربية الإسلامية.

المصادر والمراجع:

ابن حمادوش الجزائري، عبد الرزاق. (١٩٨٢). *لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال*. تقديم وتحقيق وتعليق: أبي القاسم سعد الله. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

ابن سودة، عبد السلام. (١٩٦٠). *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*. الدار البيضاء: دار الكتاب. ٢ ج.

ابن عمار، أبو العباس أحمد. (١٩٠٣). *نحلة اللبيب في الرحلة إلى الحبيب* (نبذة عن الرحلة: المقدمة). تحقيق: محمد بن أبي شنب. الجزائر: مطبعة فونتانا.

ابن مسايب، محمد. (١٩٨٩). *الديوان*. إعداد وتقديم: الحفناوي أمقران السحنوني وأسماء سيفاوي. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

الأرشيف الوطني الجزائري، الوثائق العثمانية، ميكروفيلم رقم MI 15، شريط (bobine) ٥٣ / ٤٣٣ (الوثيقة بإمضاء حسن باشا والي محروسة جزائر غرب).

أنيس، محمد وحراز السيد رجب. (١٩٦٧). *الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر*. القاهرة: مكتبة النهضة العربية.

بوسعيد، أحمد بن محمد. (٢٠٢٢). *ركب الحج من الجزائر في العهد العثماني (١٥١٨ – ١٨٣٠م)*. الجزائر، دار الكتاب العربي.

الحفناوي،أبو القاسم محمد.(١٩٨٢).*تعريف الخلف برجال السلف*.بيروت: مؤسسة الرسالة.٢ج.

الدرعي، أحمد بن محمد بن ناصر. (١٩٠٢). *رحلة شيخ الطريقة وقعدة الشريعة والحقيقة قدوة الأنام وعلم الأعلام شيخ الإسلام ومقرب السالكين العظام أبو العباس سيد أحمد بن محمد ناصر الدرعي الجعفري الزينبي*. فاس: المطبعة الفاسية.

ريزفان، يغيم. (١٩٩٣). *الحج قبل مائة سنة: الرحلة السرية للضابط الروسي عبد العزيز دولتشين السرية إلى مكة ١٨٩٨ – ١٨٩٩*، ط. ٢. بيروت: دار التقريب بين المذاهب.

الزهار، أحمد شريف، نقيب أشراف الجزائر. (١٩٧٤). *مذكرات*. تحقيق ونشر: أحمد توفيق المدني. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر.

الساسي البوني، أبو القاسم أحمد بن بلقاسم. (١٩١٣). *الدرّة المكنونة (أو المصونة) في علماء بونة (الألفية الصغرى)*. نشر: محمد بن أبي شنب. الجزائر: التقويم الجزائري.

سعد الله، أبو القاسم. (١٩٧٩). *الرحلات الجزائرية الحجازية خلال العهد العثماني*، ضمن كتاب *مصادر تاريخ الجزيرة العربية*. نشر: جامعة الرياض. الرياض: مطابع حامد. ج. ٢.

سعد الله، أبو القاسم. (١٩٩٨). *تاريخ الجزائر الثقافي*. بيروت : دار الغرب الإسلامي. ج. ٢.

سعد الله، أبو القاسم. (٢٠٠٩). *على خطى المسلمين (حراك في التناقض)*. الجزائر: عالم المعرفة.

سعيدوني، ناصر الدين. (٢٠٠٨). *الإسكندرية محطة الحجاج المغاربة أثناء العهد العثماني*. مجلة الخليج للتاريخ والآثار، عدد ٤، أبريل ٢٠٠٨ / ربيع الأول ١٤٢٩ ه.

سعيدوني، ناصر الدين. (٢٠١٣ أ). *دور مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين في علاقات الجزائر بالبقاع المقدسة*، ضمن كتاب: *الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني (ق. ١٧ – ١٩ م)*. الجزائر: دار البصائر الجديدة.

سعيدوني، ناصر الدين. (٢٠١٣ ب). *من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين*. الجزائر: دار البصائر الجديدة.

سعيدوني، ناصر الدين. (٢٠١٦). *كشاف بالإسهام المغاربي في مجال المعارف الإنسانية*. الجزائر: دار البصائر الجديدة. ٢ج.

سليم، محسن محمد حسن. (١٩٩٣). *دراسات في تاريخ شبه الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر للهجرة*. القاهرة: دار الكتاب العربي.

شترة، خير الدين. (٢٠١٥). *رحلات جزائرية (رحلة الشيخ عبد الرحمن بن إدريس التينلاني)*. بوسعادة (الجزائر): دار كردادة.

الشرقاوي، محمد عبد المنعم والصياد، محمد محمود. (١٩٥٢). *هذا العالم*، ط. ٢. القاهرة: دار المعارف.

الصديق، حاج أحمد. (د.ت). *التاريخ الثقافي لإقليم توات*. أدرار (الجزائر): مديرية الثقافة.

عبد الرحيم، عبد الرحمن عبد الرحيم. (١٩٧٩). *الدولة السعودية الأولى (١١٥٨ – ١٢٣٣ هـ/ ١٧٥٤ – ١٨١٨ م)*، ط. ٣. القاهرة: دار الكتاب الجامعي.

العبدري الحاحي، أبو عبد الله محمد. (١٩٦٨). *ما سما إليه الناظر المطرق في خبر الرحلة إلى بلاد المشرق (الرحلة المغربية)*. تحقيق ونشر محمد الفاسي، الرباط: جامعة محمد الخامس.

عزي، عبد الرحمن. (٢٠١١). *التواصل القيمي في الرحلة الورثلانية*. الجزائر: مؤسسة كنوز الحكمة.

عمالك، أحمد. (٢٠٠٠). *ركب الحج الناصري زاوية متنقلة*. مجلة أمل، عدد ١٩ – ٢ – ٢٠٠٠.

عنان، محمد عبد الله. (١٩٧٠). *تراجم إسلامية وأندلسية*، ط. ٢. القاهرة: مكتبة الخانجي.

العياشي، أبو سالم عبد الله بن محمد. (١٨٩٨). *ماء الموائد المعروف برحلة العياشي*. طبعة فاس الحجرية، ١٣٠٦ هـ/ ١٨٩٨ م.

غرابية، عبد الكريم. (١٩٨٤). *تاريخ العرب الحديث*. بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع.

غنيم، عبد الله يوسف. (٢٠٠٥). *أشكال سطح الأرض في شبه الجزيرة العربية في المصادر العربية القديمة*. الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي والجمعية الجغرافية الكويتية.

الغوتي، أبو علي. (١٩٠٤). *كشف السماع عن آلات السماع*. الجزائر: مطبعة جوردان.

قوقام، يوسف. (١٩٧٦). *الشيخ الحسين الورثلاني من خلال كتاب الرحلة*. مجلة الثقافة، الجزائر، عدد ٣٥/ ١٩٧٦.

الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير. (١٩٨٢). *فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات*. تحقيق: إحسان عباس، ط. ٢. بيروت: دار الغرب الإسلامي. ج. ١.

كحالة، عمر رضا. (١٩٢٥). *جغرافية شبه جزيرة العرب*. دمشق: مطبعة الترقي.

الكنتي، محمد بن المختار. (د.ت). *الطرائف والتلائد (مخطوط)*. خزانة أدغاغ، أدرار (الجزائر).

الماجري، أحمد بن إبراهيم. (٢٠١٣). *المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح*. تحقيق عبد السلام السعيدي. الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية.

ماكامان، محمد. (٢٠١٤). *الرحلات المغربية (ق. ٩ – ١٢ هـ)*. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الرباط: جامعة محمد الخامس، مطبعة الأمنية.

المقري، شهاب الدين أبو العباس أحمد. (٢٠٠٤ أ). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر. ج. ١.

المقري، شهاب الدين أبو العباس أحمد. (٢٠٠٤ ب). *رحلة المقري إلى المغرب والمشرق*. تحقيق: محمد بن معمر. وهران: منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا بجامعة وهران، مكتبة الرشاد.

المنداسي، أبو عثمان سعيد. (١٩٦٨). *الديوان*. تقديم وتحقيق: محمد بكوشة. الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع.

المنوني، محمد. (١٩٨٩). *الجزيرة العربية في الجغرافيات والرحلات المغربية وما إليها*، ضمن *أعمال ندوة مصادر تاريخ الجزيرة العربية*. الرياض: مطابع حامد. الكتاب الأول.

الناصري المعسكري، محمد أبو راس. (١٩٨٦). *فتح الإله ومنّتِه في التحدث بفضل ربي ونعمته* (حياة أبي راس الذاتية والعلمية). تحقيق وضبط وتعليق: محمد بن عبد الكريم الجزائري. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

الناصري المعسكري، محمد أبو راس. (٢٠٠٤). *عجائب الأسفار ولطائف الأخبار*. تحقيق: محمد غالم. وهران، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية. ج. ١.

الناصري المعسكري، محمد أبو راس. (٢٠٠٧). *الدرّة الأنيقة في شرح العقيقة*. تحقيق وتقديم: أحمد أمين دلّاي. وهران: منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية.

نواب، عواطف. (٢٠٠٨). *كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدرا من مصادر تاريخ الحجاز (ق. ١١ – ١٢ هـ)*. الرياض: دارة الملك عبد العزيز.

هلايلي، حنيفي. (٢٠٠٨). *الجزائريون والرحلة إلى الحجاز على ضوء رحلتي الورثلاني وأبو راس الناصري*، ضمن كتاب *أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني*. عين مليلة (الجزائر): دار الهدى.

الورثلاني، الحسين بن محمد السعيد. (١٩٠٨). *نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثلانية*. تحقيق ونشر: محمد بن أبي شنب. الجزائر: مطبعة بيير فونتانا.

Bencheneb, Mohammed. (1900). « Itinéraire de Tlemcen à la Mekke par Ben-Messaib (XVIIIè siècle) », *Revue africaine*, 44ème année, n° 238-239, 1900.

Faure Biguet, G. (1899). « Notice sur le Chick Abou Ras En-Nassiri ». *Journal asiatique*, 9ème série, 1899.

Hadj-Sadok, Mohammed. (1951). « A travers la Berbérie orientale du XVIIIème siècle : avec le voyageur Al-Wartilani ». *Revue africaine*, n° 95 / 1951.

Hamidou, Abdelhamid. (1936). « Aperçu sur la poésie vulgaire de Tlemcen : Les deux poètes populaires de Tlemcen Ibn Amsaib et Ibn Triki ». *Actes du 2ème congrès de la Fédération des sociétés savantes de l'Afrique du Nord (F.S.S.A.N.)*, Tlemcen, 14-17 avril 1936. Alger : Société historique d'Algérie, 1936, T. II.

Rocqueville, Sieur de. (1775). « Relation des mœurs et du gouvernement des Turcs d'Alger ». Paris : Oliviers.

Saidouni, Nacereddine. (2007). *Les liens de l'Algérie ottomane avec les lieux saints de l'Islam, (in Le waqf en Algérie à l'époque ottomane (XIè – XIIIè siècles de l'hégire*. Kuwait : Fondation publique des Awqaf, 2007.

Vallière, Consul C. Ph. (1781). *Mémoire*, pub. par L. Chaillou sous le titre : *L'Algérie en 1781*. Toulon : Chez l'auteur, s.d.

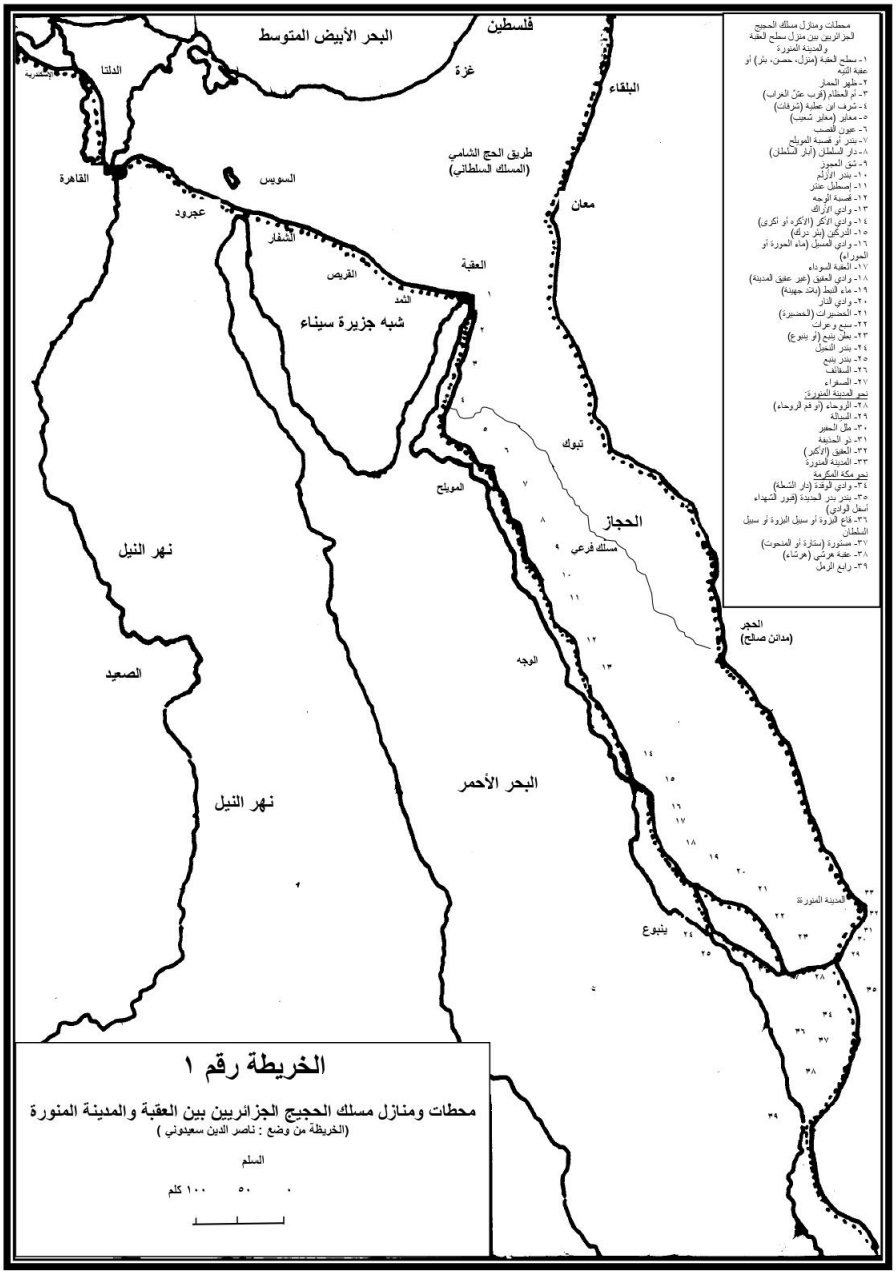
البحر الأبيض المتوسط
فلسطين
غزة
البلقاء
الإسكندرية
الدلتا
القاهرة
السويس
طريق الحج الشامي
(المسلك السلطاني)
معان
عجرود
الشفار
القريص
النمد
العقبة
شبه جزيرة سيناء
تبوك
الحجاز
الحجر
(مدائن صالح)
الوجه
نهر النيل
الصعيد
البحر الأحمر
المدينة المنورة
ينبوع
محطات ومنازل مسالك الحجيج
الجزائريين بين منزل سطح العقبة
والمدينة المنورة
١- سطح العقبة (منزل، حصن، بئر) أو
عقبة الثنية
٢- مطوي الحمار
٣- أم العظام (قرب عتاّل الغراب)
٤- ثرف ابن عطية (شرفات)
٥- معابر (معابر شعيب)
٦- عيون القصب
٧- بئر أو قصبة المويلح
٨- دار السلطان (آبار السلطان)
٩- شق العمواز
١٠- بئر الأزلم
١١- إصطفل عنتر
١٢- قصبة الوجه
١٣- وادي الأزلام
١٤- وادي الأكر (الأكراء أو أكرى)
١٥- التركمان (بئر تركمان)
١٦- وادي الصفيل (ماء العمورة أو
العمورا)
١٧- الحفيرة السوداء
١٨- وادي الحفير (غير عفيق المدينة)
١٩- ماء النمط (بادئ جهينة)
٢٠- وادي النار
٢١- الحصيرات (الحصيرة)
٢٢- سميع وعرات
٢٣- بطن ينبع (أو ينبوع)
٢٤- بئر النخيل
٢٥- بئر ينبع
٢٦- السلالف
٢٧- الصفراء
يجور المدينة المنورة:
٢٨- الروحاء (أو ذو الروحاء)
٢٩- السقيا
٣٠- ملل الحفير
٣١- ذو الحليفة
٣٢- العقيق (الأكبر)
٣٣- المدينة المنورة
يجور مكة المكرمة
٣٤- وادي الوقدة (دار الشطاة)
٣٥- بئر بدر الجديدة (قبور الشهداء
أسفل الوادي)
٣٦- قاع البزوة أو سبيل البزوة أو سبيل
السلطان
٣٧- صفورية (منارة أو للمحدث)
٣٨- عقبة هرشي (هرشاء)
٣٩- رابع الرمل
مسلك فرعي
الخريطة رقم ١
محطات ومنازل مسلك الحجيج الجزائريين بين العقبة والمدينة المنورة
(الخريطة من وضع : ناصر الدين سعيدوني)
السلم
٠ ٥٠ ١٠٠ كلم

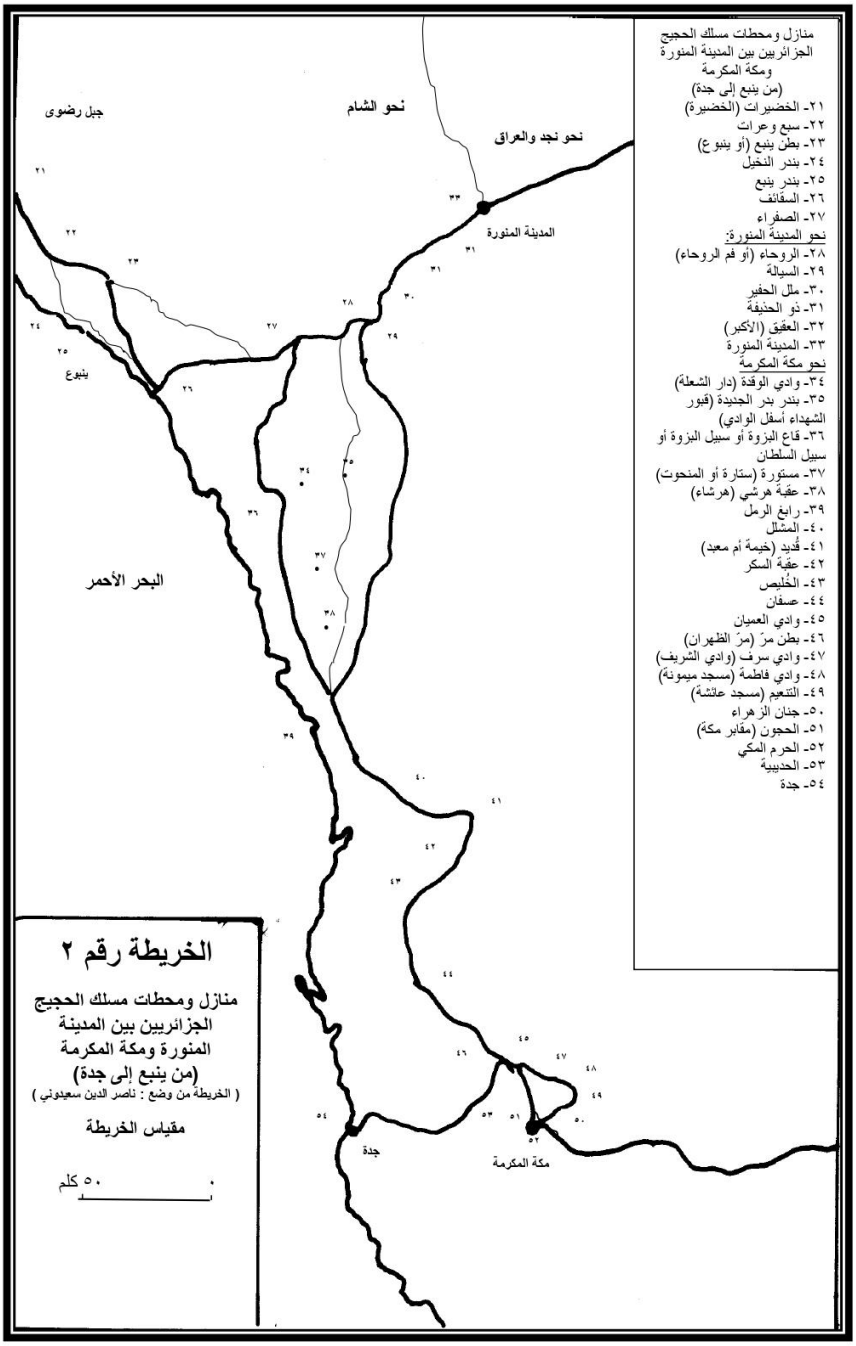
منازل ومحطات مسالك الحجيج الجزائريين بين المدينة المنورة ومكة المكرمة
(من ينبع إلى جدة)
٢١- الخضيرات (الخضيرة)
٢٢- سبع وعرات
٢٣- بطن ينبع (أو ينبوع)
٢٤- بندر النخيل
٢٥- بندر ينبع
٢٦- السقّائف
٢٧- الصفراء
نحو المدينة المنورة:
٢٨- الروحاء (أو فم الروحاء)
٢٩- السيالة
٣٠- ملل الحفير
٣١- ذو الحنيفة
٣٢- العقيق (الأكبر)
٣٣- المدينة المنورة
نحو مكة المكرمة
٣٤- وادي الوقدة (دار الشعلة)
٣٥- بندر بدر الجديدة (قبور الشهداء أسفل الوادي)
٣٦- قاع البزوة أو سبيل البزوة أو سبيل السلطان
٣٧- مستورة (ستارة أو المنحوت)
٣٨- عقبة هرشي (هرشاء)
٣٩- رابغ الرمل
٤٠- المشلل
٤١- قُديد (خيمة أم معبد)
٤٢- عقبة السكر
٤٣- الخُليص
٤٤- عسفان
٤٥- وادي العميان
٤٦- بطن مرّ (مرّ الظهران)
٤٧- وادي سرف (وادي الشريف)
٤٨- وادي فاطمة (مسجد ميمونة)
٤٩- التنعيم (مسجد عائشة)
٥٠- جنان الزهراء
٥١- الحجون (مقابر مكة)
٥٢- الحرم المكي
٥٣- الحديبية
٥٤- جدة
نحو الشام
نحو نجد والعراق
جبل رضوى
المدينة المنورة
ينبوع
البحر الأحمر
جدة
مكة المكرمة
الخريطة رقم ٢
منازل ومحطات مسلك الحجيج الجزائريين بين المدينة المنورة ومكة المكرمة
(من ينبع إلى جدة)
(الخريطة من وضع : ناصر الدين سعيدوني)
مقياس الخريطة
٥٠ كلم

قائمة بمحطات ومنازل مسلك الحجاج الجزائريين من منزل سطح العقبة إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة محددة بالأرقام المثبتة في الخريطتين رقم (١) ورقم (٢)

١- سطح العقبة (منزل، حصن، بئر) أو عقبة التيه

٢- ظهر الحمار

٣- أم العظام (قرب عشّ الغراب)

٤- شرف ابن عطية (شرفات)

٥- مغاير (مغاير شعيب)

٦- عيون القصب

٧- بندر أو قصبة المويلح

٨- دار السلطان (آبار السلطان)

٩- شق العجوز

١٠- بندر الأزلم

١١- إصطبل عنتر

١٢- قصبة الوجه

١٣- وادي الأراك

١٤- وادي الأكر (الأكره أو أكرى)

١٥- الدركين (بئر درك)

١٦- وادي المسيل (ماء الحورة أو الحوراء)

١٧- العقبة السوداء

١٨- وادي العقيق (غير عقيق المدينة)

١٩- ماء النبط (بلاد جهينة)

٢٠- وادي النار

٢١- الخضيرات (الخضيرة)

٢٢- سبع وعرات

٢٣- بطن ينبع (أو ينبوع)

٢٤- بندر النخيل

٢٥- بندر ينبع

٢٦- السقائف

٢٧- الصفراء

نحو المدينة المنورة:

٢٨- الروحاء (أو فم الروحاء)

٢٩- السيالة

٣٠- ملل الحفير

٣١- ذو الحذيفة

٣٢- العقيق (الأكبر)

٣٣- المدينة المنورة

نحو مكة المكرمة

٣٤- وادي الوقدة (دار الشعلة)

٣٥- بندر بدر الجديدة (قبور الشهداء أسفل الوادي)

٣٦- قاع البزوة أو سبيل البزوة أو سبيل السلطان

٣٧- مستورة (ستارة أو المنحوت)

٣٨- عقبة هرشي (هرشاء)

٣٩- رابغ الرمل

٤٠- المشلل

٤١- قُديد (خيمة أم معبد)

٤٢- عقبة السكر

٤٣- الخُليص

٤٤- عسفان

٤٥- وادي العميان

٤٦- بطن مرّ (مرّ الظهران)

٤٧- وادي سرف (وادي الشريف)

٤٨- وادي فاطمة (مسجد ميمونة)

٤٩- التنعيم (مسجد عائشة)

٥٠- جنان الزهراء

٥١- الحجون (مقابر مكة)

٥٢- الحرم المكي

٥٣- الحديبية

٥٤- جدة

جامعة الملك سعود
مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها (HSCA)
ردمد (ورقي): ٩٢٧٠- ١٦٥٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٩٨٣١- ١٦٥٨

King Saud University
King Salman's Center For Historical
and Civilization Studies Of Arabian Peninsula
Journal of Studies in the History and Civilization
of Arabia (HSCA)
ISSN: 1658-9270
EISSN: 1658-9831

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، مج(٢)، ع٢، ص ص٥٧- ٨٩، جامعة الملك سعود، الرياض (١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م)
Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia, Vol. 2, (2), pp 57-89, King Saud University, Riyadh (1446H / 2025)

مشاهدات المغاربة في رحلاتهم إلى الحرمين الشريفين عن الحركة العلمية خلال القرن ١٢هـ/ ١٨م

أ.د. بنعيسى أحمد بويوزان
جامعة محمد بن عبدالله، فاس، المغرب
buiauzan.b@gmail.com
(قُدِّم للنشر في ١٤/ ٠٢/ ١٤٤٦هـ، وقُبِل للنشر في ٢١/ ٠٤/ ١٤٤٦هـ)

الملخص:

حاول هذا البحث أن يرصد الحركة العلمية بالجزيرة العربية من خلال الرحلات المغربية، مع التركيز على عنصرين أساسيين، هما:

أ- رصد خصائص ومميزات هذه الحركة العلمية، خاصة مع كثافة الرحلات المغربية الحجازية خلال القرن الثاني عشر الهجري، وهو ما أعطى صورة تكاد تكون واضحة عن الحركة العلمية في هذا القرن، بحيث نجد رحلات هامة في بدايته ووسطه و آخره، فاتَّضحت حالة العلم العلماء والمكتبات والمدارس والأوقاف، وإن بنسب متفاوتة بين هذه الرحلات.

ب- رصد مظاهر التواصل المتين بين المغرب الأقصى و الجزيرة العربية في فترة تأسيس الدولة السعودية ، و يتجلى هذا التواصل في مظهرين كبيرين:

١- المظهر الرسمي: والذي يظهر من خلال الرحلة التي خُصَّتْ بها إحدى زوجات السلطان المولى إسماعيل العلوي، ومعها في هذه الرحلة ابنها المولى عبد الله، سلطان المغرب بعد أبيه، والذي زوَّج ابنته لشريف مكة المكرمة بَعْد ذلك، وهو ما انعكس بقوة على الحركة العلمية بالحرمين الشريفين، خاصة فيما يتعلق بالأوقاف و المدارس.

٢- المظهر الشعبي: والمتعلق بازدياد عدد العلماء المغاربة المجاورين بالحرمين الشريفين، فازدادت -تبعا لذلك- أعداد الطلبة المتفرغين لطلب العلم.

الكلمات المفتاحية: الحركة العلمية، الرحالة المغاربة، الحرمين الشريفين، القرن الثاني عشر الهجري

Moroccans' Observations in Their Journeys to the Two Holy Mosques Regarding the Scientific Movement During the 12th Century AH /18th Century AD

Prof. Benaissa Ahmed Bouyouzan
Mohamed Ben AbdellahUniversity, Maroco
buiauzan.b@gmail.com

(Received: 14/ 2/ 1446 H; Accepted for publication: 21/ 4/ 1446 H)

Abstract:

This research has attempted to observe the scientific activity in the Arabian Peninsula through Moroccan trips, focusing on two main elements, namely:

1) Observing the characteristics and advantages of this activity, especially with the intensity of the Moroccan Hijazi trips during the twelfth century AH; which reflects a clear picture of the scientific activity in this century, as we find important trips in its beginning, it's middle as well as it's end. Thus, the state of science, Scholars, schools and endowments became clear though differently between these trips.

2) Observing the aspects of the strong communication between "AlMaghreb Alaqssa'' and the Arabian Peninsula during the founding period of the Saudi Arabia. This communication is manifested in two major aspects:

A- The official aspect: which appears during the trip that was devoted to one of the wives of Sultan Moulay Ismail Al-Alawi and her son Mawla abdulah, the Sultan of Morocco after his father, who, later, married his daughter to the Sharif of Makkah Al-Mukarramah. This marriage strengthened the scientific movement in Saudi Arabia a great deal, especially with regard to endowments and schools.

B- The officious aspect: The number of Moroccan scholars adjacent to the Two Holy Mosques increased, and accordingly the number of students, exclusively occupied with knowledge, increased.

Keywords: Moroccans, Hejaz, the Scientific Movement, the 12th Century AH.

المقدمة:

يعتبر القرن الثاني عشر الهجري، عامَ الرحلات المغربية الحجازية بامتياز، ذلك بأن الباحث في هذا الباب، سيجدُ بأن المغاربة قد وفدوا على الحرمين الشريفين خلال فترات مختلفة من هذا القرن، أَوَّلَهُ وأَوْسَطَهُ وآخِرَهُ، مما يسمح – تبعا لذلك– من أخذ صورة تكاد تكون واضحة عن مجمل الأوضاع التي كانت بالحرمين الشريفين بعامة، وعن الحركة العلمية منها بخاصة، والتي يولي لها الرحالون المغاربة –في العادة– اهتماما خاصا، لأنهم كانوا يضعون نُصْبَ أعينهم دائما، مجالسةَ الشيوخ والعلماء بالحرمين الشريفين للأخذ عنهم، اِلْتِمَاساً لبركة العلم الشريف في تلك البقاع الطاهرة، واستثمارا لشرف الزمان والمكان،كما صرح بذلك أغلب الرحالين.

لذلك، فإن الدارس لهذه الرحلات الحجازية، سيجد بأن أغلب الرحالين قد عقدوا فصولا، تتفاوت طولا وقِصَراً بين هذه الرِّحْلة أوتلك، للحديث عن العلم والعلماء والمكتبات والمدارس والمقررات بالحرمين الشريفين، خاصة وأن هذا القرن قد شهد تَنَوُّعاً ملحوظا في الرحلات، سواء من حيث تَعَدُّدُ مشاربها الفكرية والثقافية التي تنطلق منها، خاصة وأن للتصوف حضورا لافتا في الثقافة الإسلامية في العالم الإسلامي عموما يومئذ، أمْ من حيث النوعُ أوالنموذجُ الذي قدمته هذه الرحلات، حيث إننا نجد لأول مرة رحلةً غَيْرِيَّةً[1]، كتبها الرحالة أحمد بن عبد القادر القادري لشيخه أحمد بن محمد بن مَعْنٍ الأندلسي الفاسي، كما أننا نجد رحلة سلطانية قامت بها الأميرة المغربية خناثة بنت بكار، والدة السلطان المولى إسماعيل، كتبها محمد الشرقي بن الوزير الإسحاقي، وهي الرحلة التي أعطت دفعة هامة للحركة العلمية بالحرمين الشريفين، بتعزيز الأوقاف المرصودة للمدارس والعلماء والطلبة، خاصة وأن الاهتمام المتميز للسلاطين العلويين بالعلم والعلماء في البقاع الطاهرة، قد أثر تأثيرا إيجابيا جدا على أمرين هامَّيْنِ للغاية، رَكَّزْتُ عليهما في هذا البحث، وهما:

(١) الرحلة الْغَيْرِيَّةُ، هي الرحلة التي كتبها العلماء أوالأدباء أو الكتاب لغيرهم من الأمراء أو الوزراء أو الشيوخ ممن رافقوهم في رَكْبِهِمْ إلى الحجاز لأداء مناسك الحج، فتكون رحلة متكاملة وصفوا فيها مشاهداتهم منذ خروجهم إلى حين رجوعهم إلى ديارهم.

أولا: أن هذا الاهتمام السلطاني بالحركة العلمية بالحرمين الشريفين، زاد من الحرص على طلب العلم لدى الطلبة المغاربة، ولدى طلبة سائِرِ البلاد الإسلامية، هذا فضلا عن كثرة العلماء المجاورين بأولادهم بالحرمين الشريفين، تفرغاً للتدريس وللعبادة معًا، نظرًا لتوافر الظروف المعيشية المساعدة على هذا الشأن، وهذا ما صرّح به غير واحد من الرحالين الذين سنأتي على ذكرهم بإذن الله تعالى، خاصة وأن الأوقاف والنفقات والصدقات،كانت تتوافد من المغرب على الحرمين الشريفين بانتظام وباستمرار، وتكون في الغالب في موسم الحج، حين ينهض ركب الحاج المغربي إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج.

ثانيًا: أن هذا الاهتمام السلطاني المتميز، ساهم في تمتين العلاقات المغربية الحجازية على نحولَفَتَ إليه انتباه كبار الدارسين والعلماء المغاربة القدماء والمُحْدَثِينَ، حتى إن بعض المُحْدَثِينَ منهم، قد أَفْرَدُوا لها دراسات خاصة، بَحَثَتْ في هذه العلاقات بين الدولة العلوية الشريفة، والدولة السعودية العريقة منذ تأسيسها.

وبالتالي، فإن هذه العلاقات التي توطدت منذ أواسط هذا القرن الثاني عشر الهجري، ظلت تنمووتزداد متانة وتوطُّداً منذ تلك الفترة وإلى اليوم، ويزيد العلماء من الْقُطْرَيْنِ كليهما في استمرارها ومتانتها، نظرًا للمقام الذي يَتَبَوَّؤُهُ العلم وأهلُه في الأسرتين الحاكمتين بالمغرب والدولة السعودية.

وكل هذا، نجد له صدى واضحًا في هذه الأعمال التي نحن بصددها، مع التأكيد على أننا سنجد بأن أهم ما يميز الرحلات المغربية في هذه الفترة، أَمْرَانِ لابد من ذكرهما:

أ – أنها رحلات لكبار علماء المغرب، رحلوا لأداء فريضة الحج أساسًا، ومع ذلك لم يمنعهم مستواهم العلمي العالي من الحرص على اللقاء بعلماء المشرق ومجالستهم، بل وطلب الإجازة منهم، حتى إن بعض العلماء المشارقة –كما سنرى– تَوَاضَعَ لعلماء المغرب، فأجازهم إجازة الْأَقْرَانِ، أي بتبادل الإجازة، بِحَيْثُ إن كل عالم منهما أجاز صاحبه بسائر مروياته ومسموعاته ومؤلفاته.

ب – أنها رحلات تم كثير منها في إطار تكليفٍ من السلطان المغربي المولى عبد الله بن المولى إسماعيل العلوي، ومن بعده ابنه المولى محمد بن عبد الله العلوي، بل إن من هذه الرحلات ما كان أصحابها شخصيات كبرى ضمن الركب السلطاني، كما يظهر في حج الأميرة خناثة بنت بكار، زوجة المولى إسماعيل، أوحين زُفَّتْ الأميرة لُبَابَةُ بنت المولى محمد بن عبد الله، إلى شريف مكة المكرمة سرور بن ساعد، وقد كان في الرحلتين كلتيهما، وفدٌ من كبار علماء المغرب، لم يمنعهم عُلُوكعبهم في مختلف العلوم من مجالسة علماء المشرق، بل والبحث عنهم لملاقاتهم، إن اقتضى الأمر، كما سيتبين بإذن الله تعالى.

وعليه، فإن هذا البحث المتواضع قد حاولت فيه دراسة هذه الأمور كلها، انطلاقًا من التقسيم التالي:

- مقدمة.

١. الشيوخ والعلماء بالحرمين الشريفين:

أ – في مكة المكرمة.

ب – في المدينة المنورة.

٢. المدارس والمقررات.

٣. المكتبات بالحرمين الشريفين.

٤. أثر الحركة العلمية على التواصل بين المغرب الأقصى والجزيرة العربية.

- خاتمة.
- قائمة المصادر والمراجع.

وآمل أنني قد وفقت في هذا المسعى، والله من وراء القصد وهو سبحانه يهدي السبيل.

أولاً – الشيوخ والعلماء بالحرمين الشريفين:

من الواضح لدى كل الدارسين والمهتمين بالرحلات الحجازية المغربية والأندلسية قبلها، أن جل الرحالين خلالها، كانوا يَضَعُونَ نُصْبَ أعينهم ملاقاةَ الشيوخ والعلماء ومجالَسَتَهم، في المقام الذي يضعون فيه أداء فريضة الحج، إذ إن الأمرين لديهم لا يكاد ينفك

أحدهما عن الآخر، وبخاصة وأن موسم الحج كان يشهد وفود عدد هائل من العلماء من مختلف بلاد الإسلام لأداء الفريضة، وللتحديث والتدريس والتعليم، لِنَيْلِ بَرَكَةِ نَشْرِ العلم في الحرمين الشريفين[١]، لذلك، فإن الرحلات المغربية تُعَدُّ لدى كل الدارسين والأكاديميين بالمغرب والمشرق على حد سواء، من أهم مَصَادِرِ التَّأْرِيخِ للحركة العلمية بالحجاز، لا سيما في الحرمين الشريفين، حيث تكون سوقُ العلم نَافِقَةً جدا في مواسم الحج كما أسلفنا، لاسيَّما وأن علماء المغرب –فضلا عن طلبته– كانوا يعتبرون لقاء الشيوخ والعلماء بهذه البقاع الطاهرة المباركة، مَدْعَاةً للفخر والاعتزاز، لاجتماع شرف العلم بشرف المكان وشرف الزمان، لهذا؛ فإنهم كانوا في الأغلب الأعم، يَجِدُّون في البحث عن العلماء للأخذ عنهم والظَّفَرِ بإجازاتهم حيثما وجدوا، وإن اضطروا إلى تعديل مسار رحلاتهم، حرصا على الاجتماع بمشاهير العلماء والشيوخ، حتى إن منهم من سافر إلى الطائف لهذه الغاية[٢].

لهذا، فإن الرحلات المغربية، هي بمثابة مقياس نقف من خلاله على النشاط العلمي بالحرمين الشريفين، اِزدهاراً أوفُتُوراً أومَا بَيْنَ ذلك، سواء من حيث العلماء والشيوخ، أم من حيث المدارس والمكتبات، أم من حيث المواد المُدَرَّسَةُ ومناهجُ التدريس، فضلا عن الأوقاف التي هي مدار الحركة العلمية كلها.

وقد آثرت في هذا المحور، أن أبدأ بمن لقيه الرحالون المغاربة في هذا القرن بمكة المكرمة، ومن بعدها ننتقل إلى المدينة النبوية المنورة.

---

(١) فصلتُ القول في هذا الباب –بحمد الله تعالى– في بحث عنوانه: "فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج، من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين"، والذي ألقيته بمكة المكرمة ضمن فعاليات الندوة الدولية بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ". (بويوزان، ٢٠٠٥م، ج١٣، ص٢٣١).

(٢) نلاحظ هذا مع كثير من العلماء المغاربة، وآخرهم قبل هذا القرن الثاني عشر الذي هو حقبة بحثنا المتواضع هذا، أبو سالم العياشي في رحلته المتميزة، حيث سافر إلى الطائف، وسجل معلومات قَيِّمَةً للغاية عن الأماكن التي زارها، وعن الآثار التي أفاض الحديث عنها، فضلا عن الشيوخ الذين عبَّر عن اغتباطه بالأخذ عنهم والجلوس إليهم، راجع رحلته الحجازية، (العياشي، ٢٠١١م، ج٢، ص١٥٦ وما بعدها).

أ – في مكة المكرمة:

ونبدأ بما أورده الرحالة أحمد بن عبد الله القادري (ت ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م) من العلماء بالحرم الشريف، خاصة وأن رحلته كانت على رأس هذا القرن الهجري الثاني عشر، وقد ابتدأت "غدوة يوم الاثنين المُوَفَّى عشرين من جمادى الآخرة سنة مئة وألف" (القادري، ٢٠٢٠م، ص١٧٥)، وتمتاز هذه الرحلة بأن القادري كتبها لشيخه أحمد بن محمد بن مَعْنٍ (ت١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م)[1]، وهي أول رحلة غَيْرِيَّةٍ في تاريخ الرحلات المغربية والأندلسية معاً.

والمتتبع لخطوات الرحالة القادري في هذه الرحلة، سيجد بأنه حاول جهد الإمكان رصد الحركة العلمية بالحرم المكي الشريف، من خلال ذكر من لقيه من الشيوخ مُدَّةَ إقامته وشَيْخَهُ بمكة المكرمة، والملاحظ أنه حين يأتي على ذكر من لقيه من العلماء، فإنه أحيانا يُطوِّل في تَحْلِيَتِهِ وإِطْرَائِهِ، وأحيانا أخرى يوجز الحديث عنه، فيكتفي بذكر اسمه ونسبه.

وأول من لقيه بمكة المكرمة "الفاضل الخَيِّر الحسيب أبوعبد الله محمد بن طاهر الشهير بابن رضوان الأنصاري النِّجَارِي الفاسي، القاطن بمكة"(القادري، ٢٠٢٠م، ص٢٢٢-٢٢٣)، وحين كان بعرفات، قال القادري عمن كان بصحبة الشيخ مَعْن في وَقْفَتِهِ: "وكان إمام الصلاة يومئذ، السيد الشريف الفقيه؛ العالم العفيف النزيه؛ نادرة الزمان؛ أبوالعباس أحمد بن عبد الرحمن... والسيد الشريف، النّزية العفيف؛ أبوالعباس أحمد بن عمر الحسني السجلماسي المجاور بالمدينة المنورة، وهو دَيِّنٌ خَيِّرٌ فاضل حَدَّثَ عنه بعض الفقهاء الثقات"(القادري،٢٠٢٠م، ص٢٢٦).

وطوال مقام القادري مع شيخه بمكة المكرمة، لم يذكر من لقيه من العلماء بها إلا هذين العَالِمَيْنِ، وكلاهما مغربيٌّ، وكانت له صلة سابقة بهما أيام طلب العلم بالمغرب، وسيأتي على ذكرهما مرة أخرى أثناء وجوده وشيخَه بالمدينة المنورة.

(١) قام محقق هذه الرحلة بترجمة مفصلة لهذا الشيخ في المقدمة (القادري، ٢٠٢٠م، ص٤٤).

وبعد أحمد بن عبد القادر القادري بعامين، قام العالم الكبير أبوالحسن علي بن مسعود اليوسي (ت ١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م) برحلته الحجازية، والتي كانت بدايتها" يوم الخميس الثاني عشر من جمادى الأولى عام أحد ومئة بعد الألف"(اليوسي، ٢٠١٧م، ص ٤٩)، لكن الملاحظ، أن اليوسي لم يأت على ذكر أي عالم من علماء المشرق عموما، وعلماء الحرمين الشريفين خصوصا، وقد كانت إقامته بمكة المكرمة وجيزة، إذْ لم تتجاوز خمسة عشر يوما (اليوسي، ٢٠١٧م، ص١٤٣).

ومع أنه يصعب تفسير غياب لقاء العلماء بالحرمين الشريفين في رحلته، وبخاصة حين يتعلق الأمر بِعَلَمٍ من كبار العلماء بالمغرب، فإنه مع ذلك، يمكن تَلَمُّسُ بعضِ الأسباب بما أُثِرَ عن أبي الحسن شخصيا، فقد ذكر الرحالة الوزير الإسحاقي (ت بعد ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م) في رحلته قولا منسوبا إلى اليوسي، فقال: "وأخبرني بعض أصحابنا أنه سمع شيخنا أبا علي الحسن اليوسي، بعدما رجع من حجته، يقول:"ما بقي بالبلاد المشرقية من تُشَدُّ إليه الرحال في طلب العلم"(الإسحاقي، ٢٠١٧م ، ج٢، ص٤٢٤)، ثم إنني تتبعت ما قاله اليوسي، رحمه الله، عن العلم والرحلة في طلبه، وخاصة في كتابه "القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم"، فوجدت بأنه لم يشر مطلقا إلى الرحلة إلى المشرق لطلب العلم(اليوسي، ٢٠١٣م، ص٣٦٠)، لأن كل شيوخه، وهم جمهور كثير، هم من علماء المغرب وفقهائه.

هذا إلى جانب أنه – رحمه الله – كان في مختلف أطوار رحلته، كثيرَ التَّبَرُّم والشَّكْوَى، وهو في هذا قريبُ النَّفَسِ والطَّبْعِ من العبدري الحيحي في رحلته المشهورة.

بعد رحلة اليوسي، رحمه الله، قام أبوالعباس أحمد بن محمد الناصري الدرعي برحلته الحجازية، وقد بدأت "يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الأولى عام أحد وعشرين ومئة وألف"(الدرعي، ٢٠١١ م، ص٩٠)، والظاهر أن الدرعي الناصري في رحلته هذه، حين يأتي على ذكر من لقيه من العلماء بمكة المكرمة في رحلة الأولى عام ستة وتسعين وألف، فإنه يُنَبِّهُ على ذلك حتى لا يختلط الأمر على القارئ (الدرعي، ٢٠١١م، ص٣٩٩)، وقد ذكر

قدرا صالحا من العلماء بمكة المكرمة، حتى إننا نلاحظ أنه يطوِّل أحيانا في ترجمة بعضهم، فيذكر مؤلفاتِهِمْ، بل وأبناءَهُم من العلماء، وأحيانا أخرى يكتفي بالإشارة إلى أسمائهم أوكُنَاهُمْ فقط، قال:" وصلينا الجمعة بمكة، وخطب الخطيب خطبة السابع، وهو ولد الشيخ محمد تاج الدين مفتي الحنفية، ووالده هذا، رأيته والتقيت به من باب منزلنا بالمسجد الحرام، وأخبرني أنه جارُنا هو وولده الخطيب المذكور، وآخر أصغر منه، وسألته عن بعض شراح الهمزية، وذكر أنه عنده ابن حجر(كذا في الأصل)، وقلت له: أريد أن أنظر فيه الشيخ مرزوق والكفافي، وبعث ولده فأتى به، وأوقفني أيضا على الثالث والأول من البرموى على البخاري، وأخبرني أن الثاني كان عند الشيخ عبد الله بن سالم البصري، ورأيته، وأكثرُ نَقْلِهِ عن الكرماني والزركشي وهو حاشية، والشيخ عبد الله هذا التقيت معه بالمسجد الحرام يوم دخولنا، هو والشيخ محمد النخيلي، وفرح بنا، ووقف معنا في كراء المنزل، تقبل الله منه، وذهبنا لداره أيضا يوم الجمعة، ووجدناه في بيتِ كُتُبِهِ، والْكُتُبُ مُحْدِقَةٌ به يمينا وشمالا ووراء وأمام، ورأينا عنده مسند الإمام أحمد في ثلاثة مجلدات كبار، وأخبرني أنه كتب نسخة من اليونانية بيده، (كذا في الأصل) وشرع في شرح البخاري، وبلغ فيه الحج، وزعم طلبةُ مكة أنه فاق أهل الحرمين في الحديث، وفي غيره من سائر العلوم، وهو شافعي المذهب، وأجازنا سائر مقروءاته ومروياته ومسموعاته"(الدرعي، ٢٠١١م، ص٣٦٦ – ٣٦٧).

ثم إنه اجتمع بِمِنى "بالشيخ محمد أكرم بن الشيخ عبد الرحمن، مفتي الهند، وهو رجل عالم، له تآليف على رجال البخاري، واختصر البخاري في مجلد، حذف الأسانيد فيه والمكرر، وهو ضرير كبير السن، به مرض ألزمه بيته... ونزل بإزائنا (بعرفات) الشيخ عبد القادر بن أبي بكر، مفتي الحنفية، وأتانا ضحى مع ولدين صغيرين له" (الدرعي، ٢٠١١م، ص٣٧٠ – ٣٧١).

على أن الناصري الدرعي أَجْمَلَ الحديث عَمَّنْ لقيه من علماء مكة المكرمة في فصل موجز عنوانه: "ذِكْرُ من لقيته بالحرم المكي من الأئمة"، فقال: "الشيخ أحمد النخيلي الشافعي والشيخ عبد الله بن سالم البصري الشافعي، والشيخ محمد تاج الدين، مفتي الحنفية، وابناه

الشيخ عبد المحسن والشيخ عبد المنعم، والشيخ عبد القادر ابن أبي بكر الحنفي المفتي، كان تولى الْفُتْيَا قَبْلُ، والشيخ محمد أكرم الهندي، والشيخ مصطفى بن فتح الله الحموي، الشافعي، وله تآليف على التاريخ، ذكر فيه علماء القرن الحادي عشر وصلحاءه وأدباءه وملوكه وشعراءه... والشيخ محمد بن عبد الباقي الاسكندراني المالكي، والشيخ إدريس بن أحمد الصاعدي الشافعي... والشيخ عبد الرحمن السندي، والد أكرم، والشيخ عبد الكريم الهندي"(الدرعي، ٢٠١١م، ص ٣٩٩).

بعد هذه الرحلة الناصرية، قام الإمام العلامة الحافظ أبوعبد الله محمد بن الطيب الشرقي برحلته الحجازية، وكانت بدايتها "صبيحة يوم الأربعاء الرابع من رجب الفرد الحرام، سنة تسع وثلاثين ومئة وألف لهجرة المصطفى صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحابته الكرام"(ابن الطيب، ٢٠١٨م، ج١، ص١٥٦)، وهذه الرحلة من أمهات الرحلات المغربية في هذا القرن، على الرغم من أن أَصْلَهَا كان قد سُرِقَ من المؤلف أثناء إيابه من الحج، وهي غَنِيَّةٌ جدا بمادتها المعرفية المتميزة التي تُنْبِئُ عن عُلُوكَعْبِ صاحبها في مختلف العلوم، حتى إنه يعتبر من آخر الحفاظ بالمغرب الأقصى، ومع ذلك، فإنه كان مهتما بلقاء علماء مكة المكرمة وشيوخها، سواء كانوا من أهل الحجاز، أم من أهل المغرب المجاورين، ويُبدي لهم من التواضع الجمِّ ما يبديه، قال رحمه الله: "ولقينا هنالك صاحبنا الفقيه، العلامة، المشارك، الحافظ، الدَّرَّاك، أبا عبد الله محمد بن عبد الله الفيلالي، وولده الأنجب أبا عبد الله السيد محمد، جاء بِنِيَّةِ الحج والعمرة من المدينة المنورة... وكنا نجول معه في مسائل متنوعة من الفنون العلمية؛ نحوا، وفقها، وبيانا، وحديثا، وغير ذلك"(ابن الطيب، ٢٠١٨م، ج٢، ص٣٧٧ – ٣٧٨).

ثم بَسَطَ الحديث عمن لقيه بمكة المكرمة، فقال: "ولقيت من علمائنا الشيخ محمد بن محمد قاضي زاده الأنصاري الشهير بالقاضي عيد، ورد علينا أولا، ودعانا إلى داره، فأسعفناه رغبة في إدخال السرور عليه، واغتناما لدعوته، لأنه رجل طعن في السن جدا يناهز المئة، مع تعلقه بأسباب العلم، وتمسكه بأذيال الحِلْمِ، وخضنا معه في مسائل علمية، متنوعة إلى عربية،

وحديث، وأدب، وغير ذلك... ورأينا الشيخ أبا العباس أحمد ابن حجر، مدرس قمة الشمع (كذا في الأصل) من الحرم، وهو رجل لا بأس به، له معرفة بالحديث كأسلافه رحمهم الله، ورأينا الرجل المسن الصالح الشيخ جعفر... ذهبت إليه إلى داره بناحية باب العمرة، أحد أبواب الحرم الشريف، فألفيته في سن عالية، وله أخلاق كريمة واسعة وحسن ملاقاة، فأكثر من الترحيب بنا، وأظهر من التواضع ما يرفعه الله به، وخاطبني مخاطبات لطيفة حسنة... ورأينا الشيخ أبا محمد عبد القادر بن يحيى الحنفي اليمني، أحد خطباء الحرم وأئمته، وهو رجل له أخلاق حسنة وسَمْتٌ حسن، مع حسن خطابته ولطافتها، وفصاحة لسانه، وَرِقَّةِ صوته وتُؤَدَتِهِ، وكان يُبْدِئُ خُطَباً محبَّرة جامعة لا بأس بها، مع إتقان الحفظ، ومراعاة المعنى واللفظ، ورأينا غير هؤلاء ممن لم نعرف أسماءهم، ولم نشرب ماءهم"(ابن الطيب، ٢٠١٨م، ج٢، ص ٣٧٨ – ٣٨٠).

بعد رحلة أبي عبد الله الشرقي الفاسي بنحوخمسة أعوام، قام أبومحمد الشرقي بن محمد الإسحاقي الذي ذكرناه آنفا، برحلته التي دَوَّنَهَا حين كان ضمن الركب السلطاني المرافق للأميرة خناثة بنت بكار، والدة السلطان محمد بن عبد الله، وهي الرحلة المشهورة التي كان لها الفضل الكبير في تمتين العلاقة بين المغرب الأقصى والحجاز، وقد ابتدأت" يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الثانية عام ثلاثة وأربعين ومئة وألف بعد صلاة الجمعة"(الإسحاقي، ٢٠١٧م، ج١،ص٢٣٦)، ولكن الخروج الفعلي للحج كان "يوم الخميس، وهو الخامس والعشرون من جمادى الثانية من السنة"(الإسحاقي، ٢٠١٧، ج، ص٢٤٩).

لقد مَرَّ بنا بأن الإسحاقي حكى عن شيخه أبي الحسن علي اليوسي بأنه قال: "لم يعد بالديار المشرقية من تُشَدُّ إليه الرحال لطلب العلم"، فلما كان الإسحاقي في القاهرة، واطَّلَعَ على الحالة العلمية بها، قال: "وبالجملة، فالعلم بالبلاد المشرقية كغيرها، قد وقف على ثنية الوداع، وهَمَّ مُزْنُهُ بالإقلاع"(الإسحاقي، ٢٠١٧م، ج٢، ص٤٢٤)، ومع ذلك، فإنه حين وصل إلى الحرمين الشريفين، عقد بابا خاصا في رحلته، عنوانه "ذكر من لقيناه بمكة شرفها

الله من العلماء الأعلام" وقد أورد فيه قَدْراً صالحا ممن لقيهم، وهم: "سيدي عمر البار وهو كاسمه بار، باعلوي الحسيني، وارث أسرار سيدي عبد الله الحداد اليمني، وأبوعبد الله سيدي محمد بن أحمد عقيلة المكي، أطال الله بقاءه، والشيخ محمد الطبري، شيخ المقام الخليلي نفع الله به، وأبوالفضل تاج الدين الحنفي، مفتي الحنفية بالحرم المكي، والسيد عبد الله ابن المرحوم يحيى أفندي ابن جعفر الواعظ، من أهل الوجاهة بالحرم الشريف، والشيخ الفقيه العالم العلامة مفتي الشافعية بالحرمين الشريفين، مولانا الشيخ زين العابدين بن سعيد المُنُّوفِي، والشيخ تاج الدين بن عارف المُنُّوفِي، من قرابة السيد زين العابدين المذكور قبله، والسيد عبد الله السَّكَنْدَرَانِي الضرير، رجل جعل الله قوة بصره في بصيرته، فما ترى أعجب منه في نطقه وصمته وسَيْرِهِ وسِيرَتِهِ، دخلنا عليه في منزله قرب باب العمرة المُفْضِي إلى المسجد الحرام متصلا به، وحدثنا بمصنفاته في التفسير والحديث وعلم الكلام وغير ذل"(الإسحاقي، ٢٠١٧،ج ٢، ص٥٥١ – ٥٧٩).

ولم يَنْسَ الإسحاقيُّ التَّعْرِيجَ على ذكر من لقيه من علماء المغرب المجاورين بالحرم المكي الشريف، جَرْياً على عادة المغاربة في مثل هذا المقام، ومنهم السيد محمد بن الفقيه العلامة الرحالة الزاهد الورع، السيد محمد بن سليمان الروداني(الإسحاقي، ٢٠١٧م، ج٢، ص٥٧٩ – ٥٨٠).

ولعله من الواضح أن الإسحاقي، وعلى الرغم من التزاماته الكثيرة مع الأميرة بالحرم المكي الشريف، إلا أنه أبى إلا أن يُتْحِفَ رحلته بذكر علماء مكة المكرمة، واجتهد في تحليتهم غاية الاجتهاد، خاصة وأنَّ منهم من كان من أهل التصوف الذي كان قد اكتسح العالم الإسلامي يومئذ، هذا فضلا عن ذكر ما تيسر من مؤلفات بعضهم. ولا أشك في أن الإسحاقي قد اجتهد في الاتصال بالعلماء والشيوخ بمكة المكرمة، لِمَا عَلِمَهُ من أن الأميرة خناثة بنت بكار، عازمة على شراء دار بالقرب من باب العمرة من المسجد الحرام، لتجعلها وَقْفاً على طلبة العلم.

بعد رحلة الإسحاقي، تأتي الرحلة الحجازية لأبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي (ت ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م)، وكانت "سنة اثنين وخمسين ومئة وألف(الحضيكي، ٢٠١١م، ص٧٦)"[١]، لكن الملاحظ في هذ الرحلة – على أهميتها - أن الحضيكي لم يشر إطلاقا لا إلى العلم ولا إلى العلماء أثناء مقامه بمكة المكرمة، مع أنَّ مِنْ بَيْنِ أَهَمِّ أهدافه من وراء رحلته للحج، طَلَبُ العلم ومجالسةُ الشيوخ، فاكتفى بِسَرْدِ مناسك الحج ومزارات مكة المكرمة[٢].

بعد مدة طويلة من رحلة الحضيكي، قام محمد بن عبد السلام الناصري التمكروتي برحلته الحجازية الشهيرة، والتي كانت "يوم الخميس ثالث جمادى الثانية سنة ست وتسعين – بتقديم المثناة – ومئة وألف"(التمكروتي، ٢٠١٨م، ج١، ص١٠٩).

وقد عبَّر الناصري التمكروتي في حديثه عن العلم والعلماء بمكة المكرمة، بمثل ما عَبَّرَ به أبوالحسن اليوسي والوزير الإسحاقي من قبل، وربما يمكن أن نضيف إليهم الحضيكي أيضا، بِسُكُوتِهِ عن ذكر كل ما له علاقة بالعلم والعلماء بمكة المكرمة خصوصا، فقد قال الناصري التمكروتي: "إعلم -وفقنا الله تعالى وإياك- أن مكة اليوم، ليس بها من يُرْجَعُ إليه في المعضلات ! ولا من يَصْلُحُ للمثول بين يديه، وقديما في زمن المحب الطبري، قال العبدري: «ضَعُفَ العلم في هذه البلاد لِضُعْفِ العيش بها، والناس مع الدنيا وصاحبها»، وأما المالكية، فلم أَرَ بها -بعد البحث- إلا المجاورين منهم، وأولاهم بالتقديم، الشيخ أبوزيد -المذكور قبل- وله ممارسة بالعربية واللغة والقراءة وغيرها... وأما الحنفية كالشافعية، فَلَهُمُ اليد الطُّولَى في الحرمين الشريفين من طلبة وغيرهم، ومنهم الأئمة والقضاة والمفتون، ولم أَلْقَ إذ ذاك – بعد البحث- من يصلح الأخذ عنه، وأما الحنابلة،

(١) هنا لابد من الإشارة إلى أن لأبي العباس الهلالي السجلماسي ١١١٤هـ-١١٧٥هـ، "رحلة التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام"، دراسة وتحقيق: محمد بوزيان بنعلي، الطبعة الأولى (وجدة: مطبعة الجسور المغرب، ٢٠١٢م)، لكن مؤلفها توقف عن الكتابة حين وصل إلى مدينة تَوْزَر التونسية.

(٢) استغرق الحديث عن كل هذا من الصفحة ٩٩ إلى الصفحة ١٤٧ من الرحلة.

فما أَضْعَفَ مَذْهَبَهُمْ في مصر والحرمين ! وأكثرهم اليوم بالشام، وفيما وراء النهر، وغَالِبُهُمْ – على ما يحكى – أَهْلُ عَقَائِدَ فَاسِدَةٍ فيما بين رافضي وغيره، ولم أَلْقَ بمكة منهم إلا إِمَامَ مقامِهم، وهو الشيخ علي، فهو يَدَّعِي معرفةَ فِقْهَ ابْنِ حنبل، ويفتي في مذهبه من غير منازع له" (التمكروتي، ٢٠١٨م، ج٢، ص٦٩– ٧٠).

ولعل المُمَيَّزَ في كلام الناصري التمكروتي أعلاه، أنه يصرح بأنه بَحَثَ عن العلماء والشيوخ، وبذل جهدا في اقتفاء أثرهم، مع أنه كان من كبار علماء المغرب يومئذ، لكنَّ ذلك لم يمنعه من البحث عن علماء الحرمين الشريفين لِلِّقَاءِ بهم، ولعله في تلخيصه للحالة العلمية للفقه الإسلامي بمذاهبه الأربعة في عام حَجَّتِهِ، تِبْيَانٌ لهذه الحالة التي كان عليها العلم والعلماء بالمشرق عموما، ثم إنه وهو يتحدث عن الفقهاء الحنابلة، عَمَدَ إلى صيغة التَّمْرِيضِ، ولعله لم يكن مُقْتَنِعاً بما حُكِيَ له عنهم، ولا أستبعد كَوْنَ هذه التُّهَمِ مما كان يُرَوَّجُ عن قصد بين الناس، لَمَّا بدأت الحركة الإصلاحية بالجزيرة العربية مع ظهور الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله، ولعل ما يُسَوِّغُ هذا، قولُه بأن "الحنفية كالشافعية، فَلَهُمُ اليد الطُّولَى في الحرمين الشريفين من طلبة وغيرهم"، لأن المذهب الحنفي،كان يومئذ هو المذهب الرسمي للعثمانيين، وبالتالي، فإن ظهور أي مذهب مُصْلِحٍ مُنَافِسٍ، لابد من تَشْوِيهِهِ وتَشْوِيهِ سُمْعَةِ الدَّاعين إليه، وبخاصة في موسم الحج الذي ينبغي استغلاله على هذا الوجه الذي تَفَطَّنَ له الناصري، فَعَبَّرَ عنه بهذه الصيغة.

كما أن الناصري، قد ذكر بأَنَّ مِنْ بَيْنِ مَنْ لَقِيَهُ من العلماء بمكة المكرمة "الشيخ المنيس، يعرف هناك بالتونسي، وهو في الحقيقة الزواوي، اجتمعتُ به، وذهب بي لِبَيْتِهِ لما خَتَنَ ولدا له، وأضافني في جماعة من الفضلاء، وله ممارسةٌ مَا بِفِقْهِ مالك"(التمكروتي، ٢٠١٨م، ج٢، ص٧٠).

كما نجده في موضع آخر من الرحلة، يصرح بِبَهْجَتِهِ وغِبْطَتِهِ حين وُفِّقَ في لقاء بعض العلماء الذين كان له بهم اهتمام خاص، ورَغْبَةٌ أكيدة في لقائه، حيث قال:" نعم، مِنْ مِنَنِ الله تعالى عَلَيَّ، وعظيم مَوَاهِبِهِ لَدَيَّ، أَنِ اجتمعتُ- بعد البحث التام عن الواردين من سائر

الآفاق تجاه البيتِ، قُبَالَةَ الميزاب- بمحدِّثِ الشام في وقتنا، وهو الشيخ الإمام أبوالعباس أحمد بن عبيد العطار الشافعي، إمام مسجد دمشق والمُدَرِّسِ به... ثم طلبت منه الإجازة، فَامْتَنَعَ إِلَّا بِأَنْ أُجِيزَهُ كَوَلَدِهِ معه، وقد صَاحَبَهُ، واسمه الشيخ عبد الوهاب، يَفْعَلُ كُلٌّ مِنَّا مَا طَلَبَهُ مِنْهُ صَاحِبُهُ، بعد قوله: على شريطة إجازة الأقران، ونص ما أجازني به وكتبه لي بخطه تجاه الكعبة الشريفة..." (التمكروتي، ٢٠١٨م، ج٢، ص ٧١ – ٧٢).

فلا يخفى ما في كلامه هذا من دلالات متعددة، تَنِمُّ عن تمكنه من ناصية العلوم الشرعية، حتى إن هذا الشيخ طلب منه تبادل الإجازة، فأجاز بعضهما بعضا إجازة الأقران في المستوى العلمي، لأن كلاً منهما يفتخر بأن يكون صاحبه ممن أخذ عنه وأجازه. وكأني بالناصري التمكروتي، وهو يُحِسُّ مع مستواه العلمي الغزيز، بأن عليه أن يختار من العلماء من يلتقي به ليكون أهلا للاستفادة منه، كما حصل مع هذا الشيخ، إِذْ إنه كثيرا ما سأل عن بعض الأمور التي أثارت اهتمامه، لكن الأجوبة التي تلقاها لم تشْفِ غَلِيلَهُ، كما صرح بذلك غير ما مرة، بل إنه أَضْرَبَ حتى عن ذكر اسم العالم الذي سأله، وإن صرح بأنه من علماء مكة المكرمة[1].

ب – في المدينة المنورة:

إذا انتقلنا إلى اسْتِجْلَاءِ بعض مَعَالِمِ صورة العلم والعلماء بالمدينة النبوية المنورة من خلال هذه الرحلات التي مرت بنا، فإننا لا نكاد نعثر إلا عن النَّزْرِ اليسير منها، خاصة وأن مُقَامَ رَكْبِ الحاجِّ المغربي - الذي عادة ما يكون مع الركب المصري – لا يلبث في المدينة المنورة إلا ثلاثة أيام في الغالب، ومع ذلك، فإننا نَظْفَرُ ببعض النُّتَفِ التي تُنْبِئُ -بشكل من الأشكال- عن حالة العلم والعلماء والشيوخ بالمدينة المنورة، خلال هذا القرن الثاني الهجري، وسنلاحظ بأن أغلبهم كانوا من المغاربة المجاورين، كما مَرَّ بنا، قبل قليل، مع الناصري التمكروتي.

(١) راجع مثلا، حين سأل عالما عن حفرة مُرَخَّمَةٍ بِجِوَارِ الكعبة المشرفة بما يلي الْحِجْرَ. (التمكروتي، ٢٠١٨م، ج٢، ص٤٤).

ففي"نسمة الآس في حَجَّةِ سيدنا أبي العباس"، نجد بأن أحمد بن عبد القادر القادري، وقد دخل المدينة المنورة مع شيخه مَعْنٍ في المحرم من سنة واحد ومئة وألف، لا يكاد يذكر شيئا لا عن العلم ولا عن العلماء بالمدينة المنورة، حتى إنه اكتفى بالإشارة إلى الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن الذي لقيه من قبلُ في مكة المكرمة، قال القادري عن شيخه مَعْنٍ: "فسار مع جماعة من الأصحاب، وفيهم السيد الفقيه أبوالعباس أحمد بن عبد الرحمن المجاور هنالك"(عبد القادر، ٢٠٢٠م، ص ٢٤٦).

وأما أبوالعباس أحمد بن محمد الناصري الدرعي في رحلته، ففي يوم دخوله إلى المدينة المنورة، قال:" فتلقانا المفتي خارج منزله على رِجْلَيْهِ، ولَوَاعِجُ الْوِدَادِ تبدوعلى عَيْنَيْهِ"(الدرعي، ٢٠١١م، ص ٤٦٦).

ثم إنه بعد ذلك خصص فصلا موجزا من رحلته، للحديث عمن لقيهم من المشايخ بالمدينة المنورة، وقد أتى فيه على ذكر جملةٍ منهم بإيجاز مَلْحُوظٍ، فقال:"الشيخ أحمد الأنصاري، وصِنْوُهُ الشيخُ عبد الرحيم والشيخُ عبد الكريم، ثم العباسيُّ، وابنه الشيخُ طاهر بن شيخنا الشيخ إبراهيم الكردي... والخطيبُ بمسجده صلى الله عليه وسلم الشيخ إبراهيم البري، وبالسيد الأمجدِ الشيخِ عبد الكريم بن عبد الله الخليفي العباسيِّ، الخطيبِ والإمامِ بمسجد سيد الأنام صلى الله عليه وسلم... وإمامُ مسجد قباء الشيخُ صالحُ بن أحمد المطري... وشيخنا الْعَلَّامَةُ الدَّرَّاكَةُ الْفَهَّامَةُ، المُلَّا بن إبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري ثم الشمراني... وخطيبُ الحرم الشيخ إسماعيل، قرأت عليه حديث "إنما الأعمال بالنيات"، فأجازني"(الدرعي، ٢٠١١م، ص٥١٧ – ٥١٩ – ٥٢٠ – ٥٣٢)، ثم إنه لم يغفل عن ذكر من لَقِيَ من علماء المغرب المجاورين بالمدينة المنورة، ومنهم" سيدي محمد بن أحمد الْأَخْصَاصِي...وهو من أَجَلِّ الْإِخْوَانِ، وأَهْلِ الصدق في السر والإعلان، ومن عباد الله الصالحين، والعلماء العاملين"(الدرعي، ٢٠١١م، ص٦٠٣).

وهذا الإيجاز، عَمَدَ إليه أيضا الرحالة أبوعبد الله محمد بن الطيب الشرقي، بل إنه أَكثرُ إيجازاً في ذكر من لقيهم بالمدينة المنورة، فقال:"وورد علينا صاحبنا ومحبنا الفقيه العلامة

أبوعبد الله الفيلالي المذكور فيمن لقيناه بمكة... ولقينا في المسجد النبوي أيضا صاحب والدنا الفقيه الناسك، الْخَيِّرِ الصالح، الشيخ سليمان الحصيني"(ابن الطيب ٢٠١٨، ج٢، ص٤٤٦– ٤٤٧)، وعند الخروج من المدينة المنورة، التقى بالشيخ يوسف الشرقاوي، خطيبِ عرفات، المتوجه بصدد ذلك من مصر"(ابن الطيب، ٢٠١٨، ج٢، ص٤٥٧).

وبهذا الإيجاز نفسه، نجد الوزير الإسحاقي يُعَدِّدُ من لقيه بالمدينة المنورة، فَذَكَرَ: "مفتي الشافعية بالمدينة المنورة سيدي زين العابدين الْمُنُّوفِي" (الإسحاقي، ٢٠١٧م، ج٢، ص٦١٦)، و"الفقيه الأديب السيد محمد بن سعيد بن الشيخ عبد الكريم الأنصاري الخزرجي المدني...والفقيه الأديب السيد عبد الله بن عبد الكريم العباسي الحنفي مفتي المدينة الشريفة سابقا، الخطيبُ والمدرسُ والإمامُ بِحَرَمِ خَيْرِ الأنام، وكتب معنا مكتوبا لمولانا أمير المؤمنين، مولانا عبد الله نصره الله، وبعث له شيئا من بَرَكَةِ المدينة، مَحَبَّةً فيه وتَوَدُّداً إِلَيْهِ جزاه الله بالخير"(الإسحاقي، ٢٠١٧م، ج٢، ص٦٤٩ – ٦٥٢)، ولا يخفى ما في هذه العبارة الأخيرة من دلالة بالغة على حرص علماء الحجاز على التواصل مع سلاطين المغرب، لتأكيد الروابط المتينة بين المغرب والحجاز، مما سيأتي الحديث عنه مفصلا في المحور الثاني بإذن الله تعالى.

أما الحضيكي السوسي، فإنه حين عمد إلى الحديث عن العلم والعلماء بالمدينة المنورة، فقد اكتفى بإشارات عابرة إلى من كان فيها من الشيوخ، دون التصريح بلقائهم أوالأخذ عن أحد منهم، فقال: "وفيها من العلماء يومئذ:سيدي محمد الدَّقَّاق السلاوي من أهل المغرب،وسيدي أبوعبد الله ابن الطيب الفاسي، من أهل المغرب أيضا، وهما بأولادهما سَاكِنَانِ، وسيدي محمد بن السيد عبد العزيز الرسموكي، تَجَرَّدَ للعبادة، وهو ممن تُوُسِّمَ به الخير، ويُظَنُّ به الصلاح، وسيدي محمد حياة، من علماء الدين، كذلك الهندي أوالسندي، وغيرهم، فالله يجازيهم عن الإسلام خيرا"(الحضيكي، ٢٠١١م، ص١٧٣).

ويبدوأن الحضيكي كان قد عزم منذ البداية على مغادرة الحرمين الشريفين، وعَدَمِ طَلَبِ العلم بهما، لِمَا كان قد عَزَمَ عليه في نفسه بأن يستقر بالقاهرة لهذا الغرض، فقال:"ثم إن

صاحبنا سيدي سعيد بن عبد الرحمن، وطَلَبَةٌ من أهل سُوسٍ، جاوروا بالمدينة، ورَاوَدُونَا بالمجاورة، وعزمت عليها بمصر(الحضيكي، ٢٠١١م، ص ١٧٤ – ١٧٥)"، وحين استقر به المقام بالقاهرة، سرد تراجم طويلة وافية لمن جلس إليهم من علماء المالكية بالأزهر الشريف.

وحين نتوقف مع محمد بن عبد السلام الناصري التمكروتي، نجده يستهل الحديث عن العلم والعلماء بالمدينة المنورة، بقوله: "والْبَلَدُ الطَّيِّبُ اليومَ،كادت أن تَعْرَى من مُتَعَاطِي العلمِ، سِيَمَا مَذْهَبَ مالك وأحمد" (التمكروتي، ٢٠١٨م، ج ٢، ص ١١٨)، ومع ذلك، فقد ذَكَرَ من لقيه بها، فقال:" وأمثل من رأينا بها، المُسِنُّ البركةُ الشيخ محمد بن عبد الله المالكي-به شُهِرَ- ذهبت إلى باب داره فزرته، وأخذت عنه وأجازني...والشيخ علي بن محمد بن علي الشرواني... وهو حنفي المذهب"(التمكروتي، ٢٠١٨م، ج٢، ص ١١٨ – ١١٩)، ثم خَتَمَ بِذِكْرِ من لقيه من العلماء المغاربة المجاورين، ومنهم "سيدي علي بركة الدقاق المغربي من رباط الفتح بسلا،... ومنهم الشيخ محمد بن خالد بن أبي بكر الجعفري، مفتي المالكية وخطيبهم بمكة ثم انتقل إلى المدينة مجاورا... والسيد عبد الرشيد الشنكيطي المغربي، ومنهم مولانا إبراهيم المغربي الرباطي والشيخ عبد الكريم بن محمد السمان"(التمكروتي، ٢٠١٨م، ج٢، ص ١٢٠ – ١٢١).

ثانيًا – المدارس والمقررات:

الواقع أننا لا نكاد نعثر على شيء مما يتعلق بالمدارس التي كانت تأوي طلبة العلم يومئذ بالحرمين الشريفين في هذه الرحلات خلال هذا القرن، ما عدا ما أسهب الوزير الإسحاقي في الحديث عنه، حين عزمت الأميرة المغربية خناثة بنت بكار على شراء دار تقع بباب العمرة من المسجد الحرام، لِتُحَبِّسَهَا على طلبة العلم، والتي اشترتها بمبلغ مالي ضخم، وأوقفتها على طلبة العلم من سائر بقاع الإسلام، ففي سياق حديثه عن الشيخ محمد بن سليمان الروداني المغربي الذي التقاه بمكة المكرمة، قال: "وقد وقف معنا هذا الفقيه لشراء الدار المباركة التي اشْتَرَتْهَا من أولاد العالم العلامة السيد عبد الله بن سالم البصري، وهي بباب العمرة، أحد أبواب المسجد الحرام، اشترتها أم مولانا أمير المؤمنين المجاهد في سبيل

رب العالمين، نصره الله وأدام عزته آمين، بثمن يقرب من ألف مِثْقَالِ ذَهَبٍ مَطْبُوعَةٍ، وحَبَّسَتْهَا على من يقرأ الختمة من القرآن في كل يوم، وهم جماعة من الطلبة عُيِّنُوا لذلك، والتزموا القيامَ به، وعلى من يُدَرِّسُ صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه، أُنْتُدِبَ لهذا الْوَظِيفِ الفقيهُ العالم السكندراني المذكور، واسم خَرَاجِ الدار المذكورة في كل شهر، على قسمة معينة كُتِبَتْ لهم في حُجَّةٍ هي بأيديهم، وصَدَّرَتْ، حفظها الله، ناظرا على الدار المذكورة والتصرف في مستفادها المذكور، التاجرَ الْأَرْضَى، الحاج الخياط قصارة الفاسي، أحدُ التجار المجاورين، وكنت أنا عبد الله، تَوَلَّيْتُ عقدة الشراء من أولاد العالم المذكورين، بِتَقْدِيمٍ لي على ذلك، من السيدة حفظها الله" (الإسحاقي، ٢٠١٧م، ج٢، ص ٥٨٠ – ٥٨١).

ولعل هذه الأميرة المغربية، كانت على علم بوجود أوقاف مغربية وغير مغربية بالحرمين الشريفين، فأرادت أن تنافس هي أيضا في هذا الباب الشريف الذي يضمن استمرار العلم والعلماء بهذه البقاع الطاهرة.

وأما ما يتعلق بالمقررات، فإنه يمكن استخلاص ذلك – أوبعضه- من خلال بعض التراجم التي وردت في بعض الرحلات، من ذلك مثلا، ما قاله الطيب الشرقي، حين طلب منه بمكة المكرمة صاحبُهُ الفقيه أبوعبد الله محمد بن عبد الله الفيلالي أن يُدَرِّسَ الطلبة الهنود الذين كانوا معه: " وسألني أن أُقْرِئَهُمْ طرفا من تفسير البيضاوي، فَتَعَلَّلْتُ له بأني لست بتلك المثابة، وبأني لا كُتُبَ لي ولا حواشي أستعين بها على ذلك، وأنه لا يَصِلُهُ أن نتقدم عليه لشهرته هنالك ومعرفة الناس به، فأبى أن يقبل ذلك، وما زاد إلا إقراءه، وما قصده إلا انتفاعنا فقط، فساعفناه بذلك في تلك الأيام التي انقضت كالأحلام، وكان يحضر هو وولده وناس كثيرون"(ابن الطيب، ٢٠١٨م، ج٢، ص ٣٧٨)، ثم إنه حين تحدث عن الشيخ محمد بن محمد قاضي زاده الأنصاري، الشهير بالقاضي عيد الذي لقيه بمكة المكرمة، قال بعد سرد مؤلفاته:" وأحضر لنا وَلَدَيْهِ الشيخ حنيف الدين، والشيخ زين العابدين، وكلاهما له معرفة

وحُسْنُ خُلُقٍ، والأول هو النائب عن والده في التدريس بالحرم الشريف"(ابن الطيب، ٢٠١٨م، ج٢، ص ٣٧٩).

وقد جرت العادة عند العلماء المغاربة والمشارقة، أن تكون مؤلفاتهم مما هو مقرر للطلبة في المدارس والجوامع، ولا تخرج هذه المؤلفات عن العلوم الشرعية، وعلوم اللغة العربية المختلفة، إضافة إلى الأدب العربي، غير أن الملاحظ من خلال المؤلفات المذكورة في بعض تراجم هؤلاء العلماء، أنهم كانوا يُدَرِّسُونَ أيضا كتب التصوف، سيرا على الثقافة التي كانت منتشرة في العالم الإسلامي.

وهذا ما يَظْهَرُ بوضوح في رحلة الوزير الإسحاقي، حيث سرد بعض مؤلفات الشيوخ الذين التقى بهم وحَلَّاهُمْ ببعض كلامه، والتي تجمع بين علوم الشريعة والأدب والتصوف، وربما كان هذا هو السبب في عزوف بعض الرحالين المغاربة عن طلب العلم بالحرمين الشريفين، بل وإيثار طلب العلم بالقاهرة عما سواهما، كما رأينا مع الحضيكي السوسي.

ثالثًا- المكتبات بالحرمين الشريفين:

ما يقال عن المدارس بالحرمين الشريفين، يمكن أن يقال أيضا عن المكتبات، بحيث لا نكاد نظفر إلا بالنزر اليسير من المعلومات حول هذا الموضوع، ومع ذلك، فهي تكتسي أهمية بالغة، حيث نستطيع من خلالها إدراك حِرْصِ العثمانيين يومئذ على تغليب كتب مذهب على آخر، باعتباره المذهب الرسمي للدولة، يقول محمد بن عبد السلام الناصري عن الكتب التي شاهدها بمكة المكرمة:" مُجَلَّدَانِ من ابن التلمساني على الجلَّاب إلى الحج، وأَعْجِبْ بِهِ مِنْ فقيه حافظ ورع زاهد في الدنيا، وكتاب المُجْمَلُ في اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء الجوهري – اللغوي-، في مجلد كثير الفوائد سَهْلِ التناول، والأول من الفاكهاني على الرسالة إلى آخر الصلوات، وهو شرح عديمُ النَّظِيرِ، لا أظن الرسالة شرحها متقدم ولا متأخر مثله، وحواشي الشيخ زكرياء الأنصاري على تفسير البيضاوي، وهي مختصرة محررة جامعة على عادته في مؤلفاته، في سِفْرٍ رُباعي مَدْمُوجٍ، وتَبْصِرَةُ اللخمي

المالكي، كاملة في أربعة أسفار بخط حسن مغربي من أحباس المسجد الحرام، ولم أكن رأيت منها في عمري إلا قسطا في الخزانة الناصرية ولم تُكْمَلْ بها.

وبمكة من الكتب، سِيَمَا في فقه الحنفية، العجبُ، وهي كاسدةٌ جِدّاً لا يكاد يباع منها شيء إلا بالموسم، ومما وجدته يباع بالمسجد الحرام: صحيح ابن حبان، ومُشْكَلُ الآثار، للطحاوي وهو كتاب كبير، والمؤتلف والمختلف للذهبي، والتَّجْرِيدُ، له، مختصر جامع الأصول، وعندنا في الخزانة الناصرية جزء من أصله، ومما وجدته يباع أيضا: الأحاديث المختارة للضياء المقدسي، أبوالحسن السندي على مسند الإمام أحمد في ثلاثة أجزاء، وقد اشْتُرِيَ لأميرنا نصره الله، فَجِيءَ به له، وسنن الترمذي والنسائي وهما بالخزانة الناصرية،كبقية الستة"(التمكروتي، ٢٠١٨م، ج٢، ص٧٣).

رابعًا- أثر الحركة العلمية على التواصل بين المغرب الأقصى والجزيرة العربية:

على أن هذه الحركة العلمية في هذا القرن بما لها من مميزات وخصائص، والتي تحدثنا عنها في المحور الأول، تحمل في طياتها دلالات متعددة، حَسْبُنَا مِنْهَا، أن نشير إلى ما لَفَتَ إليه كبارُ العلماء المغاربة المعاصرين أنظارَ طَلَبَتِهِمْ منذ ما يقارب نصف قرن من الزمان، للتأكيد على تلك الْعُرَى الوثيقة والقوية بين المغرب الأقصى والجزيرة العربية، خاصة مع تشجيع ملوك الدولة العلوية الشريفة على العلم والعلماء، بل واصطفاف بعض الملوك مِنْهُمْ في زمرة العلماء.

وهذا، كان له أثره القوي على الحياة العلمية بالمغرب وبالحرمين الشريفين بالجزيرة العربية بخاصة، وهنا لابد من أن أشير إلى ما قاله شيخنا الأستاذ الدكتور عباس الجراري حفظه الله، منذ ما يقرب من نصف قرن، حيث قال: "وإذا كان لمثل هذه الهجرات الجماعية تأثير في طبع المناخ الحضاري والثقافي في المغرب بسمات العروبة المبرزة لملامح الجزيرة العربية، فإن الهجرات الفردية كان لها أكبر الأثر على تكييف المسيرة السياسية لتاريخ المغرب، سواء حين حل إدريس بن عبد الله بن حسين بن علي بن أبي طالب سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨ م، فبايعه المغاربة وأنشؤوا تحت لوائه " الدولة الإدريسية "، أوحين وَفَدَ في أواخر القرن السابعِ

الحسنُ بن القاسم، المعروف بالداخل، والمتصل نسبه بعلي رضي الله عنه، وفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق محمد النفس الزكية، وأصله من "ينبع النخل" في الحجاز، وهوجَدُّ الملوك العلويين الذين يَعْتَلُونَ عرشَ المغرب منذ ثلاثة قرون ونصف، والذين يعملون باستمرار على تأكيد الروابط وتمتينها بين البلدين، وهي روابط تصل أحيانا إلى المصاهرة، على حد ما تم في عهد السلطان سيدي محمد بن عبدالله الذي زَوَّجَ كريمته لأمير مكة الشريف سرور، ومثل هذه الظاهرة، تؤكد أن الهجرات لم تكن من طرف واحد، أي من الجزيرة العربية إلى المغرب فحسب، ولكنها كانت تتم من المغرب إلى أرض الجزيرة العربية، وتتمثل جَلِيَّةً في وفود الحجاج، وخاصة منهم الطلبة والعلماء الذين كانوا ينهضون بدور التبادل الثقافي بين البلدين"(الجراري، ١٩٧٧م، ص٥٥ – ٥٦).

فلعله من الملاحظ أن الدكتور عباس الجراري يشير إلى نشاط الرحلات المغربية في التاريخ العلمي والثقافي المغربي بعامة، وإلى القرن الثاني عشر بخاصة، وذلك حين أتى على ذكر تزويج السلطان محمد بن عبد الله لإحدى كريماته بشريف مكة يومئذ سرور بن ساعد، وهو الحدث الذي كان له أثره البارز على تمتين الروابط الأخوية بين المغرب الأقصى والجزيرة العربية من جهة، وعلى تشجيع العلم والعلماء على الرحلة إلى الحرمين الشريفين، بما توافر من الظروف المساعدة على الاستقرار لطلب العلم أوللتدريس، من خلال كثرة الأوقاف التي كان يوقفها ملوك الدولة العلوية وأميراتهم لتشجيع الحركة العلمية.

فَعَنْ هذا الزفاف الذي أشار إليه الدكتور عباس الجراري، قال أبوالعباس الناصري: "كان السلطان سيدي محمد بن عبد الله يحب الفخر، ويُعنى به، وله رغبة في الخير وأهله، ولما كان سلطان مكة الشريف سرور رحمه الله بالمحل الذي أكرمه الله به بلدا ومَحْتِداً، رغب السلطان سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله في مصاهرته، وسمحت نفسه الشريفة ببذل كريمته.

فَلَمَا دخلت سنة اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمئة وَألف، وعزم ركب الْحَاج المغربي على السّفر إِلَى الْحجاز، بعث مَعَهم السُّلْطَان الْمَذْكُور ابْنَته وزفها على بَعْلهَا الْمَذْكُور، وَبعث وَلَده الْأَكْبَر

وخليفته الْأَشْهر، اَلْمولى عَليّ بن مُحَمَّد لإِقَامَة فَرِيضَة الْحَج، وَمَعَهُ شقيقه الْمولى عبد السَّلَام صَغِيرا دون بُلُوغ ليَكُون مَعَ أُخْته، وَكِلَاهُمَا فِي صُحْبَة الركب المغربي كَمَا قُلْنَا، وأصحبهما هَدِيَّة لأمير طرابلس وهدية لأمير مصر وَالشَّام، وهدية عَظِيمَة لأهل الْحَرَمَيْنِ الشريفين، ومَالاً كثيرا يُفَرَّقُ على أَشْرَاف الْحجاز واليمن، وجوائز سَنِيَّةً للْعُلَمَاء والنُّقَبَاءِ وأرباب الْوَظَائِف بِمَكَّة وَالْمَدِينَة، وَبعث مَعَهُمَا من وُجُوه أهل الْمغرب، وَأَوْلَاد أُمَرَاء الْقَبَائِل وأشياخهم، وَمن أكَابِر خُدَّامِهِ وَأَصْحَابِ أشغاله بالخيول المسومة وَالسِّلَاح الشاكي والشارة الْحَسَنَة، وَمَا تحدث بِهِ أهل الْمشرق دهرا، وَكَانَ فِي جَهَازِ ابْنة السُّلْطَان، مَا يزِيد على مئة ألف دِينَار من الحلَى والياقوت والجوهر، وَكَانَ يَوْم دُخُولهَا إِلَى مَكَّة يَوْمًا مشهودا، حَضَره عَامَّة أهل الْمَوْسِم الْأَعْظَم من الْآفَاق، وتناقلت حَدِيثه الركْبَان والرفاق (الناصري، ١٩٥٦م، ج٨، ص٣٤)"[1].

فلا يخفى ما يروم إليه الناصري من خلال العبارات التي عبر بها عن هذا الحدث المتميز، كما لا يخفى عن المتلقي دلالات قوله: "وهديةً عَظِيمَة لأهل الْحَرَمَيْنِ الشريفين"، فالْعُرَى المتينة بين الأسرة الملكية العلوية الشريفة وبين أهل الحجاز، تقتضي هدايا عظيمة على قدر عظمة العلاقة التي تجمع بينهما؛ هذا، إلى جانب تنصيصه على حضور طبقة العلماء ضمن المخصوصين بهذه الهدايا، تشجيعًا لهم، واعترافًا أيضا بدورهم المتميز في نسج العلاقة الأخوية المتينة بين الْقُطْرَيْنِ الشقيقين، وهذا ما أكد عليه العلامة الدكتور عبد الهادي التازي -قبل نصف قرن أيضًا- حين كشف لأول مرة عن اسم هذه الأميرة التي بَنَى بها الشيخ سرور بن ساعد، وعن اسم أميرة أخرى، أغفلت ذكرَ اسمها المصادرُ التاريخية المغربية، حيث قال وهو يتحدث عن العلاقات المتميزة بين المغرب والحجاز خلال هذا القرن الثاني عشر الذي نحن بصدده: "لقد وصلتنا سنة ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م- ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م أنباء عن زفاف أميرتين مغربيتين، هما ابنتا السلطان سيدي محمد بن عبد الله أو(محمد الثالث) -كما تسميه المصادر الحديثة - زفافهما إلى قصور مكة، حيث تزوج الأمير الشريف سرور الأميرة

(١) وراجع أيضًا: (ابن الطالب، ١٩٩٧م، ج١، ص٢٩).

لَالَّة لُبَابَة، بينما تزوج ابنه الأمير حَبِيبَة، إنه حدث يستوقفنا في حد ذاته... لقد أصبح القصر الملكي بالعاصمة المغربية يتوفر على لائحة دقيقة بالجهات التي كان على عاهل المغرب أن يصلها سنويا عن طريق ركب الحجاج"[1].

فبقدر ما يدل كل هذا عن العلاقات القوية الرابطة بين الملوك العلويين والجزيرة العربية؛ فَإِنَّ هذا يدل أيضا على أن ملوك الدولة العلوية بالمغرب، كانوا يحرصون الحرص كله على تخصيص جزء من ميزانية الدولة –بتعبيرنا المعاصر– لأوقاف الحرمين الشريفين، حتى تظل المؤسسات العلمية بالدرجة الأولى، دائمة الاشتغال، ومستمرة في أداء رسالتها في تلك البقاع المباركة. لهذا، فإننا نجد المؤرخين المغاربة على عهد هذه الدولة العلوية الشريفة، يحرصون كثيرا على ذكر المبالغ المالية التي كان يرسلها السلطان مع ركب الحاج المغربي،كلما تحرك نحوالديار المقدسة لأداء فريضة الحج، من ذلك على سبيل المثال فقط، قولُ أبي العباس الناصري:"وَفِي هَذِه السّنة، أَعنِي سنة خمس وَخمسين وَمئة وَألف، سَافر الركب المغربي إِلَى الْحَرَمَيْنِ الشريفين، فَبعث مَعَه أَمِير الْمُؤمنِينَ الْمولى عبد الله، رَحمَه الله، هَدِيَّة نفيسة، فِيهَا ثَلَاثَة وَعِشْرُونَ مُصحفا بَين كَبِير وصغير، محلاة بِالذَّهَب، مُرَصَّعَةً بِالدُّرِّ والْيَاقُوتِ، وَمن جُمْلَتهَا، الْمُصحف الْكَبِير العقباني الَّذِي كَانَ الْمُلُوك يتوارثونه بعد الْمُصحف العثماني الَّذِي كَانَ عِنْد بني أُميَّة بالأندلس...وَبعث السُّلْطَان رَحمَه الله مَعَه أَلفَيْنِ وَسَبْعمئة حَصَاة من الْيَاقُوت الْمُخْتَلف الألوان للحجرة النَّبَوِيَّة، على الْحَالِّ بهَا أفضلُ الصَّلَاة وأزكى التَّحِيَّة، وَتقبل الله من السُّلْطَان عمله وأجزل ثَوَابه[2]".

فهذا السخاء الذي لا حدود له، يدل على تلك الأواصر القوية التي كانت تجمع بين المغرب الأقصى والجزيرة العربية، كما أنه يعكس الرغبة الأكيدة لدى ملوك الدولة العلوية

(١) عبد الهادي التازي، **"بعض بيوتات وآثار الحرمين الشريفين من خلال الوثائق الدبلوماسية وحجج الوقف المغربية"**، مجلة دعوة الحق المغربية، (السنة الثامنة عشرة شعبان رمضان ١٣٩٧هـ/ أغسطس سبتمبر ١٩٧٧م)، عدد مزدوج ٧ – ٨، ص٨٣.

(٢) (الناصري، **الاستقصا**، ج٧، ص١٥٩).

الشريفة، على الدعم المستمر للحركة العلمية بالحرمين الشريفين بخاصة، وللمجتمع عامة بالحرمين الشريفين من خزينة الدولة المغربية، وهذا ما كان يثير تخوفات الدولة العثمانية حيث "عكس تقرير سري رفعه سفير عثماني إلى السلطان عبد الحميد، عَكَسَ فيه التخوفات التي كانت تهيمن على الباب العالي، من المركز الذي كان ينعم به ملك المغرب في سائر بلاد المشرق العربي(١)".

ودائما في إطار هذا المحور الذي يعكس تلك العلاقة المتينة بين الدولة العلوية الشريفة والجزيرة العربية، والتي كانت من بين ثمرات العلاقات العلمية بين المغرب والحرمين الشريفين، لابد من أشير إلى تلك الأموال التي رافقت الأميرة المغربية خناثة بنت بكار حين حَجَّتْ عام ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م، وهي الحجة التي كانت محور رحلة الوزير الإسحاقي التي اعتمدناها في هذا البحث، وقد قال عن هذه الْحَجَّةِ مؤرخُ الدولة العلوية عبد الكريم بن موسى الريفي: "وأنفقت في الحرمين الشريفين أموالا جليلة، وذخائر خطيرة، وفرقت أموالا كثيرة على الأشراف والأعيان، وعلى الفقراء والمساكين، وعلى الفقهاء والْعُرْبَانِ"(الريفي، ١٩٩٢م، ص١٣٧).

وقد فصَّل الوزير الإسحاقي صَرْفَ هذه الأموال بقوله:"ومن الغد من يوم نزولنا بالينبع، قَدِمَ مجموعة من الشرفاء أهلِ ينبع على السيدة والدة مولانا نصره الله، ففرحت بهم وكَسَتْهُمْ كَسَاوِيَ مَلِيحَةً من الْمِلْفِ والكَتَّانِ وحُزُمٍ، وأكرمتهم ؛ دفعت لهم أعزها الله مئتين مثقالا ذَهَباً مَطْبُوعَةً، كانت تأتيهم أيام مولانا أمير المؤمنين مولانا إسماعيل رحمه الله، وأعطتهم مئة مثقالٍ ذَهَبٍ من عندها، خمسين للشرفاء، وخمسين للشريفات أولاد عائشة، نفعها الله بذلك"(الوزير الإسحاقي، ٢٠١٧م، ج٢، ص٤٨٦).

واللافت للنظر في هذا النص، أن الأميرة المغربية أتحفت أهل ينبع بمالها الخاص، وبِصِلَةٍ كانت تأتيهم منذ عهد السلطان المولى إسماعيل، زَوْجِهَا، مما يعني، أن الملوك العلويين كانوا يرسلون أموالهم إلى الحرمين الشريفين، إضافة إلى أهل ينبع، أَجْدَادِهِمْ، كلَّ عام، لتعزيز

(١) التازي، **بعض بيوتات ومآثر الحرمين الشريفين**، دعوة الحق، عدد ٧- ٨ ص ٨٦.

أوقافهم بالبقاع المقدسة، وهو ما يتناسق مع ما أشار إليه علماء المغرب في أقوالهم التي استشهدنا بها سابقا؛ فاستمرار العلاقات المتينة بين المغرب والجزيرة العربية، يقتضي بالضرورة استمرار تعزيز الأوقاف المغربية بالحرمين الشريفين، لتستمر في أداء رسالتها العلمية والدينية والاجتماعية عمومًا.

ثم إن حج الأميرة المغربية خناثة بنت بكار هذه، كانت السببَ في تأسيس "دار المغرب بمكة المكرمة"، كما قال الدكتور عبد الهادي التازي[1]، فقد سَبَقَ وأن أشرنا إلى أنها اشترتها بثمن يقرب من ألف مثقال ذهب مطبوعة، وأوقفت عليها أوقافا كثيرة لضمان أداء رسالتها على الوجه المطلوب(الإسحاقي، ٢٠١٧م، ج٢، ص٥٨٠-٥٨١)، لِيَظَلَّ هذا الدعم السلطاني على زَخَمِهِ وضَخَامَتِهِ إلى نهاية هذا القرن الثاني عشر، لِتُفْتَحَ مع القرن الذي يَلِيهِ صفحةٌ أكثرُ تَأَلُّقاً من التعاون العلمي الرسمي بين المغرب والحجاز، يقول المؤرخ الضعيف الرباطي: "وفي هذه السنة (١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م) وجه السلطانُ الحاجَّ المُكِّي بَرْكَاشْ الرباطي لِتِطَّاوْنِ، ليحمل معه في البحر مئتي قنطار صدقةً، يفرقها في الشام وفي بيت المقدس، ثم يرجع لِمَكَّةَ، ويفرق بها وبالمدينة أيضا، أدام الله عزهما، فأقام بِتِطَّاوْنَ خمسة أشهر(الرباطي، ٢٠٠٧م، ج١، ص٣٤٨)"[2].

كل هذا، كان مما يزيد هذه العلاقة المتميزة بين المغرب والجزيرة العربية متانةً واستمراراً، وهو ما جعل كثيرا من الباحثين المغاربة يُنَوِّهُونَ بِمَتَانَتِهَا وبِرُسُوخِهَا وبِصَفَاءِ وُدِّها منذ قيام الدولة السعودية، فأشاروا إلى أن هذه العلاقة الخاصة،كانت –وما تزال–

(١) راجع المقدمة الوافية التي قدم بها المحقق لرحلة الوزير الإسحاقي، وبخاصة ج١، ص٩٨، وما بعدها.

(٢) القنطار عندنا في المغرب زِنَتُهُ مئة كيلوغرام، هذا، وقد أشار الضعيف الرباطي إلى أن السلطان المولى محمد بن عبد الله " في سنة سبعة وتسعين ومئة وألف المذكورة، وجه المال صدقة مع ركب الحجاج للأشراف بالمدينة شرفها الله، وللأشراف الذين كانوا بمكة أعزها الله، وبعث المال أيضا لعلماء أهل مصر..."(الرباطي، ٢٠٠٧م، ج١، ص٣٤٧).

علاقةً لا يشوبها التَّقَلُّبُ أوالتغير حسب الظروف والمناسبات، وإنما هي علاقة متينة أُسِّسَتْ أصلا على قواعد المحبة الأخوية، والْأَوَاصِرِ الجامعة بين الأشقاء، وهذا ما أشار إليه الأستاذ عبد الهادي البرجالي، في وقت مبكر من استقلال المغرب عن فرنسا، حيث قال: "وفي نطاق العلائق مع العالم العربي، كان للمغرب على امتداد الدولة العلوية، سياسةُ ارتباطٍ متينٍ بالحجاز على نحو مباشر، وإذا كانت الدبلوماسية المغربية تتعرض أحيانا لتغيرات في علاقاتها مع الدول الأخرى، نتيجة التقلب الذي قد يحدث في ظروف علاقاتها مع هذه الدول الأخرى، فإن الأمر بالنسبة للحجاز يختلف، إذ إن متانة العلاقة معه،كانت قاعدة ثابتة في صلب الدبلوماسية المغربية لا تختلف.

والواقع أن ربط العلائق مع الحجاز، كان في مقدمة العلاقات المغربية على عهد العلويين، ويتجدد الاهتمام بتنمية هذه العلائق من السابق منهم إلى اللاحق خلال العصور...وفي هذا النطاق، نرى أن من مظاهر هذا التواصل ، ما دأب عليه الملوك العلويون من مُهَادَاةِ أمراء مكة وربط الصلة بأهلها، وكان مما يُهْدَى إلى أمراء مكة: المصاحف الثمينة والنفائس المادية المختلفة. ولم تكن العلائق الحجازية المغربية منحصرة في نطاق اللياقة الدبلوماسية وما إليها، وإنما كانت هناك - إلى جانب ذلك - بعض الاتصالات العلمية واقعة بين علماء الحجاز وعلماء المغرب، والمثير فيها لِلْالْتِفَاتِ، أنها وقعت في بعض الأحيان بدافع من ملك المغرب نفسه"(البرجالي، ١٩٦٧م، ص١٥٦)، وهذا ما أثمر فيما بعد، تبادلا للآراء على أعلى المستويات، بين علماء المغرب وعلماء الجزيرة العربية، بعد قيام الدولة السعودية الأولى، وظهور الحركة الإصلاحية مع الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله، وبخاصة خلال العقد الثاني من القرن الثالث عشر، حين أرسل السلطان المولى سليمان العلوي، عددا هاما من علماء المغرب للوقوف ميدانيا على طبيعة هذه الدعوة الإصلاحية، وقد أَوْلَتْهُ المصادر المغربية خلال هذه الفترة عنايةً خاصة، لما يَكْتَسِيهِ من دلالات خاصةٍ عن العلاقات المتينة الراقية بين الأسرتين العلوية الشريفة بالمغرب، والسعودية العريقة بالجزيرة العربية.

وعليه، فالعلاقة بين المغرب والحجاز، ليست علاقة مَصَالِحَ ومُنَاسَبَاتٍ فقط، تَتَقَلَّبُ بِتَقَلُّبِ الظروف التي تستدعي هذه المصلحة أوتلك، وإنما هي علاقة مستمرة لا تعرف الانقطاع، لأنها أُسِّسَتْ أول مرة على قواعد متينة تضرب بجذورها في التاريخ، ثم إنها علاقة أَحْكَمَ نَسْجَهَا العلم والعلماء، كما قلنا من قبل، فكان طبيعيا أن يبارك الله عز وجل فيها، خاصة وأن ملوك المغرب العلويين، كانوا دائما على قدر كبير من العلم، تحصيلاً وعنايةً بأهله وبمدارسه، كما يظهر من سيرة السلطان المولى محمد بن عبد الله الذي اشتهر بتآليفه وبعنايته بالحديث النبوي[1].

وهنا أحب أن أستشهد بكلمة للعلامة المحقق عبد العزيز بن عبد الله، وهو يتحدث عن هذه الروابط العلمية الخاصة التي تجمع بين المغرب الأقصى والجزيرة العربية، حتى شَكَّلَتْ إِرْثاً علميا وحضاريا مشتركًا، يقول: "وقد تبلور نتاج هذه الروابط -علاوة على الرحلات فيما صَنَّفَهُ العلماء من فهارسَ وأَثْبَاتٍ سجلوا فيها إجازاتهم وارْتِسَامَاتِهِمْ وما جَنَوْهُ من ثمارٍ خلال رحلاتهم، فلم يَقِلَّ هذا النوع من المعلومات فائدة ولا عائدة عن مضامين الرحلات، وكانت الصلات حقا متبادلة، إلا أنها نادرة بالنسبة للواردين على المغرب من الشرق، ومع ذلك، فإن فكرهم النابع من إجازاتهم ودروسهم ومؤلفاتهم، كان يرحل إلى المغرب مع العائدين ؛ فَيُسْهِمُ بحظ وافر في إثراء المكتبة العربية الإسلامية في المغرب العربي، وما زالت مكتباتنا العامة والخاصة تَزْخَرُ بنوادر المخطوطات الشرقية التي ضاع بعضها في الشرق، واحتفظ المغرب بأصولها الفريدة (عبدالله، ١٩٨٦م، ص ١٦)".

لذلك، فإنه من الطبيعي أن يكون التركيز على أثر الحركة العلمية، أمراً يفرض نفسه كلما دعت الضرورة إلى الحديث عن العلاقة المتينة بين المغرب والجزيرة العربية، لأنها أَحْكَمَتْ نَسْجَ هذه العلاقة كما قلنا، ثم إنها مرتبطة أشد الارتباط بهذا الدين الإسلامي العظيم الذي جَعَلَ اللهُ جل وعلا الْعِلْمَ قُطْبَ رَحَاهُ، وعَمُودَهُ الْأَسَاسَ.

(١) راجع في هذا الباب على سبيل المثال لا الحصر، دراسة للأستاذ عبد الهادي الحسين (الحسين، ١٩٨٥م، ص١٦١).

وهنا، لابد وأن أشير إلى أن بعض علماء مكة المكرمة، وإدراكا منهم لمتانة الروابط التي ينسجها العلم والعلماء، وتأكيدا لما أشار إليه العلامة عبد العزيز بن عبد الله سابقا، كان قد عزم على أن يرسل كتبه هدية إلى السلطان المولى إسماعيل، لكنَّ موانعَ حَالَتْ دون ذلك، فَتُوُفِّيَ المولى إسماعيل، ولما حجَّت زوجته خناثة بنت بكار، أرسلها مع الوزير الإسحاقي هديَّةً إلى السلطان المولى عبد الله، إِنْفَاذاً لما كان قد عزم عليه من قبل، قال الإسحاقي عن الشيخ عبد الله السكندراني الضرير:"وحدثنا بمصنفاته في التفسير والحديث وعلم الكلام وغير ذلك، فإذا هي شتى، منها: تفسير بالنظم، يزيد على ثلاثة آلاف بيت في الرجز، وكان عزم على توجيه مؤلفاته إلى المغرب، وطلب مني أن أحملها حتى أوصلها إلى بَيْنَ يَدَيِّ مولانا أمير المؤمنين مولانا عبد الله بن مولانا أمير المؤمنين نصره الله، فقلت: نحملها على بركة الله، ونُقِرَّ عَيْنَكَ بذلك، قال لي: كنت عزمت على هذا الغرض في حياة مولانا إسماعيل رحمه الله، فلم يُقَدَّرْ لي ذلك، ثم بعد ذلك بدا له في إمساكها عنده، وهو رجل من أهل الخير والقناعة في الدنيا"(الإسحاقي، ٢٠١٧م، ج٢، ص٥٧٩).

فكل هذا، يؤكد مدى الأثر القوي للعلم والعلماء على مَدِّ جسور التَّوَاصُلِ الْبَنَّاءِ والمستمر بين الجزيرة العربية والمغرب، على كل المستويات، خاصة حين يكون العلم والعلماء، تَدْرِيساً وتَأْطِيراً، في صُلْبِ اهْتِمَامِ أَوْلِيَاءِ الْأَمْرِ.

الخاتمة:

من خلال هذا البحث المتواضع، يكون قد تَبَيَّنَتْ لنا معظم جوانب الحركة العلمية بالحرمين الشريفين، سواء منها ما تعلق بالشيوخ والعلماء الذين أتى الرحالون المغاربة في هذا القرن الثاني عشر على ذكرهم أوتَخْلِيَّتِهِمْ في التراجم التي عقدوها لهم، كما نَوَّهُوا إلى ما أخذوه عنهم من مسموعات أومقروءات أومؤلفات أوما إلى ذلك، والذي بدا لنا متفاوتا بين هذه الرحلة أوتلك، هذا فضلا عن الإجازات التي تبادلوها معهم، لأن غالبية الرحالين المغاربة في هذا القرن، كانوا من العلماء والحفَّاظ والفقهاء، والذين رحلوا في مهمات رسمية كُلِّفُوا بها

من طرف السلطان، خاصة وأن كثيرا منهم كان من كبار الدولة العلوية بالمغرب خلال هذا العهد.

كما أننا وقفنا على ما يتعلق ببعض المدارس التي كانت من ضمن الأوقاف المغربية بمكة المكرمة بخاصة، هذا إلى جانب المكتبات التي وجدنا لها صدى واضحا في بعض هذه الرحلات، بما رصده الرحالون من تحديدٍ لتخصصاتها الفقهية أوالعلمية.

كما تَبَيَّنَ لنا أيضا، ذلك الأثر القوي الذي تركه تشجيعُ سلاطين الدولة العلوية الشريفة لهذه الحركة العلمية بمكة المكرمة والمدينة المنورة، بما داوموا عليه من وَقْفٍ للأوقاف المختلفة، أوبإرسال المكافآت والصدقات والهِبَاتِ والمِنَحِ إلى القائمين على العلم وأهله، من الطلبة والعلماء والمدرسين والأئمة والخطباء بالمسجد الحرام أوبالمسجد النبوي الشريف.

كما أننا وقفنا على ما تمخض عن هذه الحركة العلمية المباركة ببلاد الحرمين الشريفين، من نَسْجٍ -وبإحكام- لعلاقات أخوية متينة بين المغاربة وبلاد الحرمين، والتي أحكم نَسْجَهَا العلماء منذ البداية، والذين كانوا في المحل الرفيع من التقدير والاحترام لدى أولياء الأمور في البلدين كليهما، لِتَنْضَمَّ آصِرَةُ الدَّمِ إلى آصرة الدين والعقيدة والعلم، وكل ذلك سَهَرَ عليه وأَسَّسَ لَهُ علماء، أرادوا منذ البداية أن تظل هذه العلاقات المباركة مُثْمِرَةً تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا.

المصادر والمراجع:

الإسحاقي، الشرقي بن محمد. (١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م). *رحلة الوزير الإسحاقي الوزير الحجازية*. دراسة وتحقيق: الأستاذ محمد الأندلسي. ط١. دار أبي رقراق للطباعة والنشر. الرباط. المغرب.

البرجالي، عبد الهادي. (١٣٩٧هـ/ ١٩٦٧م). "لمحات الديبلوماسية المغربية في عهد العلويين". *مجلة دعوة الحق المغربية*. السنة العاشرة شعبان/ رمضان، ع.٩٦.

بنعيسى، أحمد بويوزان. (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م). *فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج، من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين*. ط١. جامعة أم القرى، شعبان / شتنبر.مكة المكرمة. المملكة العربية السعودية.

التازي، عبد الهادي. (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م). "بعض بيوتات وآثار الحرمين الشريفين من خلال الوثائق الدبلوماسية وحجج الوقف المغربية". *مجلة دعوة الحق المغربية*. السنة الثامنة عشرة، شعبان/ رمضان. ع. ٧ – ٨.

التمكروني، محمد بن عبد السلام الناصري. (٢٠١٨م). *الرحلة الناصرية الكبرى*. تحقيق وتقديم: الدكتور المهدي الغالي. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وأبوظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع ، ٢٠١٨.

الجراري الدكتور، عباس. (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م). مدخل لرحلة الحضيكي الحجازية. *مجلة الفيصل السعودية*. شوال/ سبتمبر. السنة الأولى. العدد الرابع.

الحسين، عبد الهادي. (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م). "موقف السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي من كتب الفروع". *مجلة دعوة الحق المغربية*. جمادى الثانية/ مارس. ع. ٢٤٦.

الدرعي. أحمد بن محمد الناصري. (٢٠١١م). *الرحلة الناصرية*. تحقيق وتقديم: عبد الحفيظ ملوكي. ط١. دار السويدي للنشر والتوزيع. أبو ظبي.

الرباطي، محمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد. (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م). *تاريخ الضعيف الرباطي*. دراسة وتحقيق: الأستاذ محمد البوزيدي الشيخي. ط٢. مطبعة دار الثقافة للنشر والتوزيع. الدار البيضاء. المغرب.

الريفي، عبد الكريم بن موسى. (١٩٩٢م). *زهر الأكم*. تحقيق ودراسة: آسية بنعدادة. ط١. مطبعة المعارف الجديدة. الرباط.

الزَّيَانِي، أبوالقاسم. (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م). الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور بَرّاً وبَحْراً. تحقيق وتعليق: عبد الكريم الفيلالي. ط٢. دار نشر المعرفة. الرباط.

السوسي. محمد بن أحمد الحضيكي. (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م). *الرحلة الحجازية*. ضبط وتعليق: عبد العالي لمدبر. ط١. مركز الدراسات وإحياء التراث. الرباط. المغرب.

الطالب، عبد السلام بن عبد القادر بن محمد بن عبد القادر. (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).*إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع*. تحقيق: محمد حجي. ط١. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان.

الطيب، محمد بن الطيب الشرقي الفاسي. (١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م). *الرحلة الحجازية*. تحقيق وتقديم: نور الدين شوبد وحسناء بوتوادي. ط١. دار أبي رقراق للطباعة والنشر. الرباط. المغرب.

عبدالله، عبد العزيز. (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م). "الرحلات الحجازية المغربية كشف لأمجاد الجزيرة العربية". *مجلة دعوة الحق المغربية*. ربيع الثاني/ دجنبر ١٩٨٦م.ع. ٢٦١.

العياشي. عبد الله بن محمد أبوسالم.(١٩٩٢م). *الرحلة الحجازية المسماة ماء الموائد*. تحقيق وتخريج وتعليق: آل شيخ أحمد فريد المزيدي. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت.

القادري. أحمد بن عبد القادر القادري، أبوالعباس. (١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م). *نسمة الآس في حَجَّةِ سيدنا أبي العباس*. تقديم وتحقيق: الأستاذ المصطفى مدوحي. ط١. دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب.

القادري، محمد بن الطيب. (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م). *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*. تحقيق: محمد حجي وأحمد التوفيق. ط١. مكتبة الطالب. الرباط. المغرب.

المكي، عبدالعزيز أيت. (٢٠١٥م). "الرحلات الدرعية إلى الديار الحجازية – محاولة ببلوغرافية" ضمن كتاب "الرحلات الدرعية إلى الديار الحجازية". منشورات المجلس العلمي المحلي لزاكورة. ط١. ورزازات. المغرب.

الناصري، أحمد بن خالد الناصري، أبوالعباس. (١٩٥٦م). *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*. تحقيق وتقديم: جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ط١. دار الكتاب، الدار البيضاء. المغرب.

الهلالي السجلماسي، أبوالعباس. (٢٠١٢). *رحلة التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام رحلة*. دراسة وتحقيق: محمد بوزيان بنعلي. ط١. مطبعة الجسور. وجدة. المغرب.

اليوسي. الحسن بن مسعود. (١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م). *الرحلة الحجازية*. تحقيق: الدكتور عبد المجيد خِيَّالي. ط١. سلا. المغرب.

اليوسي، الحسن بن مسعود اليوسي. (٢٠١٣م). *القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم*. تقديم وتحقيق وفهرسة: حميد حماني اليوسي. ط٢. مطبعة فضالة – المحمدية. المغرب.

جامعة الملك سعود
مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها (HSCA)
ردمد (ورقي): ٩٢٧٠- ١٦٥٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٩٨٣١- ١٦٥٨

King Saud University
King Salman's Center For Historical
and Civilization Studies Of Arabian Peninsula
Journal of Studies in the History and Civilization
of Arabia (HSCA)
ISSN: 1658-9270
EISSN: 1658-9831

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، مج(٢)، ع٢، ص ص٩١-١١٧ ، جامعة الملك سعود، الرياض (١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م)
Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia, Vol. 2, (2), pp 91-117, King Saud University, Riyadh (1446H / 2025)

إمارة الأمير القاسم بن الحسن بن علي بن طرف في مخلاف عثر في ضوء دينار ه المضروب في بيش سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤١م

د. نايف بن عبدالله الشرعان
مدير إدارة العملة، البنك المركزي السعودي
nsharaan@sama.gov.sa

(قُدِّم للنشر في ١٥/ ٠٣/ ١٤٤٦هـ، وقُبِل للنشر في ١٦/ ٠٦/ ١٤٤٦هـ)

الملخص:

تعد النقود الإسلامية المضروبة في مخلاف عثر من أهم النقود الإسلامية المضروبة في مدن الجزيرة العربية في العصر الإسلامي، وتعد نقود أمراء بني طرف مصادر تاريخية مهمة، تساعد الباحثين الآثاريين، والتاريخيين على حد سواء، في كتابة تاريخ هذه الأسرة بشكل خاص، وتاريخ مخلاف عثر عامة، في ظل ندرة المعلومات التاريخية المتوفرة في المصادر التاريخية، ويعد دينار الأمير القاسم بن الحسن بن علي بن طرف المضروب في مدينة بيش سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م، المحفوظ في مجموعة الأستاذ/ سوار بدر، في إمارة أبو ظبي، بالإمارات العربية المتحدة، من أهم نقود لأسرة بني طرف، بل ويعد الوحيد من نقود هذه الأسرة المضروبة في مدينة بيش، ولا يوجد له مثيل إلى الآن، وقد ساهم هذا الدينار في تاريخ تعاقب أمراء بني طرف على كرسي إمارة مخلاف عثر، وتمت دراسة هذا الدينار في ضوء المعلومات المتوافرة دراسة وصفية تحليلية، توصلت الدراسة من خلالها إلى عدد من النتائج المهمة، التي تعد إضافة إلى تاريخ أسرة بني طرف في مخلاف عثر، وتاريخ منطقة جازان، والجزيرة العربية في العصور الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: عثر، بيش، مخلاف عثر، بنو طرف، منطقة جازان.

The Emirate of Prince Al-Qasim bin Al-Hassan bin Ali bin Taraf in Mikhlaf Athar In Light of His Coin Minted in Baysh in the Year 329 AH / 941 AD

Dr. Nayef bin Abdullah Al-Shar'an
Currency Department Director, Saudi Central Bank
nsharaan@sama.gov.sa

(Received: 15/ 3/ 1446 H; Accepted for publication: 16/ 6/ 1446 H)

Abstract:

The Islamic coins minted in Mikhlaf ʿAththar represent a significant part of the numismatic history of the Arabian Peninsula during the Islamic era. Among these, the coins of the Banu Tarf princes provide vital historical evidence that helps both archaeologists and historians document the history of this family and the broader region of Mikhlaf ʿAththar, especially given the limited historical data from traditional sources. This paper focuses on the dinar of Prince Al-Qasim bin Al-Hasan bin Ali bin Tarf, minted in Bish in 329 AH / 940 AD, and currently preserved in the collection of Mr. Sewar Badur in the Emirate of Abu Dhabi, UAE. Notably, this coin is the only known piece minted in Bish by the Banu Tarf, and it offers valuable insights into the princely succession in Mikhlaf ʿAththar. Through a detailed descriptive and analytical study of this unique dinar, several significant findings have emerged that contribute to our understanding of the Banu Tarf family, the history of Mikhlaf ʿAththar, and the wider history of the Jazan region and the Arabian Peninsula during the Islamic period.

Keywords:ʿAththar, Bish, Mikhlaf ʿAththar, Banu Tarf, Jazan region.

المقدمة:

تحظى نقود مخلاف عثر الإسلامية بأهمية كبيرة باعتبارها وثائق مهمة جدًّا؛ فقد حفظت لنا كثيرًا من المعلومات التي كان لها الفضل في الكشف عن تاريخ أسرة بني طرف، حكام مخلاف عثر، من منتصف القرن الثالث إلى منتصف الخامس الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين؛ فهي على قدر كبير من الأهمية للدراسات الأثرية والتاريخية لمخلاف عثر، وتسهم في تقديم صور واضحة عن جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مخلاف عثر خلال تلك الفترة، وتُساعد في إعادة بناء الصورة التاريخية لمنطقة جازان جنوب المملكة العربية السعودية، في العصور الإسلامية.

وتعتبر هذه النقود من الناحية السياسية وسيلة مهمة للتعرف إلى حكام هذا المخلاف وفترات حكمهم، والتغيرات السياسية لأمراء بني طرف خلال تناوبهم على حكمه في فتراته التاريخية المختلفة، فغالبًا ما كانت هذه النقود تحمل أسماء أمراء هذه الأسرة، وتاريخ سكها، وهو ما سهّل على الباحثين تحديد أسمائهم، وتتبع التسلسل الزمني لكل أمير منهم، وتحديد فترته الزمنية، كما أنها أسهمت في رصد الأحداث التاريخية للمخلاف، وعلاقاته السياسية بالقوى المحيطة به، كما أن نقود مخلاف عثر بما تحمله من نصوص كتابية، وما لهذه النصوص من دلالات، تُستخدم لتعزيز شرعية السلطة لأمراء المخلاف من أسرة بني طرف؛ وهو ما يُعطي فكرة عن المبادئ والأفكار والسياسات التي كانوا يتبعونها.

أما من الناحية الاقتصادية، فإن نقود مخلاف عثر تُظهر مدى تطور النظام المالي في المخلاف، فعمليات سكّ العملة المحلية تُعبّر عن قوة اقتصاد إمارة بني طرف، ورواج الدينار العثري، وزيادة الطلب عليه على مستوى المنطقة عامة؛ تعدُّ شاهدًا ماديًّا على حجم العلاقات الاقتصادية والتجارية التي كان يتمتع بها مخلاف عثر، الذي كان يشهد نشاطًا تجاريًّا مزدهرًا، بفضل موقعه الاستراتيجي المطلّ على البحر الأحمر؛ وهو ما جعل منه مركزًا لتبادل السلع بين الشرق والغرب، وباقي مدن أقاليم الجزيرة العربية.

ومن النواحي الدينية، والاجتماعية، والثقافية، فإن هذه النقود تعدّ مرآة تعكس الحياة اليومية والتعاليم الدينية، والعادات الاجتماعية، والقيم الثقافية لسكان المخلاف، فالنصوص الكتابية والنقوش والزخارف التي تحملها هذه النقود تُعطي فكرة عن التوجهات المذهبية، والثقافات السائدة فيه، كما أنها تُعدّ مصادر مهمة لفهم التوجّهات السياسية والدينية والفكرية، التي كانت تسود في تلك الحقبة، إضافة إلى أن هذه النقود تُظهر التداخل الثقافي والتأثيرات المتبادلة بين ثقافات القوى المتحكمة في المخلاف والمحيطة به، مع ثقافة سكانه، كما أنها تعكس مدى انفتاح مخلاف عثر على العالم الخارجي.

وعمومًا تُعدّ النقود المضروبة في مخلاف عثر مصدرًا ثريًّا ومتنوّعًا للمعلومات التاريخية، التي تُسهم في تشكيل رؤية واضحة، وتساعد في فهم أعمق لتاريخ جنوب الجزيرة العربية عامةً، ومخلاف عثر خاصةً؛ وهذا ما مكن الآثاريين والمؤرخين من إجراء دراسات دقيقة ومفصلة عن جوانب الحياة المختلفة في هذا المخلاف خلال فترة إمارة بني طرف[1]، فالدنانير العثرية هي من كشف النقاب عن تاريخ هذه الأسرة، في ظلّ غياب تامّ للمصادر التاريخية الأخرى، كما أنها أظهرت عددًا من الحقائق التي لم تكن معروفة قبل ظهورها، وغيّرت بعض المفاهيم التاريخية المسلَّم بها، وأماطت اللثام عن الأحداث التي شهدها

(١) ظهر مؤخرًا عدد من الدراسات العلمية عن تاريخ مخلاف عثر، أو المخلاف السليماني، وأسرة بني طرف حكام هذا المخلاف خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين، من أهمها: الشرعان، نايف بن عبدالله. (١٩٩٧م). "نقود أموية وعباسية ضرب الحجاز ونجد وتهامة في العصرين الأموي والعباسي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٩٩٧م، ص٤٤- ٦٢؛ الطميحي، فيصل بن علي. (٢٠٠٢). "النقود ودورها في تصحيح أوهام المؤرخين"، مجلة عالم المخطوطات، مج٧، ع (١)، ص٢١٨- ٢٣٣؛ الزيلعي، أحمد بن عمر. (٢٠٠٦م). "مخلاف عثر في القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر للميلاد)"، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الكتاب الخامس، ج٢، ص١٩١- ٢٠٠؛ الطميحي، فيصل بن علي. (٢٠١٥م). تحقيق موضعي المخلاف السليماني والعرش في منطقة جازان: الوهم والحقيقة، ط١، جازان، نادي جازان الأدبي، ص١٣- ٣٠.

مخلاف عثر منذ منتصف القرن الثالث الهجريّ/ التاسع الميلاديّ، إلى منتصف القرن الخامس الهجريّ/ الحادي عشر الميلاديّ.

وتمتاز نقود بني طرف المضروبة في مدينتي عثر وبيش بأنها من أهمّ النقود الإسلامية وأكثرها ندرةً عمومًا، والنقود المضروبة في الجزيرة العربية خصوصًا. ومن بين هذه النقود المهمة دينار ظهر مؤخرًا، سُكَّ في مدينة بيش سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤١م، وسوف يدرَس وتحلَّل نصوصه الكتابية في ضوء المعلومات المتوافرة في المصادر التاريخية، بعد تقديم نبذة مختصرة عن الإطار الجغرافيّ لهذا المخلاف، وإلقاء الضوء على بداية ظهور أسرة بني طرف وقدومهم إلى مخلاف عثر، وإنشائهم إمارتهم فيه، ودور أبناء طرف وأحفاده في تثبيت أركان هذه الإمارة وتوارثها.

الإطار الجغرافيّ لمخلاف عثر:

اختلف الجغرافيون المسلمون، وتباينت طروحاتهم حول وصف مخلاف عثر من الناحية الجغرافية، وتحديد صفته وحدوده، فقد سمّاه عدد منهم بـ"مخلاف عثر"، وقال عنه آخرون "ناحية عثر، وسمّاه بعضهم "ساحل عثر"، وأطلق عليه فريق آخر اسم "مدينة أو ميناء عثر" ، إلا أنهم مع اختلافهم اتفقوا على أن عثر محطة من محطات طريق الحج والتجارة المحاذي لساحل البحر الأحمر، أو ما يعرف بطريق اليمن الساحلي، الذي يربط اليمن بالحجاز من عدن مرورًا بعثر، ثم إلى بعض مدن المخلاف، ومنها شمالًا إلى باقي محطات هذا الطريق، إلى أن يصل إلى الشُعَيْبَة، فجدّة، ومنها شرقًا إلى مكة المكرمة (الزيلعي، ٢٠٠٦م: ١٩٢؛ معروف، ٢٠٢١م: ١/ ٩٠).

وسوف نتناول أهم طروحات الجغرافيين والمؤرخين خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، عن مدينة عثر ومخلافها، حسب فترتهم التاريخية. فمن الجغرافيين المعاصرين لتلك الفترة اليعقوبي، الذي وصف عثر بأنها ساحل بيش (١٨٩١م: ٣١٦)، في الوقت الذي اكتفى فيه ابن خرداذبة بالإشارة إلى أن عثر تقع على طريق اليمن الساحلي (١٨٨٩م: ١٤٧- ١٤٨)، واتفق معهما الحربي الذي وصف عثر بأنها تقع على

الطريق الساحليّ المؤدّي إلى مكة (١٩٦٩م: ٦٤٦)، في حين ذكر قدامة بن جعفر أن عثر إحدى مدن أو محطات طريق الجادة من اليمن إلى مكة (١٩٨٠م: ٨٦).

أما الهمداني العارف بتفاصيل هذه المنطقة فيصف عثر بأنها ميناء أو مدينة ساحلية كثيرة الموج، "وسوق عظيم شأنها، وقد تثقله العرب، فيقولون عَثّر، وإلى حازة عثر تنسب الأسود، التي يقال لها أسود عثر، وأسود عِتْوِد، وهي قرية بواديها" (١٩٧٧م: ٧٦- ٧٧)، وفي موضع آخر يقدم وصفًا دقيقًا لمخلاف عثر وتضاريسه، وأشهر أوديته، وسكانه وملوكه، بقوله: "ثم مخلاف عثر: وعثر ساحل جليل، ومدينة بيش، وحصبة أبراق، وفيه من الأودية الأمان، ووادي بيش، ووادي عتود، ووادي بيض، ووادي ريم، وعرمرم، ووادي زنيف، ووادي العمود، وهو لخولان وكنانة والأزد، وملوكه من بني مخزوم، ومن عبيدها" (الهمداني، ١٩٧٧م: ٢٥٩)، كما حدد طول عثر وعرضها بقوله: "وعرض عثر ست عشرة درجة وربع، وطولها من المشرق مئة وتسع عشرة درجة وربع" (الهمداني، ١٩٧٧م: ٥٤).

ويعدّ ابن حوقل من أفضل الجغرافيين المسلمين الذين قدّموا وصفًا مفصلًا عن مخلاف عثر، فبعد أن وصف مدينة عثر بأنها مدينة كبيرة على ساحل القلزم استعرض مكانة حاكمها بين ملوك تهامة، بقوله: "ويتلوه [أي يتلو ابن زياد حاكم زبيد، وتهامة اليمن] في المكانة والمقدرة ابن طرف، صاحب عثر، ويشمل ملكه على وجوه الأموال، وضروب الجبايات، ويكون الواصل إليه كنصف ما يصل إلى ولد أبي الجيش بن زياد من المال" (١٩٣٨م: ٣٠- ٣٤)، ويعتبر ابن حوقل أول من ذكر هذه التفاصيل الدقيقة والمهمة عن مخلاف عثر وملوكها، بل إنه انفرد بها عن سواها، وأخذها عنه كل من جاء من بعده من الجغرافيين والمؤرخين.

ويصف المقدسي تضاريس مخلاف عثر، وأوديته، ومدنه، وحياة سكانه، وأهميته بدقة، بقوله: "وناحية عثر ناحية جليلة، عليها سلطان برأسه، ومدنها نفيسة، وعثر مدينة كبيرة، طيبة مذكورة؛ لأنها قصبة الناحية...، بها سوق حسن، وجامع عامر"، ويذكر في موضع آخر

مدن المخلاف بقوله: "وناحية عثر مدنها: بيش، وحلي، والسرين، وناحية السروات"، ثم وصف مدينة بيش بأنها أطيب هواءً من عثر، وأعذب ماءً، وبها ينزل السلطان، وداره إلى جانب الجامع" (١٩٠٩م: ٧٠-٨٦)، وبيش وعثر كلاهما مخلاف واحد، فمدينة عثر ساحل المخلاف، وقصبته، ومدينة بيش تمثل الامتداد الداخلي للمخلاف، وتشكلان مع بعضهما، وما يتبعهما من أودية، ومدن، وقرى مخلاف عثر، أو مخلاف بيش، وهو ما يطلق عليه في بعض المصادر التاريخية مخلاف ابن طرف (الزيلعي، ٢٠٠٦م: ؛١٩٢؛ الطميحي، ٢٠١٥م: ١٨).

ومن المؤرخين، الذين تحدثوا عن جغرافية مخلاف عثر وأوضاعه الإدارية المؤرخ عمارة الحكمي، الذي ذكر معلومات يغلب عليها الطابع التاريخي، مع بعض الأوهام التي وقع فيها عمارة، خاصة في اسم صاحب عثر، إلا أنها تعد مهمة، في معرفة حدود مخلاف عثر، ومكانة ملكه ابن طرف، الذي وصفه عمارة بأنه من ملوك تهامة، بقوله: "وممن امتنع عن أبي الجيش بن زياد [حاكم زبيد، وتهامة اليمن] سليمان بن طرف، صاحب عثر، وهو من ملوك تهامة، وعمله مسيرة سبعة أيام في عرض يومين، وهو من الشرجة إلى حلي، ومبلغ ارتفاعه في السنة خمسمائة ألف دينار عثّرية" (١٩٨٥م: ٦٣- ٦٤).

ويتضح من قول عمارة أن حدود مخلاف عثر، أو مخلاف ابن طرف، تمتدّ من مدينة الشرجة الواقعة بالقرب من حدود المملكة العربية السعودية مع جمهورية اليمن جنوبًا، إلى مدينة حلي شمالًا، ومن ساحل البحر الأحمر غربًا، إلى أصدار منطقة عسير، أو إلى محافظة رجال ألمع وما صَاقبَها شمالًا وجنوبًا، وهذا ما يمثّل غالب المساحة الجغرافية والإدارية التي تشغلها منطقة جازان في الوقت الحاضر، والتي تضم كثيرًا من المدن والقرى التابعة لها،ومن أشهرها خلال فترة الدراسة مدينتا عثر وبيش، جوهرتا هذا المخلاف، ومقر ملوكه من بني مخزوم، وبني طرف (العقيلي، ١٩٥٨م: ١/ ٣؛ العقيلي، ١٩٦٩م: ١٥؛ الزيلعي، ١٩٩٢م: ٩).

أسرة بنو طرف أمراء مخلاف عثر:

يسود الغموض تاريخ مخلاف عثر منذ بداية القرن الثالث الهجريّ/ التاسع الميلاديّ، إلى نهاية القرن الخامس الهجريّ/ الحادي عشر الميلاديّ، لعدم توافر المعلومات التاريخية؛ جعل من تناول تاريخ هذا المخلاف بالبحث والدراسة أمرًا صعبًا جدًّا ، ومن أكبر التحديات التي يواجهها الباحث في تاريخ مخلاف عثر، ولهذا فإن معظم الدراسات الحديثة عن تاريخ هذا المخلاف اعتمدت على معلومات نقلها عدد من مؤرخيه في العصر الحديث من مصادرهم التاريخية المتاحة آنذاك، دون تحقيق أو تمحيص، وهي معلومات تتعارض مع ما ورد في المكتشفات الأثرية، وهذا أيضًا ما فتح المجال أمام بعض الباحثين المعاصرين لدراسة تاريخ هذا المخلاف خلال تلك الفترة، معتمدين على هذه المكتشفات التي لم تكن معروفة آنذاك، فتمكّنوا من الكشف عن كثير من الجوانب المهمة من تاريخ مخلاف عثر في عهد بني طرف.

كما أن ندرة المصادر التاريخية والمعلومات الدقيقة الموثوقة فتحت الباب أمام كثير من الدراسات عن تاريخ مخلاف عثر خلال الفترة من القرن الثاني – الرابع الهجريين/ القرن الثامن – العاشر الميلاديين، وهي الفترة التي نعتقد بتبعيته السياسية لإمارة مكة المكرمة (ابن الأثير، ١٩٨٢م: ٧/ ٥٤٦؛ العلوي، ١٩٨١م: ٥٩). وقد كشفت دراسة حديثة النقاب عن أسرة بني طرف حكام مخلاف عثر، وبحثت في تأصيل هذه الأسرة، وكيف وصلت إلى هذا المخلاف، وسيطر أفرادها على الحكم فيه، وتوارثوه منذ نهاية القرن الثالث الهجريّ/ التاسع الميلاديّ (الشرعان، ٢٠٠٧م: ٧١)، كما أثبتت هذه الدراسة أن أسرة بني طرف تنتسب إلى جدهم الأكبر طرف، مولى عيسى بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبدالحميد بن عبدالله بن عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي (ابن حزم، ١٩٨٣م: ١٤٩)، الذي تولى إمارة مكة المكرمة خلال الفترة (٢٥١– ٢٥٤هـ/ ٨٦٥– ٨٦٨م) (الفاسي، ١٩٨٦م: ٦/ ٤٦٣)، وهو

ما أكّده ابن حزم بقوله: "وبنو طرف، الذين وُلُّوا بعض جهات اليمن، هم موالي عيسى بن محمد والد أبي المغيرة" (١٩٨٣م: ١٤٩).

كان طرف أخا زوجة عيسى بن محمد المخزومي، وجد ولده أبي المغيرة محمد بن عيسى لأمه، الذي تولى إمارة مكة المكرمة للخليفة "المعتمد على الله" حتى سنة ٢٦٨هـ/ ٨٨٢م (الفاسي، ١٩٨٦م: ٢/ ٢٤٦-٢٤٨، ٣٨٩)، ويضيف ابن حزم أن الحسن بن طرف هو خال أبي المغيرة (١٩٨٣م: ١٤٩)، ومن ثم فإن بني طرف ليسوا أرقّاءَ، وإن كانوا موالي بني مخزوم(١)، ولا يستبعد أنهم كانوا يتمتعون بمكانة اجتماعية رفيعة، وحسبٍ معتبر، ويحظون بثقة كبيرة من أسيادهم المخزوميين، الذين تربطهم بهم قرابة قوية من جهة الأمهات، ولهذا حظي طرف وأبناؤه بمكانة رفيعة، وثقة كبيرة لدى أمير مكة عيسى بن محمد، الذي ولاهم بعض جهات تهامة التابعة لإمارة مكة، ومنها مخلاف عثر الذي نرجح بقوة أن يكون طرفًا هو أول من تولى الحكم من هذه الأسرة نيابة عن صهره، أو ابن اخته المخزوميين، أمراء مخلاف عثر (الزيلعي، ٢٠٠٦م: ١٧٩؛ الشرعان، ١٩٩٧م: ٧٥).

نستنتج من المعلومات المتوافرة، في المصادر التاريخية، وفي العملات الإسلامية المضروبة في مخلاف عثر، أن طرفًا وأبناءه حكموا هذا المخلاف قبيل نهاية القرن الثالث الهجري على أقل تقدير (العلوي، ١٩٨١م: ٣٩٧)، ثم انفردوا في حكم هذا المخلاف واستقلوا عن التبعية للقوى المحيطة، مع بقائهم تابعين للخلافة العباسية، ليستمر أبناء طرف

(١) لم يعثر الباحث في المصادر التاريخية المتاحة على معلومات تفيد بتحديد الجماعة التي ينتمي لها "طرف"، مولى عيسى بن محمد المخزومي، أو أصله ونسبه، وإلى أي عرق ينتمي، إلا أنه من المحتمل أن يكون طرفٌ هذا: إما تركيًا، أو روميًّا، استنادًا لانتشار هذين العرقين خلال تلك الفترة، واهتمام بلاط الخلافة العباسية بهما خصوصًا، وإقبال الأمراء، والوزراء، والقادة، وولاة الأقاليم، على امتلاك رقيق من رجال هذين العرقين ونسائهما، دون سواهما، حتى أصبحوا مع مرور الوقت يشكلون الغالبية العظمى من موالي الدولة، وليس بالضرورة أن يكون بنو طرف من الرقيق الأبيض، كما هي الحال في أمهات الخلفاء والأمراء في الدولة العباسية، وربما يكونون من أصل حبشي، لأن العرب عامة، وأهل مكة خاصة، درجوا على التسرّي بالإماء الحبشيات، فكثير منهم من أمهات أولاد حبشيات.

وأحفاده في حكمهم لمخلاف عثر حتى منتصف القرن الخامس الهجريّ/ الحادي عشر الميلاديّ (ابن حزم، ١٩٨٣م: ١٤٩؛ الفاسي، ١٩٨٦م: ٢/ ٢٤٦-٢٤٨؛ الشرعان، ٢٠٠٧م: ٨٨-٩١).

وقد حفظت نقود بنو طرف، المضروبة في مدينتي عثر وبيش، أسماء معظم أمراء هذه الأسرة بوضوح ، كما كشفت لنا بجلاء الفترات التاريخية لهؤلاء الأمراء، ومدد تعاقبهم على كرسي الإمارة. ومن بين هذه النقود التي حملت إضافات مهمّة لتاريخ هذه الأسرة دينار ذهبي للأمير القاسم بن الحسن بن علي، الذي جرى سكه في مدينة بيش سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤١م، الذي يعد نادرًا جدًا، ويتسم بأهمية كبيرة، فلم يظهر له مثيل إلى الآن، كما أنه يعدّ أول دليل على نقود الأمير القاسم بن الحسن بن علي، والدينارَ الوحيدَ لأمراء بني طرف الذي سكَّ في مدينة "بيش"، فعلى حد علم الباحث أن جميع نقود أمراء هذه الأسرة الموسومة بأسمائهم، قد سُكَّت في مدينة عثر، وسوف ندرس هذا الدينار ونحلل نصوصه الكتابية لأول مرة، في ضوء المعلومات المتوافرة في المصادر التاريخية.

الدراسة الوصفية:

يتسم طراز هذا الدينار، المحفوظ في مجموعة الأستاذ/ سوار بدر، في إمارة أبو ظبي، في الإمارات العربية المتحدة[1]، الذي يبلغ وزنه (٢,٧٦جم)، وقطره (٢٣ملم)، بحالة فنية ممتازة، ويمتاز بأنه يتكون من أربعة دوائر خطية متوازية على الوجه والظهر، تحصر الداخلية منها نصوص كتابات المركز، أما الدائرة الثانية فتحصر بداخلها مساحةً خاليةً من الكتابة، تحيط بنصوص المركز، تليها الدائرة الثالثة التي تحيط بنصوص كتابات الهامش الداخلي، وأما الدائرة الرابعة فتحيط بنصوص كتابات الهامش الخارجيّ، وتحصر جميع نصوص وأشكال

(١) يتقدم الباحث بجزيل الشكر والامتنان للأستاذ سوار بدر، الذي تفضل مشكورًا بالموافقة على دراسة هذا الدينار، ونشره، وتزويد الباحث بصورته؛ والشكر موصول لسعادة الدكتور حمود مطهري الحازمي، والدكتور ناصر بن أحمد العماري، على تزويدهما الباحث ببعض المخطوطات والمراجع، التي كان لها أكبر الأثر في إثراء هذا البحث.

وجه هذا الدينار وظهره، وقد نُفِّذت كتابات هذا الدينار بالخط الكوفي ذي النهايات المتقنة، مع توريق بسيط، يحلق بعض حروفه[1]، وجاءت نصوصه كما يلي: انظر اللوحة رقم (١، ٢):

	الوجه	الظهر
المركز:	لا إله إلا الله وحده لا شريك له	لله محمد رسول الله الراضي بالله
الهامش داخلي:	بسم الله ضرب هذا الدينار ببيش سنة تسع وعشرين وثلثماية	جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ما هو شفاء.
هامش خارجي:	لله/ الأمر/ من قبل/ ومن بعد	الأمير/ القاسم/ بن الحسن/ بن علي

الدراسة التحليلية:

يتبيّن، من خلال دراسة نصوص كتابات هذا الدينار، أن مركز الوجه يتضمن شهادة التوحيد، التي نقشت في ثلاثة أسطر أفقية (لا إله إلا/ الله وحده/ لا شريك له)[2]، وهي شهادة على ألّا معبود بحقٍّ إلا الله، وهي صياغة في مجملها نافيةٌ لجميع ما يعبدُ من دون الله سبحانه وتعالى، وإِثْبَاتٌ بأن جميع العبادات لله وحده، فهو المتفرّد بالألوهية والربوبية، وهي دعوة جميع الأنبياء والرسل في إثبات العبادةِ لله وحده، الإله الحقِّ المستحقِّ للعبادة، المتّصف بالكمال والجلال، كما يليق بجلال وجهه، وعظيم سلطانه (التميمي، ١٩٥٧م: ٨١؛

(١) الخط الكوفي البسيط: هو الخط الذي يمتاز بالبساطة، ولا يلحقه التوريق، أو التجميل، ومادته كتابية بحتة، ويتميز بوجود تناسق بين حروف الكلمة الواحدة، وبين الكلمة والتي تليها، ويعد هذا النوع أقدم الخطوط العربية التي ظهرت على النقود الإسلامية، ويعود ظهوره إلى بداية القرن الأول الهجري. (جمعة، ١٩٦٧م: ٤٥؛ الشرعان، ٢٠٢١م: ٣٧).

(٢) ظهرت هذه الصياغة على النقود الإسلامية منذ بداية تعريبها، واستمرت ظهورها إلى عهود متأخرة. (قازان، ١٩٨٣م: ٢٠٤؛ النبراوي، ١٩٨٩م: ١٥-٣٠).

السعدي، ٢٠١٥م: ٤٨). أما الهامش الداخلي لوجه هذا الدينار، فقد حمل نصوصًا كتابيةً اشتملت على مكان السكّ، وتاريخه: "بسم الله ضرب هذا الدينار ببيش سنة تسع وعشرين وثلثماية"، وبيش: بفتح الباء الموحدة، وسكون الياء المثناة، وآخره شين معجمة (البغدادي، ١٩٩٢م: ١/ ٢٤٢؛ العقيلي، ١٩٦٩م: ٨٠)، اسم يطلق على مخلاف من مخاليف مكة، يعرف بمخلاف بيش، وهو مخلاف عثر، أي أن بيش وعثّر اسمان لمسمى واحد؛ فمن الجغرافيين من يطلق عليه مخلاف بيش، ومنهم من يطلق عليه مخلاف عثّر، وعلى الطبيعة: بيش وادٍ، وعثر ساحله (اليعقوبي، ١٨٩١م: ٣١٦)، وتعدّ مدينة بيش ثاني أهمّ مدن المخلاف بعد مدينة عثر، فيها مقرّ الإمارة، وقصر السلطان، وعلى ما يبدو أنها كانت العاصمة الإدارية لأمراء مخلاف عثر من بني مخزوم، ومواليهم بني طرف، ومقر سكناهم، ويعضد ذلك المقدسي، الذي يرى أنها أفضل من مدينة عثر، لأنها: "أطيب هواء منها، وأعذب ماء، بها ينزل السلطان، داره إلى جانب الجامع" (١٩٠٩م: ٨٦).

وبيش بلدة قديمة، لا تزال قائمة حتى يومنا هذا، تقع في منطقة جازان، على ضفة وادي بيش الذي تنتسب إليه، ويطلق اسم بيش على كل ما يسقيه واديها، إلا أن خصوصية هذا الاسم اختصت بها مدينة بيش (العقيلي، ١٩٦٩م: ٨١؛ الشرعان، ٢٠٠٧م: ١٠٧)، وتتميز هذه المدينة بموقعها الاستراتيجي الذي أسهم في تحويلها إلى مركز تجاريّ حيويّ، يربط بين المناطق الداخلية لشبه الجزيرة العربية، وساحل البحر الأحمر عبر ميناء عثر، الذي يعدّ بوابتها للتجارة مع موانئ شرق إفريقيا وآسيا، وقد جعل منها هذا الموقع محطة رئيسة على طرق القوافل التجارية، التي كانت تسير من جنوب الجزيرة العربية إلى الحجاز ووسط الجزيرة العربية، وشمالها، فضلًا عن نشاطها الصناعي المميّز، لوجود كثير من المناجم الغنية بالمعادن، خاصة الذهب (الحموي، ١٩٨٨م: ١/ ٥٢٨؛ الفيروزآبادي، ١٩٨٧م: ٧٥٥).

ويشير تاريخ سكّ هذا الدينار، في سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٢م، إلى أن أسرة بني طرف كانت تتمتع بحكم ذاتي في حكمها لمخلاف عثر خلال مرحلة مبكرة من القرن الرابع الهجريّ، فالنصوص المنقوشة على هذا الدينار لا تحمل سوى اسم الأمير الطرفي، وألقاب الخليفة

العباسي الراضي بالله، وهي دلالة تؤكّد استقلالية الأمير القاسم بن الحسن بن علي في حكمه لهذا المخلاف، منذ سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٢م، إضافة إلى ذلك فإن هذا الدينار سُكَّ بجودة وإتقان كبيرين؛ وهو ما يدل على مدى الاستقرار السياسي لإمارة بني طرف، وازدهارها الاقتصادي خلال حكم الأمير القاسم بن الحسن بن علي بشكل خاص، وحكم الأمراء المؤسسين من بني طرف عامة، لاسيما وأن بداية حكم هذه الأسرة لمخلاف عثر كان بعد منتصف القرن الثالث الهجريّ، واستقلالهم بإمارة هذا المخلاف كان قبيل نهاية القرن نفسه، وهو ما ثبت من خلال المعلومات المتوافرة في المصادر التاريخية والنقود المكتشفة لأمراء هذه الأسرة (العلوي، ١٩٨١م: ٣٩٧).

وتضمن الهامش الخارجيّ للوجه الاقتباس القرآني المكوّن من قسم من الآية رقم (٤) من سورة الروم، نصه: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾، وهي آية تدلّ على الوعد الرباني بنصر المؤمنين على أعدائهم (القرطبي، ١٩٦٧م: ١٤/ ١-٧)، وقد ظهر هذا الاقتباس القرآني أول مرة كاملًا: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾، على نقود الخليفة العباسي المأمون، بعد أن تمكن من هزيمة جيش أخيه الأمين، ومبايعته بالخلافة سنة ١٩٩هـ/ ٨١٥م[1]، ليستمر ظهوره على نقود جميع خلفاء الدولة العباسية حتى سقوطها سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م (العش، ١٩٨٤م: ١/ ٣٠٩؛ الشرعان، ٢٠١٤م: ١١٦، ١٦٨، ٢٤١)، ونقود معظم الدويلات والأسر المستقلة التي تتبع الخلافة العباسية، ومنها أسرة بني طرف، أمراء مخلاف عثر. ويلاحظ أن الأمير القاسم بن الحسن بن علي، لم يكمل هذا الاقتباس القرآني على دينارة، وإنما اكتفى بهذا القسم: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾، ولعله أراد من خلاله الدلالة على أن ما تم له من ملك وإمارة إنما هو بأمر الله وقدرته التامة النافذة، وأنه لم يكن ليتحقق له هذا الأمر إلا بإرادة الله ومشيئته، فله الأمر من قبل أن يعتلي كرسي الإمارة في المخلاف، ومن بعده.

(١) كان أول ظهور لهذا الاقتباس القرآني على دراهم الخليفة العباسي المأمون، المضروبة في مدينة مرو سنة ١٩٩هـ، (شما، ١٩٩٥م: ٢٢٥).

أما نصوص كتابات ظهر هذا الدينار فقد تضمّن مركز الظهر كتاباتٍ مركزيةً مكوّنةً من أربعة أسطر أفقية، جاء في الأسطر الثلاثة الأولى: "لله/ محمد/ رسول الله"، وتمثّل صياغة: "محمد رسول الله"، نص الرسالة المحمدية، وهي دلالة على الإقرار برسالته ﷺ، وأنه رسول الله، المبعوث من رب العالمين برسالة الإسلام، وهي في الوقت نفسه صياغة تدلّ على الإيمان التامّ بأن محمدًا رسول الله، هو: خاتم الأنبياء والمرسلين (التميمي، ١٩٥٧م: ٨١؛ السعدي، ٢٠١٥م: ٤٨)، وقد وردت هذه العبارة بصيغ متعددة على النقود الإسلامية منذ بداية تعريبها، وأصبحت إحدى العبارات التي تتميّز بها النقود العباسية عن سواها، وتبعتها في ذلك الدويلات التابعة لها(١).

أما السطر الرابع من كتابات المركز فقد تضمّن لقب الخليفة العباسي "الراضي بالله"، وهو: أبو العباس أحمد بن جعفر المقتدر بن أحمد المعتضد بن طلحة الموفق بالله بن جعفر المتوكل على الله العباسي الهاشمي (النويري، ١٩٨٤م: ٢٣/ ٦٧؛ الذهبي، ١٩٨٣م: ١٥/ ١٠٣)، وهو الخليفة العشرون من خلفاء بني العباس في العراق، أمه أم ولد تسمى ظلوم، ولد سنة ٢٩٩هـ/ ٩١٢م (القلقشندي، ١٩٦٤م: ١/ ٢٨٥)، بويع بالخلافة يوم الأربعاء لستٍّ خلون من شهر جمادى الأولى سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م، كان محبوسًا، فأُخرج، وأجلس على كرسيّ الخلافة (المسعودي، ٢٠٠٥م: ٤/ ٢٥٧-٢٥٨؛ ابن الأثير، ١٩٨٢م: ٨/ ٢٨٢)، كان سمحًا، واسع النفس، شاعرًا، فصيحًا، حسن البيان، يحبّ مجالسة العلماء، سخيًا يبذل المال، وهو آخر خليفة له شعر يُدَوَّن (ابن الجوزي، ١٩٩٢م: ١٣/ ٣٣٦؛ السيوطي، ١٩٥٢م: ٣٩٣).

وفي عام ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م قلد الراضي ولديه أبا جعفر وأبا الفضل شرق الدولة العباسية ومغربها، وكتب بذلك إلى ولاة الأقاليم والبلاد التي تتبع للخلافة العباسية، وولى

(١) ظهرت هذه الصياغة على النقود الإسلامية في مرحة مبكرة من تعريبها بهذه الصيغة، وأصبحت فيما بعد طابعًا مميزًا لجميع نقود الدولة العباسية منذ بداية سكها سنة ١٣٢هـ.

(Tiesenhauesen, 1873: No. 273; Walker, 1956: 84; Markov,1896:12; Nutzel,1898:1/313).

محمد بن طغج مصرَ، وضمّ إليه بلاد الشام (الصولي، ١٩٧٩م: ٦٣-٦٥)، شهد عهده سيطرة القادة والوزراء، وكان أمير الأمراء بيده الحلّ والعقد، كما شهد عهده علوّ شأن القرامطة، وتهديدهم الخلافة العباسية. بقي بالخلافة حتى توفي ليلة السبت لستَّ عشرةَ ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ٣٢٩هـ/ ١٨ ديسمبر ٩٤٠م، في مدينة السلام، وكان عمره آنذاك اثنتين وثلاثين سنةً وأشهرًا، وبلغت مدة خلافته ست سنين وعشرة أشهر (المسعودي، ١٨٩٤م: ٣٨٩؛ أبو الفداء، ١٩٩٧م: ١/ ٤١٩).

أما الهامش الداخليّ فقد تضمّن نصوصًا مكتوبةً اشتملت على اقتباس من القرآن الكريم مكوّن من: قسم من الآية (٨١)، وقسم من الآية (٨٢) من سورة الإسراء، ونصه: ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا وننزل من القرآن ما هو شفاء﴾، ويعدّ هذا الاقتباس القرآني شعارًا عامًّا رفعه الثوار العلويون، ونقشوه على نقودهم (شما، ١٩٩٢م: ١٨)، للتعبير لأتباعهم ومؤيديهم عن أحقيتهم بالخلافة وإمامة المسلمين، وأن ظهور دولتهم هو ظهورٌ للحقّ وإبطالٌ للباطل، وتحقيقٌ للعدل والمساواة، والقضاء على الظلم والفساد، اقتداءً بالرسول ﷺ، عندما دخل مكة فاتحًا، وأخذ يحطّم الأصنام حول الكعبة، وهو يقرأ الآية الكريمة: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (القرطبي، ١٩٦٧م: ١٠/ ٣١٤؛ يوسف، ٢٠٠٣م: ٧٧).

نقش القاسم بن الحسن بن علي هذا الاقتباس على دينار، كرسالة مفادها أن إمارته خاصّةً، وإمارة بني طرف في مخلاف عثر عامةً، قائمة في مبادئها وأهدافها على دعوة الحقّ والتوحيد، التي جاء بها الرسول الكريم ﷺ، وإن إمارته جاءت لتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقضي على البدع والانحرافات في الدين، وتحارب الدعوات المنحرفة عن منهج الإسلام. كان أول ظهور لهذا الشعار على النقود الإسلامية على نقود الأمير مسافر بن كثير، المضروبة في مدينة بيبرد، بداية العصر العباسي (الشرعان، ٢٠١٩م: ٧٩)، ويلاحظ ظهور هذا الاقتباس القرآني على بعض النقود العباسية المضروبة في جنوب الجزيرة العربية (Bikhazi,1970: No. 161)، ونقود معظم نقود الأسر الحاكمة لدول جنوب الجزيرة العربية،

سواءً كان حكامها ينتمون إلى العلويين، أو إلى غيرهم، كذلك سواءً كانت دولة شيعيةً أو سنيةً، مثل: نقود دولة بني زياد (Album, 1999: 10\ No. 140-147) ، ونقود الدولة الزيدية (الجابر، ١٩٩٢م: ٢/ ٣٢٣؛ الشرعان، ٢٠١٩م: ٦٦)، إضافة إلى نقود عدد من الأسر الحاكمة في الحجاز، ونقود بعض الثوار الذين ظهروا في اليمن (الشرعان، ٢٠٠٩م: ٢٦٥، ٢٧٢؛ ٢٠٢٣م: ٢٩).

أما الهامش الخارجيّ، من كتابات ظهر هذا الدينار، فقد تضمّن لقب أمير مخلاف عثر واسمه، واسم أبيه وجده: "الأمير القاسم بن الحسن بن علي"، وهو اسم يظهر لأول مرة على نقود بني طرف، المضروبة في مخلاف عثر، ويعدّ هذا الاسم إضافةً جديدةً لسلسلة أمراء بني طرف، وحلقةً يمكن أن تكمل سلسلة أمراء عثر من آباء الأمير القاسم بن حسن بن علي وأجداده، وأبنائه وأحفاده بعد ذلك، وتجعل الصورة عن تاريخ أسرة بني طرف أكثر وضوحًا، فقد كان أمراء مخلاف عثر من بني مخزوم ومواليهم بني طرف (الهمداني، ١٩٧٧م: ٢٥٩؛ ابن حزم، ١٩٨٣م: ١٤٩)، الذين كانوا يدبّرون مع أسيادهم أمر هذا المخلاف، فكان الأمير طرف، وأبناؤه يقيمون في مخلاف عثر مع مولاهم أبي المغيرة عيسى بن محمد المخزومي، ولا يستبعد أن يكون أبو المغيرة قد أسند إمارة المخلاف وتدبير شؤونه لطرف وأبنائه، بعد أن استدعاه الخليفة العباسي المعتزّ بالله (٢٥٢- ٢٥٥هـ/ ٨٦٦- ٨٦٩م)، للقضاء على ثورة إسماعيل بن يوسف العلوي في مكة المكرمة سنة ٢٥١هـ/ ٨٦٥م (الشرعان، ٢٠٠٧م: ٧٥؛ الحاوي، ٢٠١٨م: ٥٢٣).

ويعتقَد أن الأمير طرفًا وأبناءه كانوا يملكون قوة عسكرية كفلت لهم الاستقلال بحكم هذا المخلاف، والقبض على زمام الأمور بكل قوة وحزم، وتأسيس إمارتهم التي توارثوا حكمها على مدى قرنين من الزمان. والقاسم بن الحسن بن علي هو من أحفاد الحسن بن طرف، خال أبي المغيرة، ووالد أبي علي محمد بن القاسم، أمير عثر خلال الفترة (٣٤٦- ٣٦٠هـ/ ٩٥٧- ٩٧٠م)، ووالد معظم أمراء بني طرف الذي حكموا مخلاف عثر، وسكّوا

نقودهم الذهبية فيه خلال الفترة من منتصف القرن الرابع إلى منتصف الخامس الهجريين، ويرجّح الباحث أن الأمير القاسم بن الحسن بن علي تولى حكم مخلاف عثر بعد عمه القاسم بن علي بن طرف، الذي كان يحكم المخلاف منذ سنة ٢٩٨هـ/ ٩١٠هـ، واستمرّ في الحكم حتى سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م (العلوي، ١٩٨١م: ٣٩٦-٣٩٧؛ الشرعان، ٢٠٢٤م: ٣١٧)، وإن كان من الثابت أن القاسم بن علي بن طرف كان يحكم هذا المخلاف في سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م، فإننا لا نعلم تحديدًا السنةَ التي انتهت فيها إمارته، إلا أن من المؤكد أن إمارته لم تستمرّ إلى سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م، وهي السنة التي كان فيها القاسم بن الحسن بن علي بن طرف أميرًا لمخلاف عثر.

وإذا كان من المؤكد أن القاسم بن الحسن بن علي كان يحكم مخلاف عثر في سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م، واستمرّ في حكمه لهذا المخلاف عدةَ سنوات، فإننا لا نعلم بدقة نهاية فترة إمارته، غير أن النقود المتوافرة إلى الآن لأمراء هذه الأسرة تفيد بأن ابنه أبا علي محمد بن القاسم كان يحكم المخلاف منذ سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م (Baldwin's Auctions Ltd, 2013: No. 5102) ، ومن ثمَّ قد تكون إمارة القاسم بن الحسن بن علي قد استمرت لمدة سبعة عشر عامًا، أو أن يكون ابنه أبو علي محمد بن القاسم قد خلفه على كرسي الإمارة قبل هذا التاريخ؛ وهذا ما سوف تكشف عن نقود بني طرف في مقبل الأيام بمشيئة الله.

الخاتمة:

يتّضح من خلال دراسة دينار الأمير القاسم بن الحسن بن علي بن طرف، الذي سُكَّ في بيش سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م، الدورُ المهمُّ للمسكوكات الإسلامية، باعتبارها وثائق تاريخية لا تقبل الشكّ، ولديها القدرة على تصحيح عدد من المفاهيم وحسم الجدل، واختلاف المؤرخين في حال اضطراب المراجع التاريخية أو غيابها. وتأتي النقود الإسلامية المضروبة في مدن مخلاف عثر خيرَ دليل على هذا الدور الذي تضطلع به المسكوكات الإسلامية في خدمة التاريخ الإسلامي على مرّ عصوره، وتقديم العون لباحثي التاريخ والآثار، فقد حفظت نقود

بني طرف، المضروبة في مدينتي عثر وبيش، أسماء معظم أمراء هذه الأسرة، وفتراتهم التاريخية. وقد توصّلت الدراسة، من خلال هذا الدينار، إلى عدد من النتائج، أهمها:

١- أن أسرة بني طرف حكمت مخلاف عثر، منذ منتصف القرن الثالث الهجريّ/ التاسع الميلاديّ.

٢- أن دينار الأمير القاسم بن الحسن بن علي، المضروب في بيش سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م، يعدّ أول دليل ماديّ لنقود هذا الأمير من أسرة بني طرف، المضروبة في مخلاف عثر، وقد دُرِس وينشَر في هذا البحث لأول مرة.

٣- أن سكَّ الأمير القاسم بن الحسن بن علي دينارَه، في بيش سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م، يعكس درجةً كبيرةً من الاستقلال السياسيّ لإمارة بني طرف في مخلاف عثر خلال تلك الفترة.

٤- أن وجود دارٍ لضرب النقود في مدينة بيش يعكس أهمية هذه المدينة، مركزًا تجاريًا، واقتصاديًّا، وأن استخدام الذهب في سكّ العملة يشير إلى الثروة والازدهار الاقتصادي الذي كانت تعيشه المدينة في فترة الأمير القاسم بن الحسن بن علي خاصةً، وفترة إمارة بني طرف عامةً.

٥- أن دينار الأمير القاسم بن الحسن، المضروب في بيش سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م، يعدّ وثيقةً تاريخيةً ذات قيمة كبيرة، يمكن من خلالها استقراء عدد من الجوانب التاريخية، ويمثّل إضافةً مهمّة للتاريخ المحليّ لمخلاف عثر خصوصًا، ولمنطقة جازان عمومًا.

٦- كشفت الدراسة، من خلال دينار الأمير القاسم بن الحسن بن علي، المضروب في عثر سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م، اسمَ أحد أمراء مخلاف عثر، وأحدَ أفراد الأسرة الحاكمة من بني طرف، أمراء مخلاف عثر.

المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر، والمراجع العربية:

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني. (١٩٨٢م). *الكامل في التاريخ*، دار صادر، بيروت.

البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق. (١٩٩٢م). *مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع*، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت.

التميمي، عبدالرحمن بن حسن. (١٩٥٧م). *فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد*، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط ٧، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.

الجابر، إبراهيم جابر. (١٩٩٢م). *النقود العربية الإسلامية في متحف قطر*، وزارة الإعلام والثقافة، الدوحة.

ابن جعفر، قدامة. (١٩٨٠م). *الخراج وصناعة الكتابة*، تحقيق: محمد حسن الزبيدي، دار الرشيد للنشر، العراق.

جمعة، إبراهيم. (١٩٦٧م). *دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة*، دار الفكر العربي، القاهرة.

ابن الجوزي، عبدالرحمن بن محمد. (١٩٩٢م). *المنتظم في تاريخ الأمم والملوك*، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت.

الحاوي، محمد بن منصور. (٢٠١٨م). *"المدن العلمية في المخلاف السليماني خلال العصور الإسلامية الوسيطة: دراسة تاريخية"*، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، مج١٢، ع (١): ٥١٧- ٥٧٠.

ابن حزم، أبو محمد علي بن سعيد. (١٩٨٣م). *جمهرة أنساب العرب*، ط١، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت.

الحربي، إبراهيم بن إسحاق. (١٩٦٩م). *كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة العربية*، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي. (١٩٣٨م). *كتاب صورة الأرض*، ط٢، مطبعة بريل، ليدن.

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله. (١٨٨٩م). *المسالك والممالك*، تحقيق: ج. دي غويه، مطبعة بريل، ليدن.

الذهبي، أحمد بن محمد. (١٩٨٥م). *سير أعلام النبلاء*، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الزيلعي، أحمد بن عمر. (١٩٩٢م). *الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان (المخلاف السليماني) في العصور الوسطى*، ط١، د.ن، الرياض.

الزيلعي، أحمد بن عمر. (٢٠٠٦م). *"مخلاف عثر في القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعشر للميلاد)"* ، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الكتاب الخامس، ج(٢): ١٩١- ٢٠٤.

السعدي، حسن غازي وآخر. (٢٠١٥م) *"أنوار السعادة في شرح كلمتي الشهادة للكافيجي (ت٨٧٩هـ): دراسة وتحقيق"* ، مجلة كلية الدراسات القرآنية، جامعة بابل، مج٢٢، ع (١): ٤١- ٥٨.

السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر. (١٩٥٢م). *تاريخ الخلفاء*، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

الشرعان، نايف بن عبدالله. (١٩٩٧م). *"نقود أموية وعباسية ضرب الحجاز ونجد وتهامة في العصرين الأموي والعباسي"* ، رسالة ماجستير، قسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض.

الشرعان، نايف بن عبدالله. (٢٠٠٧م). *التعدين وسك النقود في الحجاز ونجد وتهامة في العصرين الأموي والعباسي*، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.

الشرعان، نايف بن عبدالله. (٢٠٠٩م). *نقود القرامطة المضروبة في مكة المكرمة: الأهمية والدلالة"*، مجلة عالم المخطوطات والنوادر، دار ثقيف، مج١٤، ع(٢): ٢٥٩-٢٩٠.

الشرعان، نايف بن عبدالله. (٢٠١٤م)، *المسكوكات الإسلامية مختارات من مجموعة مكتبة الملك عبدالعزيز العامة*، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض.

الشرعان، نايف عبدالله. (٢٠١٩م). *"دينار زيدي نادر باسم الإمام الهادي إلى الحق ضرب بصنعاء سنة ٢٨٨ هـ"*، مجلة المسكوكات، الهيئة العامة للآثار والتراث، ع(٢٦): ٦١-٧٨.

الشرعان، نايف بن عبدالله. (٢٠٢١م). *الخط العربي على النقود الإسلامية*، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض.

الشرعان، نايف بن عبدالله. (٢٠٢٣م). *"ولاية محمد بن الحسين الموسوي على مكة المكرمة في ضوء دنانير مكة سنة ٣٥٧هـ"*، مجلة أدوماتو، مركز عبدالرحمن السديري الثقافي، ع(٤٨): ٢٥-٣٨.

الشرعان، نايف بن عبدالله. (٢٠٢٤م). *"درهم تذكاري عباسي نادر باسم ملاحظ"*، مجلة الخليج للتاريخ والآثار، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ع(١٩): ٣٠٣-٣٣١.

شما، سمير. (١٩٨٩م). *"ميدالية ولاية عهد محمد الأمين ابن هارون الرشيد"*، مجلة اليرموك للمسكوكات، جامعة اليرموك، مج١، ع(١): ٥٣- ٥٥.

شما، سمير. (١٩٩٢م). *"أربعة دراهم لها تاريخ هي ثلاثة دراهم ضرب البصرة سنه ١٤٥ هـ ودرهم ضرب الري سنه ١٤٦هـ"*، مجلة اليرموك للمسكوكات، جامعة اليرموك، مج(٤): ١٣- ٢٥.

شما، سمير. (١٩٩٥م). *أحداث عصر المأمون كما ترويها النقود*، إصدارات كرسي سمير شما، جامعة اليرموك، إربد.

الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى. (١٩٧٩م). *أخبار الراضي لله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٣٣ هجرية، من كتاب الأوراق*، عني بنشره: ج. هيورث. د ن، ط٢، دار المسيرة، بيروت.

الطميحي، فيصل بن علي. (٢٠٠٢م). *"النقود ودورها في تصحيح أوهام المؤرخين"*، مجلة عالم المخطوطات، مج٧، ع (١): ٢١٨- ٢٣٣.

الطميحي، فيصل بن علي. (٢٠١٥م). *تحقيق موضعي المخلاف السليماني والعرش في منطقة جازان الوهم والحقيقة*، ط١، نادي جازان الأدبي، جازان.

الطميحي، فيصل بن علي. (٢٠١٨م). *"تحقيق داري السك (عثر ومكة) على النقود اليمنية في العصر الإسلامي خلال الفترة من (٢٨٤-٦٩٦ هـ/ ٧٩٧- ١٢٩٧ م)"*، مجلة مركز المسكوكات الإسلامية، كلية الآثار، جامعة الفيوم، ع(١): ١٦١- ١٧٩.

ابن عبدربه، أحمد بن محمد. (د.ت). *العقد الفريد*، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، د.ت.

عثمان، محمد عبدالستار. (١٩٨٩م). *"دلالات سياسية دعائية للآثار الإسلامية في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان"*، مجلة العصور، دار المريخ، لندن، مج٤، ج(١): ٣٣- ١١٤.

العش، محمد أبو الفرج. (١٩٧٢م). *كنز أم حجرة الفضي*، ط١، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق.

العش، محمد أبو الفرج. (١٩٨٤م). *النقود العربية الإسلامية المحفوظة في متحف قطر الوطني*، وزارة الإعلام، الدوحة.

العقيلي، محمد بن أحمد. (١٩٥٨م). *تاريخ المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ*، مطابع الرياض، الرياض.

العقيلي، محمد بن أحمد. (١٩٦٩م). *المعجم الجغرافي للبلاد السعودية، مقاطعة جازان، (المخلاف السليماني)*، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

العقيلي، محمد بن أحمد. (١٩٧٩م). *الآثار التاريخية في منطقة جازان*، ط١، طبع بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

العلوي، علي بن محمد. (١٩٨١م). *سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين*، تحقيق: سهيل زكار، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

عمارة، نجم الدين عمارة بن علي. (١٩٨٥م). *تاريخ اليمن، المسمى: المفيد في أخبار صنعاء وزبيد*، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ط٣، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء.

الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد. (١٩٨٦م). *العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين*، تحقيق: محمود محمد الطناحي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي. (١٩٩٧م). *المختصر في أخبار البشر*، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

فهمي، عبدالرحمن محمد. (١٩٦٥م). *موسوعة النقود العربية وعلم النميات (فجر السكة)*، دار الكتب المصرية، القاهرة.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (١٩٨٧م). *القاموس المحيط*، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت.

قازان، وليم. (١٩٨٣م). *المسكوكات الإسلامية*، بنك بيروت، بيروت.

ابن القاسم، يحيى بن الحسين. (١٩٦٨م). *غاية الأماني في أخبار القطر اليماني*، تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

ابن القاسم، يحيى بن الحسين. (د. ت). *إنباء الزمن في تاريخ اليمن*، مخطوط مصور عن نسخة معهد المخطوطات، القاهرة.

القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد. (١٩٦٧م). *الجامع لأحكام القران*، ط٣، د. ن، القاهرة.

القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي. (١٩٦٤م). *مآثر الأنافة في معالم الخلافة*، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.

المسعودي، علي بن الحسين. (١٨٩٤م). *التنبيه والإشراف*، مطبعة بريل، ليدن.

المسعودي، علي بن الحسين. (د. ت). *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، طبعة منقحة، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت.

معروف، نورا طارق. (٢٠٢١م). *مخلاف عثر من القرن الأول الهجري إلى القرن السابع الهجري (دراسة في التاريخ السياسي والحضاري)*، ط١، نور حوران للدراسات والنشر والتراث، دمشق.

المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد. (١٩٠٩م). *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، مطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة.

النبراوي، رأفت. (١٩٨٩م). *"فلوس عمان وجرش في صدر الإسلام"*، مجلة اليرموك للمسكوكات، جامعة اليرموك، إربد، مج١، ع(١): ١٥- ٣٠.

النويري، شهاب الدين أحمد. (١٩٨٤م). *نهاية الأرب في فنون الأدب*، تحقيق: جابر محمد الحيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب. (١٩٧٧م). *صفة جزيرة العرب*، تحقيق: محمد الأكوع، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. (١٩٨١م). *كتاب البلدان*، مطبعة بريل، ليدن المحروسة.

يوسف، فرج الله أحمد. (٢٠٠٣م). *الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية*، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

Album, Stephen. (1999). *Sylloge of Islamic Coins in the Ashmolean, Arabia and east Africa*, Ashmolean Museum Oxford, Volume 10, Oxford.

Baldwin's Auctions Ltd. (December 2012). *Islamic Coins Auction* 236.

Bikhazi, Ramzi. (1970). *"Coins of Al-Yaman 132- 569 A.D"*, Al-Abhath**,** American University of Beirut, Vol. XXIII, Nos. 1- 4, December, Beirut.

Nutzel. (1898). *Katalog der Orientalischen Münzen*, Vol.1, Die Münzen der Ostlichen Chalifen, Berlin.

Tiesenhauesen. (1873). *Monnaies des Khalifes Orientaux*, St. Peters Burg.

Walker. (1956). *Catalogue of the Arab – Byzantine and Post – Reform Umaiyad Coins*, London.

(لوحة رقم: ١)

صورة دينار الأمير القاسم بن الحسن بن علي المضروب في بيش سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤١م

الوجه

الظهر

(لوحة رقم: ٢)

تفريغ كتابات دينار الأمير القاسم بن الحسن بن علي المضروب في بيش سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤١م

الوجه

الظهر

جامعة الملك سعود
مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها (HSCA)
ردمد (ورقي): ٩٢٧٠- ١٦٥٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٩٨٣١- ١٦٥٨

King Saud University
King Salman's Center For Historical
and Civilization Studies Of Arabian Peninsula
Journal of Studies in the History and Civilization
of Arabia (HSCA)
ISSN: 1658-9270
EISSN: 1658-9831

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، مج(٢)، ع٢، ص ص ١١٩ - ١٤٧، جامعة الملك سعود، الرياض (١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م)

Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia, Vol. 2, (2), pp 119 -147, King Saud University, Riyadh (1446H / 2025)

الموارد المائية بالحجاز من خلال رحلة الحج المغربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين

د. الغالي بنهشوم
جامعة مولاي إسماعيل، المغرب
Lghaliamine2008@yahoo.fr
(قُدِّم للنشر في ١٢/ ٠٣/ ١٤٤٦هـ، وقُبِل للنشر في ٢٣/ ٠٧/ ١٤٤٦هـ)

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع "الموارد المائية بالحجاز من خلال رحلة الحج المغربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين"؛ وهو موضوع على قدر كبير من الأهمية؛ لأنه يقدم للدارس المهتم بتاريخ الحجاز تصورًا شموليًا حول أنواع الموارد المائية.

يتوخى هذا البحث تقديم وصف دقيق للموارد المائية التي تحويها الجزيرة العربية من قبيل وصفه للأودية، والآبار، والعيون، والبرك المائية، وفيض الأنهار، والواحات، الأمر الذي يكشف بوضوح القيمة التي يضطلع بها عنصر الماء في الرحلة الحجازية المغربية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين. وهذا ما يجعل من كتب الرحلات مصدرًا غنيًا بالمعلومات الهامة التي تمد الدارس بمادة دسمة حول مصادر الماء بالمناطق التي زارها الرحالة، وأماكن تواجدها، ونوعيتها؛ ففي جميع القرى والمدن التي ينزلون بها في طريقهم إلى الحجاز عادة ما كانوا يذكرون المواضع الجغرافية مصحوبة بذكر الماء؛ يصفون بدقة المجاري المائية بجميع أماكنها وحدودها، إذ نسجل أن الرحالة كلما وصف موضعًا جغرافيًا إلا وذكر هل به ماء أم لا؟

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أبرزها: أن النصوص الرحلية خلال هذه الفترة قد أسهمت في التعريف بأنواع الموارد المائية بالجزيرة العربية وبخصوصيتها، كما أبرزت في الوقت ذاته أهمية الماء بالنسبة للرحالة، فضلًا عن تقديم معلومات جغرافية وتاريخية للباحث المهتم بتاريخ المنطقة حول مواقع الموارد المائية وأماكن تواجدها.

الكلمات المفتاحية: الرحلة الحجيّة، الماء، الحجاز، المغرب، الموارد.

Water resources in the Hijaz through the Moroccan Hajj pilgrimageIn the 11-12 centuries AH

Dr. Lghali Benhacoum
Moulay Ismail University, Maroco
Lghaliamine2008@yahoo.fr

(Received: 12/ 3/ 1446 H; Accepted for publication: 23/ 7/ 1446 H)

Abstract:

This research deals with the topic"water resources in the Moroccan Hijazi journey", which is a topic of great importance,since It serves as a valuable resource for readers with a keen interest in history, offering them deeper insights and a nuanced understanding of the subject of history of the Arabian Peninsula with a comprehensive understanding of its types of Water Resources .

This research aims to provide an accurate description of the water resources contained in the Arabian Peninsula, such as a description of valleys, wells, springs, water ponds, oases, which clearly reveals the value that the water element plays in the Moroccan Hijazi journey. This is what makes travel books a rich source of valuable information that provides the student with a substantial material about the sources of water in the areas visited by the explorers , their locations, and their types; in all the villages and cities where they disembarked on their way to the Hijaz, they usually mentioned geographical locations accompanied by mention of water; they accurately describe watercourses in all their locations and borders, as we record that whenever travelers describe a geographical location, they mention whether it has water or not.

The research has reached a set of results, the most prominent of which is that the travel texts we have reviewed have contributed to define the types of water resources in the Hijaz and their specificity, and simultaneously highlighted the importance of water for explorers, as well as providing geographical and historical informations to the researcher interested in the history of the region about the locations of water resources and their locations.

Keywords:The journey, Hejaz, Morocco,Water Resources.

المقدمة:

يتوخى هذا البحث تقديم وصف دقيق للموارد المائية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين التي تحويها الجزيرة العربية من قبيل وصفه للأودية، والآبار(١)، والعيون، والبرك المائية، وفيض الأودية وجريان السيول، والواحات، الأمر الذي يكشف بوضوح القيمة التي يضطلع بها عنصر الماء في الرحلة الحجازية المغربية. وهذا ما يجعل من كتب الرحلات مصدرا غنيًّا بالمعلومات الهامة التي تمد الدارس بمادة دسمة حول موارد الماء بالمناطق التي زارها الرحالة، وأماكن تواجدها، ونوعيتها؛ ففي جميع القرى والمدن التي ينزلون بها في طريقهم إلى الحجاز عادة ما كانوا يذكرون المواضع الجغرافية مصحوبة بذكر الماء؛ يصفون بدقة الموارد المائية بجميع أماكنها وأذواقها، إذ نجد أن الرحالة كلما وصف موضعا جغرافيا إلا وذكر هل به ماء أم لا ، وهل ماؤه عذب أم ملح أجاج، يقول حسين نصار: "إن أهم ما عني به الرحالة المياه لشدة الحاجة إليها في بعض المواضع، سواء كانت هذه المياه آبارا، أو أحساء، أو غدرانا، أو عيونا، أو بِركا، أو أنهارا، والتزموا أن يصفوا بدقة طعم هذا الماء على اختلاف مذاقاته" (نصار، ١٩٩١، ص١١٨). بل إن معيار حكم الحاج على قبح المكان وحسنه رهين بما يحويه من ماء وآبار ومجاري مائية، حتى إن الإحساس بالطمأنينة والأمن لدى الرحالة لا يتحقق إلا بجانب مواضع المياه. ثم إن النصوص الرحلية الحجية المغربية لم تقتصر على تحديد أماكن العيون والأودية والآبار والبرك المائية، بل رامت ذكر أسماء من تفضلوا ببنائها وتشييدها وترميمها.

تكمن إشكالية البحث في رصد الموارد المائية في الرحلة الحجازية المغربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، من حيث أنواعها، وأسماؤها، ومواقعها الجغرافية، وأهميتها الأمر الذي يتطلب تقصيا، وتتبعا دقيقا لكل المراحل التي قطعها الحاج منذ دخوله إلى القاهرة وانتهاء بخروجه من مكة والمدينة عائدا إلى وطنه. ولا شك أن الرحالة خلال هذه

(١) الآبار: جمع بئر مأخوذة من "بأر" أي حفر، وجمع القلة "أبؤر"و"آبر" وجمع الكثرة منها بئار. والبئر أنثى، وهي القليب، ويقال آبار فلانا أي جعل له بئرا، وابتأر أي حفر"، (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥م، ص٣٤٥)، مادة (بئر).

المساحة الممتدة قد وقف عند الكثير من الموارد المائية ومنابعها، فوصف العديد من الآبار التي شكلت ملتقى لقوافل الحجيج والتجار في ربوع الجزيرة.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

- استشراف الرحلة الحجازية المغربية في التعريف بالموارد المائية التي تزخر بها غرب الجزيرة العربية.
- دور الرحلات الحجية المغربية في التأريخ لغرب الجزيرة العربية من خلال عنصر الماء، حيث استطاع الرحالة المغربي تقديم إفادات جغرافية هامة حول موقعه، ومنبعه، ونوعه. وبذلك شكلت الرحلة مصدرا هاما في التعريف بالموارد المائية الحجازية.

الدراسات السابقة في الموضوع:

ثمة دراسات هامة أفادت منها هذه الورقة البحثية، منها الأعمال القيمة للباحث عاتق بن غيث البلادي:

١- (أودية مكة المكرمة)، رصد فيها أودية مكة المكرمة، من وادي الليث جنوبا إلى وادي مر الظهران شمالا موضحا روافدها، وقراها، وموقعها الجغرافي، وهي على قدر أهميتها اكتفت بذكر الأودية دون أن تتطرق إلى الموارد المائية الأخرى التي تزخر بها الحجاز.

٢- (معجم معالم الحجاز)[١] دراسة معجمية ضخمة عن إقليم الحجاز، تعد أوسع دراسة في هذا الجانب[٢]. أفدنا منها في تعريف مواقع منازل الحج جغرافيا وما تحويه من موارد مائية.

(١) الكتاب في عشرة أجزاء، من منشورات مكة للطباعة، والريان للطباعة، ط٢، ٢٠١٠م.

(٢) يقول المؤلف عن معجمه "والذي أستطيع قوله بكل ثقة أن هذا الكتاب في شموله ودقة تحديده وتحقيق معالمه التاريخية هو الأول من نوعه في المعاجم العربية عن الحجاز"، مقدمة الكتاب.

٣- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية.

كما استفادت دراستنا من بعض المعاجم المشهورة في التعريف ببعض الموارد المائية وتحديد موقعها الجغرافي مثل:

٤- معجم البلدان لياقوت الحموي(ت ٦٢٦هـ).

٥- ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، تحقيق مصطفى السقا.

٦- الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، العلامة الجزيري ، عبد القادر الحنبلي(ت٩٧٧هـ)، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل.

كما أفدنا من مؤلف رحلة الشتاء والصيف، لابن كبريت(ت١٠٧٠هـ). في التعريف بالكثير من الموارد المائية، كم أفدنا من دراسة الغفير، محمد."الماء في رحلة ابن جبير"، والدراسة على ما لها من أهمية فإنها اقتصرت على القرن السابع الهجري تاريخ تدوين الرحلة. وقد أغفلت الكثير من الموارد المائية التي رصدتها الرحلات الحجازية المغربية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين. وهناك دراسات عامة تطرقت إلى مجموعة من الأخبار العلمية والاقتصادية والجغرافية منها الماء، نقصد بذلك الرحلات الحجازية التي قدمت وصفا دقيقا للأخبار المشار إليها آنفا. الأمر استدعى تجميع كل المعلومات المتعلقة بالموارد المائية خلال الفترة موضوع الدراسة.

رحلات حجازية مغربية في القرنين(١١-١٢هـ)

قبل الخوض في موضوع الدراسة لابد من التذكير بأهم الرحلات المغربية الحجازية في القرنين الهجريين الحادي عشر والثاني عشر-وهي غيض من فيض- منها:

- رحلة "ماء الموائد"، العياشي، عبد الله بن محمد بن أبي بكر أبو سالم (١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م)، في مجلدين، حقّقها: سعيد الفاضلي، وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٦م.

- الرحلة الحجازية "أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب وسيد الأعاجم والأعارب"، ابن مليح، محمد بن أحمد السراج. تحقيق: الفاسي، محمد، مطبعة محمد الخامس، فاس، ١٩٧٠م.

- الرحلة الحجازية لليوسي، أبو مسعود بن الحسن (ت١١٠٧هـ)، تحقيق: خيالي، عبد المجيد ، مطبعة التومي، سلا، المغرب، ٢٠٢١م.

- الرحلة الحجازية، الحضيكي، أحمد (ت١١٨٩هـ). ضبط وتعليق، لمدبر، عبد العالي. طبع وتوزيع دار الأمان، الرباط، المغرب، ٢٠١١م.

- الرحلة الحجازية، ابن الطيب الشرقي(ت١١٧٠هـ). تحقيق شوبد، نور الدين، دار السويدي للنشر، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٤م.

- الرحلة الناصرية، الناصري، أحمد الدرعي (ت١١٢٠هـ)، تحقيق ملوكي عبد الحفيظ، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١١م.

- الرحلة الناصرية الكبرى، الناصري، محمد بن عبد السلام (ت١١٩٧هـ)، تحقيق المهدي، الغالي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، ٢٠١٣م.

- رحلة الوزير الإسحاقي الحجازية، الإسحاقي، محمد الشرفي(ت١١٥٠هـ)، تحقيق، الأندلسي، محمد، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، ٢٠١٧م.

مصادر الماء في الجزيرة العربية:

عرفت عملية رصد موارد المياه ومنابعه تتبعًا دقيقًا للمسالك التي سلكها الرحالة المغربي، متخذًا من الرحلة الحجازية لابن الشرقي(ص٣٢٥-٥٠٧)، والحسن اليوسي (ص٤٠-١٦٩)، والحضيكي(ص٥٥-١٩٤) والعياشي(ج١، ص٢٧٤-٢٩٥) وأحمد الناصري (ص٣٠٦-٣٤٠)، والزياني(ص٢١٧-٢٣٣)، ومحمد بن عبدالسلام الناصري (ص٥٠١-٦١٩)، نماذجًا تحتذى في توصيف المسالك ابتداء ببركة الحاج، وانتهاء بآبار النَّبط على الترتيب الآتي: بركة الحاج، وادي الرمل، مدينة السويس، النابعة، وادي الخروب، العقبة المشرفة، أرض التيه، بندر النخيل، بئر الصعاليك، عرقوب البغلة، عقبة آيلة، شرفات بني

عطية، أبو العظام، مغائر شعيب، عيون القصب، بندر المُوَيْلِح، دار أمِّ السلطان، بندر الأَزْلُمَ، اصْطَبْل عَنْتَر، وادي الأراك، بَندر الوَجْه، وادي الأَكْرَه، بندر الدَّرْكين، الحَوْراء، وادي العقيق، ثم وادي النَّبَطِ.

١-الآبار:

تحدث الرحالة المغربي عن الآبار المتواجدة في البلدات والقرى والدور، ووصف أشكالها وأنواعها وطول عمقها، وطريقة حفرها واستخراج الماء منها، ومكان تواجدها، ومدة الوصول إليها، و عدد أيام المكوث بها. وعليه جاءت الرحلات الحجية المغربية حبلى بذكر مجموعة من الآبار نستحضر في هذا الباب نصين الأول لأبي سالم العياشي[١] يصف فيه آبارا صادفها في طريقه إلى الحج: "ثم سرنا من المويلح إل دار السلطان، ونزلنا بوادي سلمى، وكُفافة، وخلف جبلها الغربي البحر الأصيل، وبجانبه القصطل البري منتظم كالنخيل، وحفائر مائها عذب بارد يشرب منه الغادي والوارد"(العياشي، ٢٠٠٦، ج١، ص٢٩٢). والثاني للحضيكي، قال: "ثم ارتحلنا ونزلنا آبارا يقال لها أم السلطان، والآن بئر السلطان، وماؤه لا بأس به، ثم منه نزلنا بندرا يقال له الأزلام وماؤه ملح أجاج يسهل شاربه" (الحضيكي، ٢٠١١م، ص٩٥). ومن الآبار التي صادفها الرحالة المغربي في الطريق:

١-١ آبار الخَضْراءِ[١]

رصدت عين الرحالة المغربي مجموعة من الآبار في الطريق التي سلكها من القاهرة نحو الحجاز؛ فأول آبار يصادفها الرحالة بعد بركة الحاج آبار الخضراء[٢]، وهو أول منازل الحج قال الحضيكي: "ثم ارتحلنا منها-يقصد بركة الحاج- فنزلنا البويب[٤] خلاء يعرف الآن عند العامة بدار الحمراء ثم منها فنزلنا الخضراء، وهو بندر فيه بئر ماؤه أجاج وعليه صهريج

(١) ورد المسمى في رحلة نسمة الآس: الخُضَيْراء، (أملاح، ٢٠٢١، ص٧١)؛ وفي الرحلة الحجازية لليوسي: الخُضَيْرة، (اليوسي، ٢٠٢١م، ص١١٣). الخضراء مكبرة، والخُضيرة والخضيراء مصغرة.

(٢) اسم من أسماء منازل الحج من مصر إلى مكة المكرمة.

(٤) مدخل أهل الحجاز إلى مصر يعرف الآن بدار الحمراء (الحموي، ١٩٩٥م، ج١، ص٥١٢).

يملأ لسقي الإبل ويعرف الآن بعُجرود"(الحضيكي، ٢٠١١م، ص٩٤). وقد أحسن ابن الطيب الشرقي الوصف عندما ذكر آبار الخضراء أو الخُضيرة قائلا: "ثم نزلنا بالخضراء وقيل الخُضيرة وهي من أعمال بندر ينبوع في المسير. وهو أول بلاد الحجاز في الذهاب وآخرها في الرجوع، به حدائق ونخيل وعيون وزروع تسيح وتسيل، ولها سور منيع..."(ابن الطيب، ٢٠١٤، ج١، ص٢٩٩).قال الشاعر:

انظر إلى الخَضْراءِ واغنم بَسطَهـا * تلق رُباها نُزهة للـــرّاءِ**

فلربّ حشّاش شكى من همـــه * قد زال عنه الهم بالخَضْراء**[1]

ومدة الوصول إليها بالمسير، نحو المائتين بالتحرير[2]، أي إن الوصول إلى الخضيرة من مصر يتطلب إثنا عشر ساعة بالتقصير.

١-٢ آبار النّخْل بَنْدَر/ آبار بَنْدَرُ النَّخيل:

وثاني آبار بعد الخَضْراء يصادفه الحاج آبار النَّخْل بَنْدَر أو بندر النخيل على اختلاف في التسمية لمسمى واحد؛ إذ هو قلعة حصينة، تحوي آبار كبيرة وحصينة، ماؤها عذب بارد .قال الحضيكي: "فارتحلنا ونزلنا النَّخل بندر[3] فيه بئران وصهاريج تملأ من بيت المال للركب المصري وماؤها حلو"(الحضيكي، ٢٠١١م، ص ٩٤). وقد أجاد العياشي في وصفها: "وفي الغد أتينا النخيل صباحا، وصادفنا سوقا كبيرة فيها كثير من أنواع الفواكه الشامية..وهناك بندر حصين فيه بئر ماؤها عذبة كبيرة لا تنفذ أبدا.." (العياشي، ٢٠٠٦م، ج١، ص٢٧٦).

(١) ينظر: (الزياني، ١٩٩١، ص٢٢٥).

(٢) يقصد ساعة من الزمن ، وهي المدة التي يقطعها الحاج من بركة الحاج/ دار الحمراء نحو آبار الخضراء أو الخُضَيرَة. ينظر: (الزياني، ١٩٩١، ص٢٢٥).

(٣) موضع ماء في أرض التيه وادي التيه (نسبة إلى الموضع الذي ضل فيه موسى عليه السلام وقومه..).

١-٣: آبارُ الصَّعاليك:

بعدما ينجو الرحالة من أرض التيه، وهي الأرض التي أهلك الله فيها بني إسرائيل يصادف في طريقه بِئْر الصعاليك، ويسمى أيضا بِير البَارود[١]، ويسميه الحجاج "بَيَار الصَّعاليك"، وهي بئر كبيرة طويلة مطوية بحجر متقن في أصل وادي، وبجانب البئر أثر بناء وبركتين، إلا أنه لا عمارة عليه، وماؤه بارد قبيح لا يستسيغه الشارب[٢]. سماه الإسحاقي: "بير الزعالك"(العياشي، ٢٠٠٦م، ص٢٧٩-٢٨٠؛ الإسحاقي، ٢٠١٧، ص٢٠٧).

١-٤: آبار آيْلَةَ[٣]:

تأتي قرية آيلة قبل بندر العقبة الذي يبعد عن غزة مسير عشرة أميال. وآبار آيلة كثيرة ماؤها حلو وبارد من أطيب ما يشرب. بها سوق تعرض فيه فواكه العنب، والتفاح، والدلاع، والبطيخ.

١-٥: آبارُ ظَهْر الحِمار[٤]:

ظهر الحمار، ويسمى عند الأعراب حقل على بسيط من الأرض أحرش مرتفع، يطلع إليه من مسلكين لا يخلوان من صعوبة، وتحته على ساحل البحر أحساء كثيرة في وسط حدائق نخل، وماء ذلك المحل كله طيب، وقد يسمى ذلك المحل في زمننا هذا: حفائر النخل(العياشي، ٢٠٠٦، ج١، ص٢٨٣). وآبار ظهر الحمار حلوة طيبة.

---

(١) سماه القادري، أحمد، في نسمة الآس: بير البارود و بير الصعالك، ينظر: (القادري، ٢٠٢١، ص ٦٩).

(٢) سماه الإسحاقي في رحلته "بير الزعالك" (الإسحاقي، ٢٠١٧، ص٤٧٧). وفي نسمة الآس في حجة سيدنا العباس "يسمى بير البارود وبير الصعالك"، (القادري، ٢٠٢١، ص٦٩). يقول محمد بن عبد السلام الناصري "بئر الصعاليك ويقال له بئر البارود، وهي بئر عادية واسعة مبنية بالحجارة في فلاة من الأرض قليلة الماء مع برودة وملوحة لا يطمع في مائها مع قبحه، إلا الصعاليك ولذلك نسبت لهم .." (الناصري، ٢٠١١م، ج١، ص٤١٣)، (اليوسي، ٢٠٢١م، ص١٠٣).

(٣) آيلة، مدينة معروفة بين الفسطاط ومكة على شاطئ بحر القلزم، وهي أول حد الحجاز بها يجتمع حاج مصر والمغرب (الحموي، ١٩٩٥م، ج١، ص٢٩٢؛ الحضيكي، ٢٠١١، ص٩٤).

(٤) للتوسع أكثر ينظر: (اليوسي، ٢٠٢١م، ص١٠٣؛ الناصري، ٢٠١١، ج١، ص ٣٢٦-٣٢٧؛ الزياني، ١٩٩١، ص٢٢١).

١-٦: آبار الأَمْلِيليح:

الأمليليح أو المُوَيلح بندر كبير على شاطئ بحر السويس في اتجاه مكة والمدينة، يحوي آبارا كثيرة، وماؤه لا بأس به، وهو بساحل البحر، قال عنه محمد بن عبد السلام الناصري: "المُوَيْلِحُ هو بَنْدَر حصين، به وبخارجه آبار كثيرة، منها العذب وغيره، وبه بعض نخل، وهو أكبر البنادر وأجمعها للأعراب" (الناصري، ٢٠١٣، ج١، ص٤٢٦). وقال أحمد الناصري "بندر المويلح المشهور، ورأينا بساحله المراكب من السويس والطور، وبه جملة من الكروم التي تذهب برؤيتها الهموم، وبمخازن القلعة تودع الودائع، وإلى سوقها تساق نفائس البضائع، ومن ثمار تجلبها العرب"(الناصري، ٢٠١٣، ج١، ص٣٢٦-٣٢٧).

١-٧: آبار أمِّ السُّلْطانِ:

بئر في طريق الحج من مصر، تعددت تسمياته؛ فمن الرحالة من يطلق عليها "دارُ السُّلطان" (العياشي، ٢٠٠٦، ج١، ص٢٩٢)، ومنهم من يطلق "بَيَار السُّلطان"(اليوسي، ٢٠٢١، ص١٠٨). وعند الرحالة الحضيكي" أبار يقال لها: أمُّ السلطان، والآن بئر السلطان، وماؤه لا بأس به"(الحضيكي، ٢٠١١، ص ٩٥). وسماها أحمد الناصري بـ"دار أم السلطان، بها آبار عذبة المياه، تستلذه الأفواه، على أنه سخن ولكنه سريع الانفعال للهواء. وهي محدثة وأحلى ما في الدرب من الماء"(الناصري، ٢٠١٣، ص٣٣٣).

١-٨: آبارُ إصْطَبْل عَنْتَرَ:

يحوي آبار محكمة البناء بحجر منحوت، وماؤها حلوا إلى الغاية، إلا أنه ضنين أنزحته الدلاء بسرعة قال العياشي: "ثم قال سرنا إلى مرحلة تسمى اصْطَبْل عنتر...والمسير إليها بين جبال صاعدة، وحدارات وأوعار متقاربة ومتباعدة، وبها أبار عذبة يود كل ظمآن شربة"(العياشي، ٢٠٠٦، ج١، ص٢٩٠-٢٩٣)، قال الحضيكي: "ونزلنا بندرا يعرف بإسطبل عنتر، وفيه آبار، وماؤه لا بأس به"(الحضيكي، مصدر سابق، ص٩٥). قال الشاعر:

إن جئت للإصطبل لا* تغفلْ به عند النزولْ**

واحذرْ من العُرْب الذي* بجباله أبدا تصولْ**

واعلم –فذيتك– أنه* صعبٌ ولكني أقولْ**

قد سُمِّيَ الإصْطَبلُ من * عُرْبٍ به شبه الخيولْ**[1]

١-٩: آبار الوَجْهِ:

تقول العامة "الوشه" بالشين وهو لغة أهل مصر في الوجه. وفي أنس الساري سماه ب" قصبة الوجه، تقع بين جبال خارجة عنها الآبار الكثيرة". قال العياشي: "ومن كُفافة[2] إلى الوَجْه ثلاثة أيام، وهو ماء عذب طيب في أصل جبل...ولكنه ليس في الغزارة والإمكان مثله ...والوَجْه منتصف الطريق على التحقيق"(العياشي، ٢٠٠٦، ج ١، ص٢٩٣). بين مصر ومكة [3]. قال الشاعر:

قد دخلنا بَنْدَرَ الوَجْهِ الذي ***فيه قوتُ كل عام يُختزنْ

وشربنا من مياهٍ عَذُبـــت*شُربها يجلو عن القلب الحَزَنْ**[4]

١-١٠: آبار الأَكْرَه[5]:

قال أبو سالم العياشي في رحلته:"مررنا بالأَكْرَه ظهرا، وهو واد كبير تأتيه السيول من بلاد بعيدة، يذكر أن سيل المدينة المشرفة يصل إليه، وماؤه قبيح جدا، إلا أن يكون عقب سيل فيحسن، وفيه آبار كثيرة وأشجار ملتفة" (العياشي، مصدر سابق، ص ١/ ٢٩٤). أما صاحب نسمة الآس فقد وقف عنده قائلا: "به آبار مُرّة جدا، وقد يوجد في بعضها حلاوة""(القادري، ٢٠٢١، ص ١٠٥). وجاء في رحلة الإسحاقي "وادي (لكرة) ويقال

(١) (العياشي، ٢٠٠٦، ج١، ص٢٩٣؛ اليوسي، ٢٠٢١م، ص٢٢٣).

(٢) كُفافة من كفة الرمل وهي أطرافه، وكل اسم ماء كانت فيه وقعة فهو كُفافة. (الحموي، ١٩٩٥، ج٤، ص٤٦٧). وكُفافة جبل يوجد في منتصف الطريق بين مصر ومكة يوازي جبل وادي سلمى، وماء كفافة: "غزير عذب ما يكاد يرى في البرية مثله عذوبة وصفاء". (اليوسي،٢٠٢١م، ص ١٠٨).

(٣) ينظر في الموضوع: (اليوسي، ٢٠٢١م، ص١٠٩؛ الحضيكي، ٢٠١١م، ص٩٥؛ ابن مليح، ١٩٧٠م ، ص١٤١).

(٤) (العياشي، ٢٠٠٦، ج١، ص٢٩٣؛ ابن الطيب، ٢٠١٤، ص٤٤٢).

(٥) أشار الناصري، محمد بن عبد السلام إلى أن الأكره هو الحفرة التي تجتمع فيها الماء، فيغرف صافيا، فلعل الموضع سمي بذلك ، لأن فيه حفر الماء. (الناصري، ٢٠١١م، ج١، ص٤٣٣).

إنه هو رأس الوادي الذي يخرج في المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام"(الإسحاقي، ٢٠١٧، ص١١٢). قال الشاعر:

يا من أتى أَكْرَهَ في سيره* أبشر بنيل القصد والمنهْ**

لا تَكْرِهِ المكروه في أَكْرَهِ* فبالمكاره حُفَّت الجنهْ**[١]

١-١١: آبار الدَّركين[٢]:

الدَّرْكين منزل الحاج المصري، سمي بذلك لأنه بين درك أعراب مصر وأعراب الحجاز، يطلق عليه المغاربة والمصريين :"الحَنك" والأعراب" عكلة". وتوجد هذه الآبار في نصف الطريق بين مصر ومكة ولا توجد بها ماء.

١-١٢: آبار النَّبَطِ:

النبط: هو الماء المستخرج من الحفر[٣]، وهو بئر في طريق الحاج بعد الحوراء، وهو البئر الذي واجه فيه محمد صلى الله عليه وسلم كفار قريش في معركة بدر[٤]. وهو منهل من المناهل المشهورة، وفيه آبار أربعة محكمة البناء بالحجر المنحوت، ماؤها في غاية الغزارة لقرب عهدها بالأمطار، وماؤها من أعذب المياه وأحلاها، وأجلها وأصفاها، فيكون للحجاج رفق عظيم، ولاسيما إذا لم يكن بالوجه كثير ماء[٥].وأنشد الزين للشهاب ابن أبي حجلة:

مغارَةُ نَبَطِ أَخْصَبَ اللهُ أَرْضَهَا* وَلَا زَالَ يهمي بالمياه بها الجوُّ**

يُقَالُ مَا بَحْرُ الْحِجَازِ لِأَنَّهَا* بِهَا المَاءُ مِثْلَ البَحْرِ لَكِنَّهُ حُلُو**[٦]

(١) (الناصري، ٢٠١١ ،ج ١، ص٤٣٣).

(٢) ينظر: (العياشي، ٢٠٠٦، ج١، ص٢٩٤؛ اليوسي، ٢٠٢١م، ص١١٠).

(٣) (الحموي، ١٩٩٥، ج٥، ص٢٨٥).

(٤) ينظر: (الحموي، ١٩٩٥م، ج٥، ص٤٥٠؛ العياشي، ٢٠٠٦م، ج١، ص٢٩٥؛ اليوسي، ٢٠٢١، ص١١٢؛ أملاح، ٢٠٢١م، ص٧٠-٧١).

(٥) ينظر في الموضوع: العياشي، ٢٠٠٦م، ج١، ص٢٩٥، الناصري، ٢٠١١م، ج١، ص٣٤٠ ، اليوسي، ٢٠٢١م، ص١١٢؛ الحضيكي، ٢٠٢١م، ص٩٦؛ الإسحاقي، ٢٠١٧م، ص٣٢٣).

(٦) البيتان منسوبان لابن أبي حجلة، ينظر: (الجزيري، ٢٠٠٢م، ج٢، ص١٥٨).

وله:

جئنا مغارَةَ نَبْطٍ وَالْمِيَاهُ بِهَا* لِلْوَارِدِينَ بِهَا فِي الْحُجِّ مَا شَاؤُوا**

لَمْ يَزِدْ بَعْدَ صَافِي مَائِهَا ثَمْراً* فِي الدَّرْبِ حَتَّى بَدا فِي يَنْبُعِ الماء**[1]

ويقول الفارضي[2]:

اسقني مِنْ مَاءِ نَبْطِ * لَوْ يَكُن فِي الْعُمْر مرّهْ**

وَدَعِ الْحورَاءَ فَإِنِّي* صِرْتُ أَشْنَاهَا وَأكْرهْ**[3]

وتسمية هذا المنهل: بِنَبَط -كما في غالب الرحل- هو المتداول المشهور الجاري على الألسنة، والأقدمون يسمونه مُغيرة، قال أبو سالم: "والماء المذكور يسمى في هذه الأزمان نبط... والذي ينطق به الكافة في أمثالها وهي كثيرة، مُغَيْرة بفتح الغين المعجمة وياء ساكنة خفيفة وتصغير، مغارة من الغور، وهو الأنسب بالأمكنة المسماة بهذا الاسم والله أعلم" (العياشي، مصدر سابق، ص ٣٢٦-٣٢٧).

١-١٣ : آبار رَابِغ[4]:

رابغ قرية قرب جدة، يوجد بها وادي يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة. كما يوجد بها آبار ونخيل على ساحل البحر، وبها حفائر ماء تنبع، ومزارع بطيخ بتنوع. "وفي رابغ يغتسل للإحرام، ومنه يحرمون وهو دون الجُحفة بمسافة"[5]. قال الشاعر:

تَجَرَّدتُ لَمَّا أن وصلتُ لرابغ* ولَبَّيْتُ للمولى كما حصل النَّدا**

وقلت إلهي عندك الفوز بالغنا* وإني فقير قد أتيت مجرَّدا**[6]

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) العلامة محمد الفارضي الحنبلي، شمس الدين(ت ٩٨١هـ)، عالم بالفرائض، شاعر. من أهل القاهرة. (الزركلي، ٢٠٠٢م، ج٦، ص٣٢٥).

(٣) (ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص ٣٣٤).

(٤) ينظر: (ابن الطيب، ٢٠١٤، ص٤٤٦-٤٤٧، الحضيكي، ٢٠١١م، ص ٩٧).

(٥) اليوسي، ٢٠٢١م، ص١١٧.

(٦) الناصري، ٢٠١٣م، ج١، ص٤٦.

١-١٤: آبار ذي طُوى:

يوجد بئر ذي طُوى بمدخل مكة في المكان الذي بات فيه النبي محمد صل الله عليه وسلم ليلة الفتح، وهذه البئر يشرف عليها من الشرق جبل قُعَيْقِعان، وجهته هذه تسمى اليوم جبل السودان، حرص الحجاج المغاربة على زيارة هذا البئر والشرب من مائها(ابن الطيب، مصدر سابق، ص ٣٧١).

١-١٥: آبار قُدَيْد[١]:

قديد موضع بين مكة والمدينة على نحو ٨٠ميلا، بينهما الجُحْفَة، كثيرة الماء والبساتين. قال ابن كبريت: "وهو وادي فيه آبار ومزارع وقرية لطيفة، وعليه نخيل كثيرة"[٢].(ابن كبريت، ١٩٦٥م، ص٢٤٣).

١-١٦: آبار علي/ بيار علي[٣]:

توجد في منطقة تسمى الحُليفة في قرية بظاهر المدينة النبوية على طريق مكة، بينها وبين المدينة ستة أميال، تقع بوادي العقيق عند سفح جبل "غير" الغربي ومنها تخرج في البيداء تجاه مكة وتعرف اليوم عند العامة "ببئار علي"، حوله أحواض كبيرة يشرب منها الحجيج ويسقون دوابهم، ويغتسلون في مياهها، ويحرمون اعتبارا من هذا الموقع.

١-١٧: آبار عُسفان:

عُسْفانُ : قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع بين مكة والمدينة على ستين ميلا من مكة شمالا، وهي "مجمع ثلاث طرق مزفتة: طريق إلى المدينة، وقبيله إلى مكة، وآخر إلى

(١) ينظر: (الحربي، ١٩٦٩م، ص٤٥٩،؛ الحموي، ١٩٩٥م، ج٤، ص٣١٣؛ ابن الطيب، ٢٠١٤، ص٣٦١. قال البلادي: "قُديد: قرية بأعلى وادي أرن من ديار بني عبد الله من مطير، فيها زراعة، وفيها مدرسة ومسجد". (البلادي، ١٩٨٢م، ج١٠، ص١٣٥٦-١٣٥٩).

(٢) (ابن كبريت، ١٣٨٥هـ، ص٢٤٣).

(٣) ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص٤٦٥؛ ينظر: جلبي، ١٩٩٩م، ص١٦١؛ البلادي، ١٩٨٢م، ص١٠٣-١٠٤؛ شراب، ١٩٨٥م، ص ١٠٣).

جدة"(البلادي، ١٩٨٢، ص٢٠٨)[١]، قال العياشي: "قرية عسفان وبها البئر التي تفل فيها سيد البشر، وهي بئر من شرب من مائها زال عنه الضرر" (العياشي، مصدر سابق، ص١/ ٣١٠). تحوي آبارا وبركا مائية كبيرة (ابن الطيب، مصدر سابق، ص٣٦٦).

١-١٨ آبار الرَّوْحَاء[٢]:

تسمى اليوم "بير الرحا" و"بير الراحة"، تبعد عن المدينة بأربعين ميلا[٣].ظلت الروحاء أو بئر الروحاء محطة عامرة على مر العصور، ولما جاءت السيارات خف أمر الروحاء وتقدمت جارتها/ بلدة المسيجيد، فصارت عامرة ، وتوجد بها اليوم مقاه وحوانيت، ويحرص الحجاج المغاربة على التروي من بئر الروحاء وكانت تسمى بئرها قديما ب(سجسج). قال ابن الرضية:

إذَا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَايَ قَالَ صَحَابَتِي* لَقَدْ أَوْلَعْتَ عَيْنَاكَ بِالهَمَلَانِ**

أَلَا فَـــــاحْمِلَانِي بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا*إِلـى حَاضِرِ الرَّوْحَاءِ ثُمَّ دَعَانِي[٤]**

١-١٩ آبار المدينة السبعة[٥]:

توجد سبعة آبار مشهورة بالمدينة لخصها الزين المراغي في بيتين هما[٦]:

إذا رمتَ آبارَ النبي بطيبة* فعدتها سبْعٌ مقالا بلا وهنِ**

أريس وغرس وبضاعة*كذا بصَّة قل بير حاء مع العهن**

✓ **بئر أريس**: توجد في حديقة غربي مسجد قباء قريبا منه وماؤها غزير يستقى منه إلى بركة في الحديقة. وقد جعل لمائها نفق من أسفلها حتى يتصل ماؤها بالعين الزرقاء.

---

(١) ينظر أيضًا: (الإسحاقي، ٢٠١٧م، ص ٣٦٦).

(٢) ينظر: (البلادي، ١٩٨٢، ص١٤٣).

(٣) (الإسحاقي، ٢٠١٩، ص ٤٦١؛ السمهودي، ١٤١٩هـ، ج٤، ص٨٣).

(٤) البيتان أوردهما الزين الحنبلي في: (الجزيري، ٢٠٠٢، ج٢، ص٢٧٣-٢٧٤)، ونسبهما من قول ابن الرضية، (الإسحاقي، ٢٠١٧م، ص٤٦٢؛ البلادي، ١٩٨٢م، ص١٤٣).

(٥) ينظر تعريف وتوصيف هذه الآبار السبعة في: (الحضيكي، ٢٠١١، ص١٧٠؛ العياشي، ٢٠٠٦، ج١، ص٤١٥).

(٦) ينظر: (السمهودي، ٢٠٠١م، ج٣، ص٩٦؛ العياشي، ٢٠٠٦م، ج١، ص٤١٥).

- ✓ **بئر غَرس**: توجد شرقي قباء على نصف ميل من مسجدها إلى جهة الشمال ؛ وحولها حديقة، وبجانبها مسجد.
- ✓ **بئر بضاعة**، بالقرب من بئر حاء الشمالي، في حديقة كبيرة ذات نخل أقرب أبواب المدينة إليها باب الشامي عن يمين الخارج منه قليلا وحولها مسجد وبركة ماء.
- ✓ **بئر بصة**، بئر قريبة من البقيع على طرق قباء في حديقة نخل على طرف بطحاء ، وماؤها أخضر؛ وفي البصة يوجد بئران: كبرى وصغرى.
- ✓ **بير حاء**، قرب مسجد المدينة، يعرف بقصر بني جديلة؛ وهي على شمال سور المدينة؛ أقرب باب إليها باب البقيع.
- ✓ **بِئْر رومَة**، توجد وسط المدينة بوادي العَقيق، وهي إلى الجُرف أقرب، والطريق إليها على مساجد الفتح، ثم يعدل يسارا إلى ناحية مسجد القبلتين ثم يمر تحت أسفله قاصدا العقيق، فهي هناك وبقربها مزارع.
- ✓ **بئر اليسيرة**: تعرف الآن ببئر العهن، وهي معروفة بالعوالي مليحة جدا منقورة في الجبل وعندها سدرة.

وإلى جانب الآبار السبعة ذكر بئران آخران هما:

- ✓ **بئر السقيا**: توجد في آخر منزلة النقا على يسار السالك إلى بئر علي، وهي بالحرة الغربية وحولها بركة عظيمة يردها الحجاج أيام نزولهم عليها.
- ✓ **بئر زمزم**: وهي قريبة من السقيا على يمين الطريق(الناصري أحمد، مصدر سابق، ص٢/ ٥١٢).

هكذا، إذن تتعدد الآبار بالحجاز والمدينة النبوية وتتنوع،إذ حاولنا في هذا الباب رصد جل الآبار التي مرّ منها الرحالة المغربي، وهي آبار عظيمة منها ما هو كثير المياه عذب فرات، وحلو شراب، ومنها ما هو ملح أجاج، ومنها ما هو جاف ليس به ماء.

٢- العيون والسواقي والمغارات:

شكلت العيون والأودية والآبار والسواقي مصادر مائية في الحجاز، كان لها نصيب الأسد من توصيف الرحالة المغربي؛ فحاجة هذا الأخير إلى الماء ، وإلحاحه عليه، جعله يبحث في كل المسالك التي مرّ بها. وكلما سنحت له الفرصة للارتواء من المناهل المائية إلا وقدّم لها توصيفا دقيقا، ولذلك ألفنا العشرات من العيون والسواقي والآبار تؤثث فضاء الرحلة الحجية منها:

٢-١ : عيون مَديَن(١):

مَدْيَن مدينة قديمة عامرة، بها العيون الكثيرة والأودية المطردة العذبة والأجنة والبساتين والنخيل. من أراد أن يسلك من الشام على فلسطين إلى مكة، سلك جبالا خشنة حتى يصير إلى آيلة، ثم إلى مدين، ثم يستمر به الطريق مع أهل المغرب ومصر. وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام الماء لأغنام شعيب عليه السلام.

٢- ٢: عيون القصَب(٢):

تسمى أيضا **عَيْنونا**(٣)، تقع على الساحل قرب الدرجة ٥/ ٣٨ط، و١٠/ ٣٥. قريبة من مدينة مدين، ماؤها في غاية العذوبة، يجري من بين القصب الفارسي بين نبت مختلف طيب الطعم والرائحة، قال ابن الطيب الشرقي واصفا إياها: "إذا نظر إليها العاجز أذهبت عنه الوصب، الخضر منها نضرة، والأشجار بها منتظمة ومنتثرة" (ابن الطيب، مصدر سابق، ص ٤٣٩). قال الشاعر:

قد وصلنا لعيون القصب*واستراح القلب بعد النصبِ**

وعيون الماء فيها قد جرت*كسيول الغيث بين القصبِ**(٤)

(١) ينظر: (اليوسي ، ٢٠٢١م، ص١٠٦؛ ابن كبريت، ١٣٨٥هـ، ص ١٩).

(٢) ينظر: (ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص٤٣٩؛ الناصري، ٢٠١٣م، ص٣٣١؛ اليوسي، ٢٠٢١م، ص١٠٦).

(٣) ينظر: (البلادي، ١٩٨٣م، ص١٢٣٠-١٢٣١).

(٤) وردت الأبيات في: (الزياني، ١٩٩١م، ص٢٢٢؛ اليوسي ، ٢٠٢١م، ص ١٠٧).

وقال آخر:

قصب الوادي هبوا لي ماءه* ففؤادي فيه حرّ الوصبِ**

أوقفوا بي برهة يا رِفقتي* أتروّى من عيون القصبِ**[1]

٢-٣ العَيْنُ الزَّرْقاء[2]:

تنسب إلى الأزرق مروان بن الحكم، أجراها وهو وال على المدينة المنورة، وأصلها من غربي مسجد قبا، تجري إلى المصلى، وعليها قبة. قال صاحب الرحلة الناصرية الكبرى :" توجد في حديقة قريبة من بئر أريس، وهي كبيرة امتدت بمياه آبار متعددة منها بئر أريس فصارت متبخرة يشخب فيها ميزابان عظيمان من مياه غيرها من الآبار، فاتُّخذت لها أسراب تحت الأرض إلى أن خرجت إلى بطحان، ثم إلى غربي المدينة فقُسِّمت جداول فأُدخل منها إلى المدينة من احْتيج إليه، وبني لها بناء متقن..منها يستقي أهل المدينة كلهم لشربهم"(الناصري، مصدر سابق، ٢/ ٥٠٨).

٢-٤ عين عرفة[3]:

تجري في عرفة عين ماء وأصلها من فوق عرفة إلى جهة جبل طوى بين الطائف ومكة، وتلك العين هي التي بين دور مكة، منها تملأ برك المعلاه مكة، وسقاية المروة، وميضأة المسجد الحرام.

٢-٥ عين الجُدَيْدَة

قال ابن الطيب الشرقي:" ونزلنا مع الصباح في الجديدة ذات المياه الغزيرة والفواكه المديدة، وهي قرية صغيرة بين جبال وحدائق ونخيل، ومضيق يخرج إلى عين جارية يطيب عندها النزول والرحيل وجبالها شامخة عالية، ونخلها وأرطابها متدانية"(ابن الشرقي، مصدر

(١) (اليوسي، ٢٠٢١م، ص ١٠٦؛ الحضيكي ، ٢٠١١م، ص ١١٤).

(٢) يُنظر في الموضوع، (ابن كبريت، ١٣٨٥هـ، ص١٤).

(٣) ينظر: (الحضيكي، ٢٠١١م، ص١٠٢).

سابق، ص٤٦٠). قال أحمد الناصري: "وبهذه القرية/ الجديدة مسجد جامع ببناء متقن تجري العين من تحته.." (الناصري، ٢٠١٣م، ج١، ص٣٦٥).

٢-٦: عين حُنَيْن:

قرية بدر حنين بين مكة والمدينة تبعد عن مكة ب ٩٠ ميلا ، توجد بها عين جارية، ونخيل قال مؤرخ مكة العلامة قطب الدين النهر والي محمد بن أحمد(ت٩٩٠هـ)، "وفي قبالة بدر عين ضعيفة يقال لها عين حنين، تجري في سفح جبل به مزارع ومساكن، وبعض نخيل.."(الجاسر، ١٩٨١، ص٥٢٥).

قال الحضيكي:" ثم مررنا بين جبلين عظيمين / القليب(وهو اليوم نخيل وموضع الشهداء) فنزلنا وراء ذلك الجبلين وفيه عين تجري ونخيل وقرية تعرف الآن ببدر حنين"(الحضيكي، مصدر سابق، ص ١٠٢).

٢-٧ عيون اليَنْبُع:

المقصود به ينبع النخل "يتعلق رأسه على قرابة ٥٠ ميلا من المدينة غربا، ثم ينحدر بين سلسلتين من الجبالِ"[١]، وهو موضع واسع كثير النخل، والفواكه والعمارات والمياه الجارية العذبة، وسمي ينبعا لكثرة ينابيعه، قال الجزيري عبد القادر:" اليَنْبُع منقول من مضارع نَبع الماء، كنصر، إذا ظهر، وهي على أربعة أيام من نواحي المدينة. وقال بعضهم: بها مائة وسبعون عينا"(الجزيري، ٢٠٠٢، ٢/ ١٦٠) أشهرها[٢]:

- ✓ **عين البَرَكة:** تقع بالقرب من ينبع النخل مما يلي الساحل.
- ✓ **عين علي رضي الله عنه،** من إحدى قرى منطقة ينبع النخل. وهي"عين فوارة في خيبر منسوبة لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، لا زالت جارية في وقتنا الحاضر، ينبع ماؤها بغزارة من تحت حجر لا يعرف لها مدى" (البلادي، ١٩٨٢م، ص١٢٢٩). قال الشاعر:

(١) (البلادي، ١٩٨٣م، ص٣٤٠).

(٢) يُنظر: (الجزيري، ٢٠٠٢م، ج٢، ص١٦١-١٦٢؛ البلادي، ١٩٨٢م، ص ١٢٢٧-١٢٣٠).

حبَّذا بَنْدَر يَنْبُوعَ وما* في رُباه من رياض وعيونْ[1]

٢-٨:عين الكَديد[2]:

الكديدُ موضع بين مكة والمدينة، وهو ماء عين جارية عليها نخل كثير، وحولها قبتان، وصهريج. يعرف اليوم باسم (الحَمض) أرض بين عُسفان وخُليص على مسافة٧٠ ميلا، من مكة على الجادة العظمى إلى المدينة، وسمي الحمض لكثرة نبات العصلاء فيها. (البلادي، ١٩٨٢، ص ٢٦٣).

٢-٩: عين تَبوك :

يقول ابن رشيد عن عين تبوك المباركة:" وهذه العين صهريج كبير مطوي بالحجر يجتمع فيه ماء كثير ويخرج منه إلى جفر[3] آخر كبير، يجتمع فيه ماء يسيل من ذلك. وماؤها كثير عذب، فاغتسلنا من هذه العين المباركة وتضلعنا من مائها الطيب المبارك"(ابن رشيد، ٢٠٠٣، ٥/ ١٠).

٢-١٠: عين خُلَيْص:

خليص: واد كثير الماء والزرع، يقع بين جبلين، شمال مكة على مسافة مائة ميل، به عين دائمة الجريان، يشرب منها الحجاج المغاربة. قال ابن الطيب الشرقي:" ألفينا مياهه سائلة، وفواكهه مبذولة لكل سائل وسائلة، وحوله من المزارع، ما يستغني ولو برؤيته الزارع، فاستقى الناس من فساقيه[4]، وتنعم بفواكهه وارده وساقيه، واشترى الناس من دلاعه الشديد الحلاوة، أكثر مما سقوا من مائه الذي لا نظير له في العذوبة واللذة والطلاوة، وقد

(١) قال العياشي:"اليَنْبُع هو أول بلاد الحجاج في الذهاب وآخرها في الرجوع، به حدائق ونخيل وعيون بين زروع تسيح وتسيل.."، (العياشي، ٢٠٠٦م، ماء الموائد، ج١، ص٢٩٩-٣٠٠) قال الحضيكي: "وهي قرى كثيرة ذات نخيل ومياه" (٢٠١١م، ص٩٦).

(٢) (البكري، ١٩٨٣م، ج٣، ص١١١٩؛ الحضيكي٢٠١١م، ص ٩٨).

(٣) الجفر: البئر الواسعة.

(٤) فِسْقيَّة، مفرد: ج فسْقيَّات وفَسَاقيّ: حوض من الرخام ونحوه، مُستدير غالبًا، تتوسّطه نافورة ماء. مسعود، ١٩٩٢م، ص٦٠١)(مادة فسق).

أكثر الرحالون من وصفه"(ابن الشرقي، مصدر سابق، ص ٣٦٣). وفي خُليص عين تجري، وأبنية وقهاوي، وسور، وقد سبق الماء في قنوات محكمة من العين، يفجر عنها في مواضع للسقي والوضوء إلى أن خرج الماء إلى بركة عظيمة تحت القرية لم أر أحلى منها ماء، ولا أعظم(العياشي، مصدر سابق، ١/ ٣٠٨) .

ومما يدخل تحت العيون المائية مغارات مائية أهمها:

- ✓ **مغارات عقبة آيلة:**

قال ابن الطيب الشرقي:"بعد الخروج من العقبة سرنا إلى واد بشاطئ البحر وأحطنا به خبرا، وبجانب البحر مغائر ماؤها عذب فرات، وآبار تسقي منها بسائر الجهات، ورأينا نخلا زاهية، وقلعة حصينة عالية فأقمنا ثلاثة أيام ونحن في زيادة إنعام وذبح أنعام، وقد وردت الفواكه من غزة وأعمالها"(ابن الشرقي، مصدر سابق، ص ٤٧٣). ومدينة آيلة أول حد الحجاز، بين مصر ومكة.

- ✓ **مغارة شُعيب :**

غار به ماء عذب ونخيل وشجر المقل، والأثل والظل والظليل قال الشاعر:

قد وصلنا إلى مغار شعيب*فرأينا المياه كالأنهار**

فاستقينا من مائه واستقينا*وظفرنا بغاية الأوطار**(١)

ومما يدخل في باب العيون المائية مما رصدته ريشة الرحالة المغربي البرك المائية؛ فكثيرة هي البرك التي وصفها، ووقف عندها واردا من منهلها، نكتفي بذكر بعضها على سبيل التمثيل والإشارة:

اسم البركة	مكان تواجدها	توثيقها
بركة الحاج	الطريق الذي يربط مصر ببلاد الشام والحجاز حي الناصرية بالسيدة زينب	الرحلة الحجازية، اليوسي، ص١٠٠

(١) (ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص ٤٣٨)، وردت الأبيات في الترجمانة الكبرى (الزياني، ١٩٩١م، ص٢٢٢).

بركة خُليص	شمال مكة على مسافة مائة كلم عنده مسجد لرسول الله صل الله عليه وسلم	ماء الموائد١/ ٣٠٨
بركة أكره	رأس وادي الأكره الذي يخرج في المدينة	الرحلة الحجازية، ابن الشرقي، ص٤٤٢.
بركة الحنك	نصف الطريق بين مصر ومكة	الرحلة الحجازية، اليوسي، ص١١٠.

٣- المحور الثالث الأودية:

٣-١ : وادي الصَّفْراء[١]:

وادي الصفراء: واد من أودية الحجاز، كثير القرى، والخيوف، إذا خرج الحاج من المدينة إلى بدر فتجاوز (الفريش)، فهو في أول وادي الصفراء، يحوي بساتين، وحدائق، وعيون كثيرة جارية بماء عذب رائق، بين هاتيك المضائق، وبه مزارع حسنة جامعة لأنواع الفواكه من الرطب والموز والبطيخ والعجوة وغير ذلك لم يتبق من تلك العيون سوى القليل. يبعد عن المدينة ب ١١٢ ميلا، تقريبا للمتوجه إلى مكة. من روافده: وادي النازية، ووادي الجيّ، ثم يفيض في وادي الصفراء إلى بدر، ثم إلى البحر(الحربي، ١٩٦٩، ص٤١٤).

قال الشاعر:

ياوادي الصفراء أذكرتنا في جلق عيشتنا الخضرا**

فالراية البيضاء منشورة* إذا ذكرنا وادي الصفرا**[٢]

٣-٢ : وادي مرّ الظَّهْران / وادي فاطمة [٣]:

عرف الوادي قديما بمرّ الظهران، غير أنه في القرن العاشر الهجري سمي بوادي فاطمة، من أودية الحجاز على مقربة من مكة شمالا على مسافة ستة عشر ميلا، يصب في

(١) (ابن الطيب، ٢٠١٤، ص ٤٥٩؛ الحربي، ١٩٦٩م، ص٤١٤).

(٢) (الصفدي، ٢٠٠٢م، ج ٢، ص٢٧٠) .

(٣) ينظر: (الحضيكي، ٢٠١١م، ص ٩٨-٩٩؛ ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص ٣٦٨؛ البلادي، ١٩٨٣م، ص٢٨٨؛ الحربي، ١٩٦٩م، ص ٤٦٥).

البحر جنوب جدة، ومن قراه: الجموم، وبحرة، ويسميه أبو سالم وادي الشريف[١]، وهو واد كبير فيه قرى متعددة ذات نخيل وبساتين وعيون تجري، وأعظمها القرية التي ينزل بها الحاج، وفيها سوق، وعين كبيرة، وبساتين مونقة.(العياشي، مصدر سابق، ١/ ٣٠٨)، تحوي أصنافا من الرطب، والبطيخ.

٣-٣: وادي المُنْصَرَف[٢]

المُنْصَرَفُ، يبعد خمسين ميلا عن المدينة على طريق مكة، يعرف اليوم بِالْمُسَيْجِيدِ، وهو واد يكثر فيه الرمال والكثبان جدب ليس به ماء ولا مرعى، قال الشاعر:

نزل الركب بوادي المنصرَف*وعلى لقياه كم مال صرف**

نحمد الله الذي جئنا له*وجميع الهم عنا منصرف[٣]**

٣-٤: واد النَّازِيَّة[٤]:

واد عظيم قرب المُسيْجيد المعروف قديما بالمنصرَف يدعه المتوجه إلى الصفراء على يمينه وهو يجتمع بوادي رحقان الذي يقطعه المسافر إلى الصفراء قبل أن يصل إلى مضيقها والواديان يشاهدان رأي العين من المسيجيد، على طريق بدر بعد المدينة بنحو خمسين ميلا.(البلادي، ١٩٨٢م، ص٣١١).

٣-٥: وادي العَقِيقِ[٥]:

من أودية المدينة المنورة، يأتيها من الشمال، ويأخذ أعلى مساقط مياهه من جبال قدس ومن حرة الحجاز على قرابة١٤٠ ميلا شمال المدينة. قال عنه أبو سالم العياشي:"يأتي سيله من

(١) وضح الباحث عاتق بن غيث البلادي سبب تعدد تسمية الوادي قائلا: "سمي وادي فاطمة عند الحاضرة، ووادي الشريف عند البادية، وقد خاض الكثيرون في سبب تسميته بوادي فاطمة غير أن سبب تسميته بوادي الشريف معروفة ولعلها تلقي الضوء على سبب تسميته بوادي فاطمة".(البلادي، ١٩٨٥م، ص١٠).

(٢) ينظر: (البلادي، ١٩٨٣م، ص٣٠٣-٣٠٤).

(٣) وردت الأبيات في الترجمانة الكبرى، (الزياني، ١٩٩١م، ص٢١٨؛ ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص٤٣٤؛ البلادي، ١٩٨٣م، ص٣٠٤).

(٤) (شراب، ١٩٨٥م، ص٢٨٥؛ ابن الشرقي، ٢٠١٧م، ص٤٦١؛ البلادي، ١٩٨٣م، ص٣١١).

(٥) ينظر: (البلادي، ١٩٨٣م، ص٢١٣؛ الحربي، ١٩٦٩م، ص٣٤٦).

أماكن بعيدة وربما دام شهرا فأكثر، وأسفله مما يلي الجُرف هو المسمى بالعَرصَة إلى غربي رومةَ، وما فوق ذلك إلى البقيع يسمى العقيق"(العياشي، مصدر سابق، ص ١/ ٤١٧). قال الشيخ محمد بن أبي القاسم بن القاضي:

فيا سائرا يبتغي حجّة* بدرب الحجاز انتبه يا صديق**

فمن أرض مصر إلى مكة* فسهل ووَعْرٌ بكل الطريق**

ففي الرمل تلقى كثير العنا* وفي عقبة تُلفي سوء المضيق**

ولكنك قد لا ترى مثل ما* تراه على أرض وادي العَقيقِ[1]**

٣-٦: وادي القِباب[2]:

القباب موضع بنجد على طريق حاج البصرة، قال عنه الرحالة ابن الطيب الشرقي "وسرنا إلى وادي القباب، وهو واد فسيح في الرحاب تهيم به قلوب الأحباب، ويتذكر به عهد زينب والرباب، لاسيما اجتماع الأصحاب، في موطن البعد والاغتراب" (ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص٤٣٤)، قال الشاعر:

شَاقَنَا وَادي القِباب المُرْتَقِي*في اسْمِهِ وَهُوَ فَسِيح في الرّبا**

فوصلناه وقد قلنا عسى*بعده نأتي إلى وادي قُبـــا[3]**

٣-٧: وادي التّيه[4]:

وادي تيه بني إسرائيل أرض من ريف مصر صلبة رملية، وبها نخيل، وعيون مفترشة، حدّ له بالجفار، وحدّ بجبل طور سينا وما اتصل به، وحدّه بإزاء بيت المقدس وما اتصل به من فلسطين وهو واد واسع الفضا، ليس فيه ماء ترده الأنام، ولا ظل سوى ما ظلل بني إسرائيل من الغمام.

(١) (الناصري، ٢٠١٣م، ج١، ص٤٣٦).

(٢) ينظر: (ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص ٤٣٤؛ الحموي، ١٩٩٥، ج٤، ص ٣٠٣؛ الزياني، ١٩٩١م، ص ٢١٨).

(٣) (ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص٤٣٤-٤٣٥).

(٤) للتوسع ينظر: (ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص ٤٣٥؛ العياشي، ٢٠٠٦ ، ج١، ص٢٧٩).

٣-٨ : وادي سَرف[١]:

واد متوسط الطول من أودية مكة يبعد عن مرّ الظهران بسبعة أميال، يأخذ مياه ما حول الجعرانة شمال شرقي مكة – ثم يتجه غربا، فيمر على اثني عشر ميلا شمال مكة، وهناك أعرس رسول الله بميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها مرجعه من مكة حين قضى نسكه، وهناك ماتت ودفنت سنة ٣٨هـ.

٣-٩ : وادي الزاهر/ جنان مكة[٢]:

قال ابن الطيب الشرقي الفاسي:"وسرنا في مضيق الثنية إلى وادي الزاهر ويسمى جنان مكة، وبه آبار وأشجار، وخضر، وبه قبر يذكر أنه قبر الصحابي المشهور عبد الله بن عمر رضى الله عنهما"(ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص ٣٧٠).

٣-١٠: وادي ذي طُوًى:

واد قريب من مكة ، فيه آبار بين مكة والتنعيم، يغتسل فيه الحجاج بنية دخول مكة.يقع في محيط المسجد الحرام من الناحية الشمالية. يبعد عن الكعبة المشرفة بنحو ٩٠ ميلا.

٣-١١: وادي رُحقان: واد معروف يجتمع سيله وسيل النازية وسيل الجيّ، فتفيض كلها في الصفراء، ويشاهد من قرية المسيجيد في طريق بدر المعبد(شراب،١٩٨٥م، ص ١٢٦)[٣].

٣-١٢: وادي الرَّوحاء: أحد أودية المدينة المنورة، يقع بين مكة والمدينة، وهو من ديار قبيلة الرحلة من حرب فيه بئر معروفة قديماً باسم «بئر الروحاء» و كان النبي صلى الله عليه وسلم ينزل بها إذا أراد العمرة أو الحج أو عند رجوعه من بعض الغزوات(ابن الطيب، مصدر سابق، ص ٤٦١).

وكثيرة هي الأودية التي ذكرها الرحالة المغربي، وما ذكرناه هنا لا يعدو أن يكون – غيض من فيض– يضيق بنا المقام في سردها والتعريف بها.

---

(١) انظر: (شراب، ١٩٨٥م، ص١٣٩؛ البلادي، ١٩٨٣م، ص١٥٦؛ ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص٣٦٩؛ ابن إسحاق، ١٩٦٩م، ص٤٦٧).

(٢) (الفاسي، ١٩٥٦م، ج١، ص٤٤٠)، قائلا: "وهو سبيل المرحوم عبد الباسط فيحطون – أي الحجاج – للاستراحة، ويغتسلون لدخول مكة"كما وصفه (ابن مليح، ١٩٧٠م، ص٧٦).

(٣) ينظر: (ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص ٤٦١؛ شراب، ١٩٨٥، ص١٢٦).

خاتمة:

ختامًا يمكن القول:إن الرحلات المغربية الحجازية شكلت مصدرا هاما من مصادر تاريخ الحجاز؛ إذ اهتم الرحالة المغربي بتقصي الموارد المائية التي تزخر بها منطقة الحجاز. ما دام الماء يمثل عصب الحياة، ونظرا لأهميته في استمرار مسيرة الرحالة، فقد شكل عنصرا أساسا في اختيار طريق الحج وتتبعها، تبعا لخصائص جغرافيا المسار.

لقد أسهم الرحالة المغربي في تقديم إفادات هامة بخصوص الموارد المائية، من خلال الوقوف عليها، ووصف المسالك والمعابر المؤدية إليها، وذكر مسميات الآبار والعيون والسواقي التي يصادفها في طريقه. ففي جميع القرى والمدن التي ينزل بها الرحالة في طريقه إلى الحجاز كان يقدم معطيات جغرافية عنها، ولذلك ألفناه عندما يرحل إلى القاهرة متوجها إلى الحرمين الشريفين عبر الحجاز، يصف المسالك والمعابر وما بها من أودية وآبار وعيون وسواقي وبركات، وَصْف العالم الخبير. إذ يقف عند "الأودية"، و"العيون"و"الآبار"، وعند كل معلم ليملي الرحالة كثيرا من المعلومات والاستطرادات والارتسامات والخواطر، إلى أن يصل إلى الينبع وبدر، ورابغ، ومكة والمدينة وكلها أماكن تعج بالموارد المائية.

لقد حاول الرحالة المغربي أن يقدم للدارس المهتم بتاريخ الجزيرة العربية تصورا شموليا حول أنواع الموارد المائية، وأماكن تواجدها، ونوعيتها؛ المعطى الذي يجعل من كتب الرحلات مصدرا غنيا بالمعلومات الهامة التي تمد الدارس بمادة دسمة حول مصادر الماء بالمناطق التي زارها الرحالة، ومواضعها الجغرافية.

المصادر والمراجع:

الإسحاقي، محمد الشرقي. (٢٠١٧). *رحلة الوزير الإسحاقي الحجازية*. تحقيق: الأندلسي، محمد. ط١. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. المغرب.

أملاح، صفاء. (٢٠٢١). *نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس لأحمد بن عبد القادر القادري*. دكتوراه غير منشورة. كلية الآداب ظهر المهراز، جامعة محمد بن عبد الله، فاس، المغرب.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد. (١٩٨٣). *معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع*. تحقيق: مصطفى السقا. عالم الكتب. بيروت. لبنان.

البلادي، عاتق بن غيث. (١٩٨٢). *معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية*، ط١، دار مكة للنشر والتوزيع. مكة. العربية السعودية.

البلادي، عاتق بن غيث. (١٩٨٢). *معجم معالم الحجاز*، ط١، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة. العربية السعودية.

البلادي، عاتق بن غيث. (١٩٨٥). ط١، منشورات دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، مكة. المملكة العربية السعودية.

الجزيري، عبد القادر. (٢٠٠٢). *الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة*. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

جلبي، أوليا.(١٩٩٩). *الرحلة الحجازية*. ط١. دار الآفاق العربية. القاهرة. مصر.

الحربي، أبو إسحاق. (١٩٦٩). *المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة*، تحقيق: حمد الجاسر. ط١. منشورات دار اليمامة للنشر. الرياض. المملكة العربية السعودية.

الحضيكي، أحمد. (٢٠١١). *الرحلة الحجازية*. ضبط وتعليق: عبد العالي لمدبر. ط١. طبع وتوزيع دار الأمان. الرباط. المغرب

الحموي، ياقوت.(١٩٩٥). *معجم البلدان*. ط١.دار صادر. بيروت. لبنان.

الزياني، أبو القاسم. (١٩٩١). *الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا*، تحقيق: عبد الكريم الفيلالي. ط١. دار النشر المعرفة. الرباط. المغرب.

شراب، محمد.(١٩٨٥). *المعالم الأثيرة في السنة والسيرة*. ط١. دار مكة للنشر والتوزيع. بيروت. لبنان.

الشرقي، ابن الطيب.(٢٠١٤). *الرحلة الحجازية*. تحقيق: نور الدين شوبد. ط١. دار السويدي للنشر. أبو ظبي. الإمارات العربية المتحدة.

العياشي، أبو سالم.(٢٠٠٦). الرحلة العياشية. تحقيق: سعيد الفاضلي، وسليمان القرشي. ط١. دار السويدي للنشر والتوزيع. أبو ظبي. الإمارات العربية المتحدة.

الفاسي، تقي الدين.(١٩٥٦). *شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام*، ط١، مكتبة النهضة الحديثة، مكة.العربية السعودية.

مجموعة مؤلفين.(٢٠٠٦). *السودان وإفريقيا في مدونات رحالة الشرق والغرب*. ط١. دار السويدي للنشر. أبو ظبي. الإمارات العربية المتحدة.

ابن مليح: محمد بن أحمد السراج. (١٩٧٠).*أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب وسيد الأعاجم والأعارب*. تحقيق: محمد الفاسي، مطبعة محمد الخامس، فاس. المغرب.

الموسوي، محمد بن عبد الله. (١٩٦٥). *رحلة الشتاء والصيف*. تحقيق: محمد سعيد طنطاوي. ط٢. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. القاهرة. مصر.

الناصري، أحمد. (٢٠١١). *الرحلة الناصرية*. تحقيق: ملوكي، عبد الحفيظ. ط١، دار السويدي للنشر والتوزيع. أبوظبي. الإمارات العربية المتحدة.

الناصري، محمد بن عبد السلام. (٢٠١٣). *الرحلة الناصرية الكبرى*. تحقيق: المهدي، الغالي. ط١. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. المغرب.

نصار، حسين أدب الرحلة.(١٩٩١). ط١. مكتبة لبنان. الشركة المصرية العالمية للنشر. بيروت. لبنان.

اليوسي، الحسن. (٢٠٢١). *الرحلة الحجازية*. تحقيق: عبد المجيد خيالي، ط١. مطبعة التومي. سلا. المغرب.

الدوريات:

الجاسر، حمد، "رحلات القطبي من مكة إل المدينة"، *مجلة العرب*، السنة ١٦، يونيو ١٩٨١م.

المواقع الالكترونية:

الغفير، محمد. ٢٠٠٣. *الماء في رحلة ابن جبير*. https://www.academia.edu

جامعة الملك سعود
مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها (HSCA)
ردمد (ورقي): ٩٢٧٠- ١٦٥٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٩٨٣١- ١٦٥٨

King Saud University
King Salman's Center For Historical
and Civilization Studies Of Arabian Peninsula
Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia (HSCA)
ISSN: 1658-9270
EISSN: 1658-9831

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، مج(٢)، ع٢، ص١٤٩-١٥٥، جامعة الملك سعود، الرياض (١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م)
Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia, Vol. 2, (2), pp 149-155, King Saud University, Riyadh (1446 H / 2025)

عرض ندوة

اليمن الحضارة والتاريخ

(٢٤-٢٥ أبريل ٢٠٢٤م)

د. صلاح سلطان عبده الحسيني
كبير أخصائي الآثار بالهيئة العامة للآثار والمتاحف، اليمن
salah.alhosaini@gmail.com

مكان الانعقاد: مقر أكاديمية المملكة المغربية بالرباط المملكة المغربية.
تاريخ الانعقاد: ٢٤-٢٥ إبريل ٢٠٢٤
الجهة المنظمة: سفارة الجمهورية اليمنية في المغرب، بالشراكة مع أكاديمية المملكة المغربية

اليوم الأول: الأربعاء ٢٤ إبريل ٢٠٢٤م:

ترأس الجلسة الافتتاحية الدكتور محمد الكتاني، أمين السر المساعد لأكاديمية المملكة المغربية، والتي افتتحت بكلمة الدكتور عبد الجليل لحجمري أمين السر الدائم لأكاديمية المملكة، التي أشاد فيها بالحضارة اليمنية الأصيلة كونها من أقدم الحضارات على مر العصور القديمة، وتركت بصماتها في مجرى التراث الإنساني. وأهمية الموقع الاستراتيجي لليمن جعلها مركزًا مهمًا في التجارة العالمية ونهر متدفق بالعطاءات الإنسانية. تلتها كلمة الأستاذ عز الدين سعيد الأصبحي، سفير الجمهورية اليمنية، والذي قدّم عرضًا حول المشترك الثقافي بين اليمن والمغرب، وأكّد سعادة السفير على أهمية هذه الندوة الدولية مقدرًا مشاركة الباحثين والعلماء الذين وفدوا من اليمن وفرنسا ومن المدن المغربية المختلفة، للمشاركة في

إثراء موضوع الندوة، وتسليط الضوء على جزء من الوجه المشرق لليمن بحضارته التليدة وتاريخه العريق، مجددًا أهمية العلاقات الاستراتيجية الوطيدة بين اليمن والمغرب، الضاربة في جذور التاريخ منذ الهجرات اليمنية القديمة التي انطلقت من الداخل اليمني متجهة إلى عديد المناطق والأقاليم المغربية، ملفتًا إلى التشابه الكبير الذي يصل إلى حد التطابق بين الثقافتين على العديد من المستويات الاجتماعية والعمرانية والتراثية، أعقب ذلك شريط وثائقي بعنوان اليمن مهد الحضارة وعمق التاريخ، للإعلامي محمد بافضل قدّم فيه عن المراحل التاريخية للحضارة اليمنية، وتنوع اللغات القديمة في اليمن، وعن العمارة الطينية التي اشتهرت بها اليمن، وكما أبرز الفيلم التراث اللامادي من فنون وموسيقى.

المحاضرة الافتتاحية كانت للبروفسور جان لامبير، وهو باحث في العلوم الاجتماعية وموسيقى الشعوب متخصص باليمن والجزيرة العربية، بتأريخ الموسيقى العربية – فرنسا والتي كانت محاضرته بعنوان: إسهامات اليمن في الموسيقى العالمية مع عرض موسيقي.

قدّم البروفيسور جان لامبير عرضًا عن الموسيقى في اليمن منذ ثلاثينيات القرن، وذكر فيها شركات التسجيلات التجارية في عدن، واستعرض عدد من المقطوعات الغنائية في الفن الصنعاني والعدني والحضرمي. وأكد لامبير على ضرورة الحفاظ على الموروث الفني الموسيقي وإعطائه أولوية وأهمية باعتباره ذاكرة الشعوب، وذكر عن تجربته في التوثيق وجمع الأسطوانات في روابط عبر الانترنت لحمياتها من الضياع والاندثار. وقدم ملخصًا لأبحاثه حول الموسيقى اليمنية لأكثر من ثلاثين عامًا خصوصًا الأرشيف الصوتي للموسيقى اليمنية من الأسطوانات ذات ٧٨ دورة المسجلة في مدينة عدن بين ١٩٣٥م و١٩٦٠م والتي تمثل ذاكرة موسيقية وطنية لكل اليمن، وعن أهمية العود اليمني هو عود وحيد القصعة منحوت من قطعة خشبية واحدة المسمى بالقنبوس. هذا النوع من العود معرّض لخطر الاندثار، واليمن يقدم لنا شهادات حية عنه حتى نهاية القرن العشرين، وهو يمر حاليًا بمرحلة إنعاش.

اليوم الثاني: الخميس ٢٥ إبريل ٢٠٢٤م

الجلسة الأولى: ترأس الجلسة الدكتور محمد أشركي، عضو أكاديمية المملكة المغربية، والتي كانت بعنوان: اللغات والآثار القديمة في اليمن.

الورقة الأولى كانت للبروفسورة عميدة شعلان أستاذة الآثار والكتابات العربية القديمة في قسم الآثار والسياحة- اليمن، باحثة وخبيرة في اللغات القديمة والآثار اليمنية. والتي قدمت عرضًا بعنوان: لغة وكتابة أهل اليمن قبل الإسلام ... الزبور اليماني أنموذجا. تناولت الورقة لغة وكتابة أهل اليمن قبل الإسلام، وأهمية النقوش اليمنية القديمة لكتابة التاريخ اليمني القديم، وذلك من خلال النقوش المسندية الرسمية، والكتابات الزبورية الشعبية، في محاور عدة، تسلط الضوء على ذكر لغة النقوش اليمنية القديمة في مصادر التراث العربي، وقصة اكتشافها، وفك رموزها، وعرض نماذج مختارة منها. وكتبت نقوشها الرسمية بخط المسند. وكتاباتها الشعبية بخط الزبور اليماني ودونت كتابات الزبور الشعبي على عيدان خشبية أو على عشب النخل، وعلى الحجر والصخور، والمعدن، باللهجة السبئية، والمعينية والحضرمية المكتشفة حتى الآن. ومضمونها يدور حول الحياة اليومية والعملية للناس والمعاملات فيما بينهم، وذلك لسهولة تبادلها بين الناس وحفظها في بيوتهم أو متاجرهم أو معابدهم وحملها من بلد لآخر منها الرسائل الخاصة، والرسائل الرسمية والتجارية، ورسائل ملكية، ورسائل تمثل وثائق إدارية للمعاملات اليومية إلى جانب النصوص التعليمية.

الورقة الثانية للدكتور نوح عبد الله العليمي: أستاذ مساعد علم اللغة والدراسات السامية والشرقية، كلية التربية سقطرى- اليمن، بعنوان اللغة السقطرية وارتباطها باللغات العربية القديمة، وقدم فيها أهمية اللغة السقطرية اللغة المحكية في أرخبيل سقطرى جنوب اليمن والتي تتمتع بعلاقة ووشائج تاريخية ولغوية مع اللغات العربية القديمة، وتعد من اللغات المهددة بالاندثار والانقراض ويتكلم السقاطرة بلغتهم السقطرية في جميع معاملاتهم واستخدامهم في البيت والسوق والعمل وكل مناسباتهم، وطقوسهم وعاداتهم، ولا يستخدمون اللغة العربية إلا في المراسلات الرسمية في الدولة وفي العبادة، ولا زال السقاطرة

يحافظون على لغتهم ويورثونها لأجيالهم وذلك بواسطة تماسك رابطتهم الاجتماعية وحافظهم على عاداتهم وتقاليدهم وكذلك كانت للعزلة والبعد الجغرافي دور في بقاء اللغة السقطرية حية وتعد اللغة السقطرية امتداداً للغة العربية الجنوبية القديمة وهي لغة سامية قديمة ولا زالت اللغة السقطرية محافظة على كثير من السمات والألفاظ السامية القديمة.

الورقة الثالثة للبروفسور أحمد الصديقي، أستاذ التعليم العالي شعبة التاريخ بكلية العلوم الآداب والإنسانية - جامعة الحسن الثاني – المغرب، كانت بعنوان الكتاب المخطوط وخزائن الكتب بالمملكة المغربية واليمن دراسة مقارنة، قدم فيها عرضًا لخزائن الكتب بالمملكة المغربية واليمن التي ظلت ولا زالت فضاءً ميسرًا لسبل القراءة، وطريقًا مفتوحًا لخدمة البحث العلمي والحفاظ على التراث الفكري، وعززت ثقافة الكتابة والتدوين القائمة على توثيق العلم وتقييده ليخلد في بطون الأوراق، وحفظت تراثا مخطوطًا غنيًا رغم العبث الذي طال الكثير منه، وما تبقى ظلّ بيد الخواص أفرادًا وأسرًا أو بالخزائن الرسمية للمخطوطات والكتب كما هو الشأن بالنسبة للخزانة الحسنية والمكتبة الوطنية بالعاصمة الرباط، ودار المخطوطات والمكتبة الغربية بالجامع الكبير بالعاصمة صنعاء، فضلًا عن خزائن كل من الإمام محمد بن الحسين وحسن حيدرة الذماري والحسن بن علي حنش والإمام أحمد بن المنصور وعبد الرحمن العمراني وأحمد الكبسي وحسين حلمي باشا والإمام يحيى ملك اليمن.

الورقة الرابعة للبروفسور جمال محمد ناصر الحسني، أستاذ آثار وحضارة اليمن القديم عميد كلية الآداب جامعة عدن اليمن، بعنوان لمحة عن الفن اليمني القديم الفنون الصغرى، قدم خلالها لمحة عن الفن اليمني القديم، الذي تميز بملامح فريدة، تعكس تاريخ اليمن وحضارته، التي تمتد لآلاف السنين؛ التي نجدها على الرسوم الصخرية المنتشرة في كثير من المواقع الأثرية. وقد أظهرت اللقى الأثرية من منحوتات وزخارف، التي عُثر عليها في أراضي ممالك اليمن القديم، على ممارسة الإنسان اليمني القديم للفنون المختلفة، في العمارة، والفنون الصغرى التي نفذت بالنحت البارز أو الغائر في المنحوتات والزخارف

بأشكال عديدة ومتنوعة، تعكس تطور الحضارة اليمنية وتنوعها، وكذا مدى مهارة الفنان اليمني القديم. وتميز بالتنوع والأصالة، وكان ذا طابع محلي يجسد حياة المجتمع وعاداته، ومعتقداته الدينية، وظهر عليه تأثير البيئة والطبيعة الجغرافية، وكذا الأثر الديني للعقيدة الدينية في اليمن القديم أكثر وضوحًا، على أغلب المنحوتات الفنية المختلفة، التي تعود إلى عصر ممالك اليمن القديم، منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد.

الجلسة الثانية: التراث الحضاري الفكري والمادي لليمن ترأس هذه الجلسة الدكتور مبارك ربيع عضو أكاديمية المملكة المغربية.

الورقة الأولى في هذه الجلسة كانت مشتركة بين البروفسور لحسن تاوشيخت، أستاذ التعليم العالي بالمعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث – المغرب، والدكتور يحيى لطف العبالي، أستاذ مساعد للتراث الثقافي -جامعة حجة- اليمن، تجليات التراث المائي بين اليمن والمغرب. وكان ملخصها أن هناك تشابها بين الجمهورية اليمنية وجهات عديدة من المملكة المغربية شبهًا كبيرًا في التراث المائي الذي يتمثل في المنشآت المائية بتعددها وتنوعها سواء كانت سطحية مثل البرك (المطافي) المواجل السدود السواقي والقنوات أو جوفية مثل الغيول، العيون الخطارات كظائم – أفلاج)، آبار؛ فهي تراث مادي مهم من حيث أساليب ومواد وطرز البناء لهذه المنشآت تختلف باختلاف البيئات الجغرافية، كما تتجلى في التراث الثقافي غير المادي من حيث المهارات المرتبطة بالحرف التقليدية المائية، والأعراف المسيرة لآليات اشتغال المنظومة المائية والممارسات الاجتماعية والطقوس والمعتقدات المصاحبة لجمع الماء وتوزيعه. وتركزت الورقة على نماذج من التراث الثقافي المائي بين اليمن والمغرب ونماذج من التراث الثقافي المائي غير المادي بين اليمن والمغرب وعرض أوجه الشبه والاختلاف بين التراث الثقافي اليمني والمغربي.

الورقة الثانية كانت للبروفسور محمد لمراني علوي، أستاذ التاريخ والحضارة بالكلية متعددة التخصصات، الرشيدية – المغرب، قدم ورقة بعنوان العمارة التقليدية اليمنية والعمارة الطينية بواحة تافيلالت الخصائص والمميزات، بين خلال هذه الورقة العمارة اليمنية التقليدية

الطينية – من حيث خصائصها ومميزاتها، والأدوات والمواد المستعملة في ذلك، مع إبراز نوع من المقارنة مع العمارة الطينية بالواحات المغربية وخاصة واحة تافيلالت وخاصة القصور والقصبات على مستوى مواد البناء والتصاميم المعتمدة، علمًا أن هناك نوع من التشابه على المستوى الطبيعة الجغرافية والمناخية لهذه المناطق، بالإضافة إلى التشابه البيئي والمناخي لهما، مع التأكيد على التلاقح البشري بين المنطقتين منذ فترة الفتوحات الإسلامية وما تبعها من رحلات حجية وعلمية وتجارية بين المغرب الأقصى والمشرق العربي ولعل هذا ما يؤكد وجود بعض العناصر المشتركة بين المجالين، وبالتالي نوع من التأثير والتأثر.

الورقة الثالثة للبروفسور محمد لملوكي، أستاذ التعليم العالي شعبة التاريخ كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر- المغرب بعنوان: عادات وتقاليد يمنية في الاحتفالات والأعياد الدينية من خلال كتب التاريخ والرحلات، قدم خلالها عرضًا عن عادات وتقاليد اليمن الذي يعد من محاضن التراث الشعبي الأصيل في المنطقة العربية لاعتبارات تاريخية وحضارية، تناولته جل كتب التاريخ العام منذ زمن قديم، تهدف هذه المداخلة إلى الإسهام في إبراز غنى الموروث الثقافي لليمن الشقيق وتعدد مشاربه وحوامله مع بعض جوانب الطرافة فيه وتقاطعاته مع موروث بلدان عربية وإسلامية كثيرة، ضمنها بلدنا المغرب.

الورقة الرابعة للبروفسورة عميدة شعلان، أستاذة الآثار والكتابات العربية القديمة في قسم الآثار والسياحة باحثة وخبيرة في اللغات القديمة والآثار اليمينة – اليمن، وهي الورقة الثانية لها في هذه الندوة، والتي كانت بعنوان: الموسيقى والطرب في اليمن القديم في ضوء الشواهد الأثرية والنصوص الكتابية. أوضحت أنه من خلال الشواهد الأثرية، ظهرت لنا مشاهد الرقص والغناء والعزف على الآلات الموسيقية التي رافقت حياة الإنسان اليمني القديم في الرسوم الصخرية، واللوحات الجنائزية والتماثيل، والعملات. كما أمدتنا النقوش اليمنية القديمة بعدد من الألفاظ الدالة على الموسيقى والطرب في اليمن القديم، فالموسيقى كانت حاضرة في كثير من الشعائر والطقوس الدينية في الديانة اليمنية القديمة، وكذلك في الحياة الدنيوية، وما من شك بأن الأناشيد والأغاني التي كانت تؤدى مصحوبة بالآلات

الموسيقية والتي ظهرت جليًا في شواهد القبور، أو في التماثيل البرونزية، أو بهيئة آلات موسيقية منفردة استمرت استخدامها حتى يومنا هذا، كالعود والمزمار، والدّف وغيرها. في محورين أساسيين: المحور الأول: الرقص والغناء. والمحور الثاني: أنواع الآلات الموسيقية، من خلال عرض نماذج لهذه الشواهد الأثرية والكتابية.

وفي ختام الندوة عبّر الحضور عن سعادتهم بنجاح الندوة، آملين أن تكون مفتاح لأنشطة ثقافية وفكرية مقبلة، شاكرين أكاديمية المملكة المغربية على تعاونها، مثمنين جهودها الحثيثة في إنجاح الندوة.

شهدت الجلستين نقاشًا ومداخلات أثراها الحاضرين من المهتمين بالتأريخ والتراث، والباحثيين اليمنيين الدارسين بالجامعات المغربية، وعدد من أبناء الجالية اليمنية بالمملكة المغربية، قدّموا خلالها جملة من التوصيات العلمية، تمحورت حول ضرورة مضاعفة الجهود للمحافظة على التراث الحضاري والفكري واللغوي في اليمن بوسائل التوثيق الحديثة.

يُذكر أن الأكاديمية ستصدر كتابًا يجمع الأوراق العلمية والأبحاث المشاركة في الندوة، ضمن إصداراتها الدورية، لترفد بها المكتبة العربية، ولتكون متاحة للباحثين والمتخصصين والمهتمين بالتراث والتأريخ.

جامعة الملك سعود
مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها (HSCA)
ردمد (ورقي): ٩٢٧٠ – ١٦٥٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٩٨٣١ – ١٦٥٨

King Saud University
King Salman's Center For Historical
and Civilization Studies Of Arabian Peninsula
Journal of Studies in the History and Civilization
of Arabia (HSCA)
ISSN: 1658-9270
EISSN: 1658-9831

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، مج(٢)، ع٢، ص١٥٧–١٦١، جامعة الملك سعود، الرياض (١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م)
Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia, Vol. 2, (2), pp157-161, King Saud University, Riyadh (1446 H / 2025)

عرض لكتاب
الإبـــل
(عطــايا الله)

د. محمود عبد الباسط
كلية الآثار – جامعة القاهرة
mabdelpasset86@cu.edu.eg

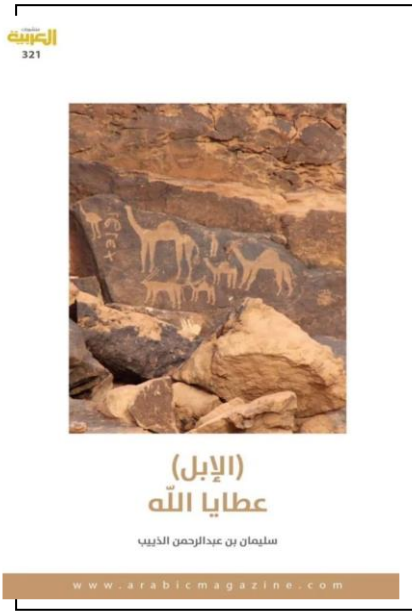

عنوان الكتاب: الإبل (عطايا الله)
المؤلف: أ.د. سليمان بن عبد الرحمن الذييب
الناشر: المجلة العربية (٣٢١)– الرياض
سنة النشر: ١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٤م (الطبعة الأولى)
عدد صفحات الكتاب: ٢٧٢ صفحة
مقاس الكتاب: ١٦,٥×٢٣سم (قطع متوسط)
رقم الإيداع: ٣٢٢١/ ١٤٤٦
ردمك: ٩٧٨ –٦٠٣ –٨٣٢٠ –٧٦ –١

يُعدّ الكتاب الذي بين أيدينا **"الإبل عطايا الله"** من بين عشرات المؤلفات العلمية التي أعدّها أحدُ أبرز علماء الكتابات القديمة ليس في المملكةِ العربية السعودية فحسب؛ بل وفي وطننا العربي بأكمله، وهو الأستاذ الدكتور **"سليمان الذييب"** (المستشار الثقافي بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية– الرياض)، وهو من إصدارات المجلة العربية بمناسبة عام الإبل في المملكة العربية السعودية. ويأتي الكتابُ ليسدّ فراغًا كبيرًا في أحد الموضوعاتِ أو الرموزِ المهمّةِ التي ارتبطت بإنسانِ شبه الجزيرة العربية منذ عصور ما قبل

الإسلام ارتباطًا وثيقًا. وقد تضمّن مُدخلًا وأربعةَ فصولٍ، يسبق ذاك وتلك "بين يدي الكتاب"، ومرفق بكلٍ منها عددٌ كبير من النقوش العربية القديمة والأشكالِ والصورِ المُلوَّنة التي زادت من رونقِ الكتاب وقيمته.

استهل المؤلفُ كتابَه بـ **"بين يدي الكتاب"** [ص١٥- ١٦]، وقد أشار فيه إلى الدافعِ الرئيس من وراء تأليفه، والذي بدأ برغبةٍ شخصية في تقديمِ مشاركةٍ علمية (عرضًا مختصرًا عن الإبل في النقوش العربية القديمة ولا سيما الثمودية) ضمن الفعالية الثانية للمروية العربية، ذلك المشروع الكبير الذي وضعت لبِنَاته صاحبةُ السمو الملكي الأميرة "مها بنت محمد الفيصل"، ثم ظهر إلى النورِ بدعمِ ومساندةِ قائد مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية وربّانه صاحب السمو الملكي الأمير "تركي بن فيصل آل سعود".

يلي ذلك مدخلٌ [ص١٧- ٣٢] استَعرضَ فيه العلاقةَ الوثيقة بين العربي والجمل عبر العصور القديمة السابقة للإسلام واللاحقة، احتل فيها الصدارةَ في عقلِ العربي وقلبه؛ فراقبَه في جميعِ مراحله العمرية، ودفنه بعد مماته. ثم انتَقلَ إلى الحديثِ عن أقدمِ الشواهد الأثرية (من معثورات وبقايا عظمية وفنون صخرية) التي تؤكد معرفةَ الإنسان بالجمل داخل شبه الجزيرة العربية بصفة خاصة وفي منطقة الشرق الأدنى بصفة عامة، وهي دلائل ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ. ومشيرًا بعد ذلك إلى أهم السمات الجسمانية التي تمتع بها الجمل فساعدته أنْ يكون سفينةَ الصحراء للنقل والمواصلات، وإلى الشرف الذي ناله هذا المخلوق العظيم بحديثه مع رسولنا الكريم ﷺ، ثم العناية التي لاقاها من العربي قديمًا وحديثًا، إلى جانب عدد من التوصيات التي دعا إليها المؤلفُ خلال مشاركاته العلمية سابقًا (مثل وجود هيئة ومتحف للإبل...وغيرها). وقدَّم تاليًا عددًا من الأدلة في محاولة منه للمشاركة بتقديم إجابة عن السؤال الرئيس المطروح دائمًا: متى بدأ استئناس الإبل؟ وكذلك سؤال: هل عُبِد الجمل أو قُدِّس عند العربي القديم؟

أما الفصل الأول الموسوم بـ **"المُتَحَجِّرات"** [ص٣٣- ٤٠] فقد خصّصه للحديثِ عن نماذجِ المتحجرات المكتشفة للجمل في مختلف أنحاء العالم، ومنها منطقة شبه الجزيرة

العربية (المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة على وجه الخصوص)، ومن قَبلِها التعريف بمفهوم التحجر والعوامل أو الأسباب الطبيعية التي تؤدي إليه، علاوة على ما قدَّمه من منافع، إلى جانب تاريخ أقدم اكتشاف للمتحجرات.

يأتي الفصل الثاني **"الإبل في الفنين الصخري والجداري"** والذي يُعدّ أكبر فصول الكتاب من حيث عدد صفحاته [ص٤١- ٢٠٥]، وعناوينه الفرعية [ثمانية عشر عنوانًا]، ولوحاته المُلوَّنة [٢١٩ لوحة]، ليؤكد على المكانةِ العظيمة التي نالها الجملُ عند سكانِ شبه الجزيرة العربية، وسيطرته على ألبابهم وخيالِ فنانيهم بتصدره النسبة الكبرى -مقارنة بغيره من العناصر- في الأعمال الفنية (الصخرية والجدارية)، والتي تدل بعضُ مناظرها على معرفة العربي القديم للإبل بنوعيها (ذات السنام الواحد، وذات السنامين). وقد أجاد المؤلفُ توظيفَ اللوحات التي جمعها من مناطق مختلفة (المملكة العربية السعودية، سلطنة عُمان، الأردن، سوريا، العراق، مصر، ليبيا، الجزائر)- وإنْ كانت غالبيتها دون شكّ من الأولى بمواقعها المتعددة- فأشار إلى منحوتاتٍ فريدة تمثل الجملَ بأحجامٍ طبيعية، كُشِفت بأحد أهم المواقع الأثرية [الجوف- السعودية]، بجانبِ التعرفِ على كيفية تنفيذ نحت الإبل في الأعمال الفنية، والأساليب المتنوعة (منها التخطيطي/ الإطاري، النقر الكلي أو الجزئي) التي استخدمها الفنان/ النحات في ذلك، مع الإشارة إلى تفاوتِ هؤلاء الفنانين في تنفيذِ أعضاء الجسم، خاصة الرأس والذيل والخُف. وتُظهِر هذه النماذج المختارة على أية حال قدرة العربي ومهارته في تنفيذ أعماله.

انتقل المؤلفُ بعد ذلك للحديثِ عن هجْر البعير وعقْله والأسبابِ المحتملة وراء هذا الفعل، ثم اهتمام العربي بتزيين إبله، تلك الزينة التي أظهرتها فنونه على البدن والقوائم والرقبة والذيل والشدّاد، وهذا الأخير جنبًا إلى جنب مع الهودج قد أُفرِد له عنصرًا مستقلًا. واستعرض تاليًا بالشرح عددًا من اللوحات لتغطي جوانب من حياة الحيوان نفسه مثل الأمومة والغزل والتزاوج أو صراعاته مع بعضه البعض أو مع غيره من البشر أو الحيوانات الأخرى والطيور، وما قد يصيبُه من امتعاضٍ وغضبٍ أظهرته الصرخاتُ المُعبِّرة المُصوَّرة،

ومن بعدها علاقته مع صاحبه [القائد، السائس، الراعي] من خلال مناظر القيادة أو الرعي أو ممارسة الأنشطة الترفيهية (الرقص، والسباقات، والصيد) التي عرفها العربي القديم. كما خُصِّصَت عدةُ عناصرٍ [١٢، ١٤، ١٦، ١٧، ١٨] للحديث عن الأدوار والاستخدامات المختلفة للإبل وعلى رأسها دورها الاقتصادي المميز باعتبارها العمود الفقري للقوافل شريان التجارة والتواصل؛ فهي بمثابة سفن الشحن في وقتنا الحاضر، علاوة على ما خلقته كذلك من محطات تجارية ووظائف لسكان المنطقة وما انعكس بالتالي عليهم من ثروات وغنى، جنبًا إلى جنب مع استخدامها في الزراعة (الحرث) أو في أثناء الإنشاءات المعمارية (نقل الاحتياجات والمؤن)، وكيفية استفادة العربي من عظامها كألواح للكتابة عليها، ومن أوبارها لصناعة النسيج والخيام، ومن جلودها لصناعة قِرَب المياه والأكفان وغيرها. يضاف إلى كل ذلك دورها القتالي في الصراعات والحروب أو الغارات التي تحدث بين القبائل، دون نسيان تعرضها -هي ذاتها- للسلب والنهب أثناء تلك الهجمات القبلية أو هجمات قطاع الطرق واللصوص.

تناول المؤلفُ في الفصل الثالث **"الكتابات والنقوش"** [٢٠٧- ٢٢٣] من كتابه بعضَ المسميات التي أطلقها سكانُ منطقة الشرق الأدنى القديم (وعلى رأسهم الأكاديون والسومريون والآشوريون) على هذا الحيوان بنوعيه (ذو السنام والسنامين)، ومنها لفظة إبل (مع محاولة لتفسير جذور اشتقاقه) وحمار الأرض الصحراوية وحمار البحر والجمل ذو الحدبتين (أودرو)، علاوة على ما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ ارتبطت به، وما ذكرته الكتابات القديمة بخطوطها ولهجاتها ولغاتها المختلفة في شبه الجزيرة العربية والمناطق الحدودية المجاورة (العربية والآرامية والسريانية)، مشيرًا إلى عددٍ من النقوش (الثمودية والصفائية) التي تضمنت ما يفيد ملكية أصحابها -ذكورًا وإناثًا- للإبل، علاوة على تقديمها كنوع من الإهداءات.

يلي ذلك الفصل الرابع **"المعثورات"** [٢٢٥- ٢٥٧] بما تضمنه من لقى أثرية تؤكد على أنَّ الجمل لم يقتصر ظهوره في الأعمال الفنية الصخرية والجدارية؛ بل صُنِعَت بعضُ

الأدوات المعدنية والحجرية والفخارية والطينية (تماثيل، ولوحات، وألعاب، ومباخر، وعملات....إلخ) بهيئته أو على الأقل زُيِّنَت بصورته. كما كانت دفناتُه مع صاحبِه أو في مقبرةٍ مستقلة مجاورة دليلًا جليًا على اعتزاز العربي القديم -كغيره من جيرانه في منطقة الشرق الأدنى القديم- بإبله، وحرصه على أنْ تكون رفيقتَه في الحياة الآخرة. اختتم المؤلفُ كتابَه بقائمةِ المصادر والمراجع العربية (٩١) والأجنبية (٢٠) وعددٍ من المواقع الإلكترونية التي اعتمد عليها.

وأخيرًا فإنَّ هذا الكتاب بمعلوماتِه وأشكالِه ولوحاتِه -التي قاربت الثلاثمائة- وما بذله فيه مؤلفُه من جهدٍ كبيرٍ، يُعدّ إضافةً علمية للمكتبةِ العربية في المجال الأثري- التاريخي عن أحد العناصر القيّمة التي ارتبطت بالعربي القديم؛ بل وأصبحت رمزًا يدل عليه خاصة في العصر الروماني، وهو الإبل التي كرمّها الله سبحانه وتعالى بذكرها في القرآن الكريم في عدةِ مواضع. كما يُعتبر مرجعًا مهمًا للمختصين، وكتابًا نافعًا مفيدًا لغير المتخصصين للتعرفِ على ما لاقاه هذا المخلوق العجيب من اهتمامٍ عند الأجداد بما قدمَّه لهم من منفعة كبيرة في جوانب حياتية مختلفة، الأمر الذي قد يدفع إلى زيادةِ الاهتمام به -وبغيره من رموز أخرى- عند الأبناء والأحفاد.

ولا أدعي كمالَه فهو شأن أي عملٍ بشري آخر لا يخلو من بعض الهنات أو الهفوات التي لا تُقلل من قيمتِه على الإطلاق، وأتمنى من الأستاذ الدكتور **"سليمان الذييب"**، وهو المعروف بسخائه، أنْ يستمر في هذا العطاء ويتحفنا من حينٍ إلى آخر بمثل هذه الأعمال العلمية القيّمة؛ إذ إنّنا -دون شكّ- في وطننا العربي في حاجةٍ ماسةٍ إلى مثل هذه المؤلفات التي نستقي منها معلومات عن تراث الأجداد؛ وذلك من أجل معرفة ماضينا وهويتنا وقوميتنا واستشراف مستقبلنا؛ فلا حاضرَ لأمةٍ دون رجوعِها إلى ذاكرتِها وتراثِها الحضاري والتاريخي والثقافي ونفض الغبار عنه لإحيائه من سباتِه العميق وبعثه للحياة من جديد. ويعتبر إهمالُه وطرحُه في دهاليز وغياهب النسيان جريمةً في حقِّ الأمة وإهدارًا لمجهود سلفها وإضاعةً لمجدها.

Contents

Articles:

- **Hijaz on Algerian pilgrimage narratives during 11-12th centuries AH /17-18th centuries AD**.

  Prof. Nasser Al-Din Saidouni ……..…1

- **Moroccans' Observations in Their Journeys to the Two Holy Mosques Regarding the Scientific Movement During the 12th Century AH /18th Century AD**

  Prof. Benaissa Ahmed Bouyouzan …….....57

- **The Emirate of Prince Al-Qasim bin Al-Hassan bin Ali bin Taraf in Mikhlaf Athar In Light of His Coin Minted in Baysh in the Year 329 AH / 941 AD.**

  Dr. Nayef bin Abdullah Al-Shar'an …...……...….....……..….91

- **Water resources in the Hijaz through the Moroccan Hajj pilgrimageIn the 11-12 centuries AH**.

  Dr. Lghali Benhacoum …….....…...…119

Reviews:

- **Symposium Review "Yemen: Civilization and History (April 24–25, 2024)".**

  Dr. Salah Sultan Abdu Al-Husseini …….....….....….149

- **Book Review "Camels: (God's Gifts)".**

  Dr. Mahmoud Abdel Basset …….....….....….157

Submit the Manuscript

- Manuscripts should be submitted to the journal's email (shcajournal@ksu.edu.sa) and ensure that the guidelines, terms and policies for submission and publication of manuscripts is being followed.
- Worktime: The journal receives scientific research throughout the year.
- Publication Language: Manuscripts may be submitted in Arabic or English and will be published in one of these languages. Writing quality and clarity are essential requirements for publication.

Guidelines Submission

- Manuscripts should be submitted in (Word) and (pdf) file format.
- The email should include the following details(documents-elements):

1- A cover letter addressed to Editor-In-Chief and should include the importance of the research and its hypothesis. Also its relating to the journal's goals (aim) and visions.

2- An abstract of the research in Arabic and English, which should not exceed 200 characters with spaces and 5 keywords.

3- The principle author bio and associate author if any.

4- A declaration form after filling out and sign it. If there is more than one researcher, each researcher fills out the declaration and approves it individually.

Language and Style

1. Compliance with the scientific method by avoiding the passion, redundant and concise.
2. Adopting the clarity, accurate and well formed the ideas and concepts are required.
3. The issues should be addressed in comprehensive approach.
4. Working on achieving the balance and proportion between the elements of the subject.
5. Taking into account the principle of scientific editing (the validity of the language, orthography and punctuation).

Manuscript style and format

1. Page size: A4
2. Margins: (2.5 cm) at the left and right sides of each page, and (3.5 cm) at the top and bottom sides of each page.
3. Use uniform font for the text (Lotus Linotype, 14 points).
4. Use uniform font for the title (Lotus Linotype, 14 points, bold).
5. Use uniform font for the title of figures, images and tables (Lotus Linotype, 12 points, bold).
6. Use uniform font for the comments (Lotus Linotype, 10 points).
7. Use uniform font in the tables (Lotus Linotype, 10 points).
8. Use uniform font for the English text (Times New Roman, 10 points).
9. Use uniform font for the margins in English (Times New Roman, 8 points).

department/center, college, and university), address, email, and phone number).

13. The author's or authors' name(s) or any indication of their identity must not be mentioned implicitly or explicitly anywhere in the body of the manuscript instead.
14. Submitting the manuscript to the journal is to be considered a pledge that the submitted manuscript has not been previously published, is not currently under consideration for publication at another journal, conference proceedings, or similar publication, and will not be submitted elsewhere while it is under consideration at the Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia.
15. The editorial board have the right to run an initial review ensuring the manuscript follows publication regulations.
16. All manuscripts considered for publication must undergo a double-blind peer review in which the author's or authors' names are not revealed to the referees/reviewers and vice versa.
17. Each manuscript must be reviewed by no less than two referees. If two referees have different recommendations, a third referee will be assigned, and their recommendation will determine the final decision.
18. If the referees recommend that a manuscript be revised, the author(s) will be asked to revise and resubmit no longer than 2 weeks.
19. Once a manuscript is accepted for publication by the Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia it cannot be published elsewhere, either electronically or in print, without a written consent from the editor-in-chief.

Publication Regulations & Procedures

1. The journal publishes only original research articles (which has never been published) in Arabic or English in the Field of the history of the Arabian Peninsula and its civilization.
2. Research should be characterized by objective, connected organized, and avoiding use personal pronouns as much as possible.
3. Commitment to the scientific method, originality in writing, Being proficient in language and writing style, and organizing the facts and ideas.
4. Compliance with the origins of scientific research in presenting the facts and value others' perspectives
5. The manuscript must be free from any sort of plagiarism, patch writing, or intellectual property violations.
6. Placed the picture, maps, document in the research as much as possible.
7. Name and introduce the places' names and the people's names accurately, and referring them to the suitable sources and references.
8. The official citation format system used by the journal is the ABA. ABA should be used both for in-text citations and the reference list.
9. Manuscripts should not exceed a maximum of 10.000 words, including the abstracts (both in Arabic and English), keywords, references, and appendices.
10. Each manuscript must be accompanied by two versions of the abstract, one in Arabic and one in English. Each should be within 200 words.
11. Each abstract must be preceded by no more than 6 keywords that represent the major topics and the manuscript addresses.
12. The author(s) must provide the following information both in Arabic and English: name, occupation, specialization, affiliation (e.g.,

- Looking forward to the participation of researchers and post- graduate students, and urging them to further improve and scrutinize their research on the history and civilization of the Arabian Peninsula.
- Attracting researchers in the field of historical and civilizational studies of the Arabian Peninsula.

Correspondence

Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia (SHCA).
King Salman's Center for Historical and Civilization Studies of Arabian Peninsula.
King Saud University.

P.O. Box 2456, Riyadh 11451
Kingdom of Saudi Arabia
Tel.: 011- 4698539

Deposit No. (Print): 1443/9173
ISSN (Print): 1658-9270
Deposit No. (Electronic): 1445/2699
EISSN: 1658-9831

Manuscripts must be sent to the managinig editor at:
shcajournal@ksu.edu.sa
Website: https://shcajournal.ksu.edu.sa/ar

© King Salman's Center for Historical and Civilization Studies of Arabian Peninsula. 1446 AH (2025 AD).

All publishing rights are reserved. No part of the journal may be republished or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording, or via any storage or retrieval system, without written permission from King Salman's Center for Historical and Civilization Studies of Arabian Peninsula/King Saud University.

Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia (SHCA)

A semi-annual refereed scholarly journal in the studies of the history and civilization of the Arabian Peninsula published in the months (October - March) by King Salman's Center for Historical and Civilization Studies of Arabian Peninsula at King Saud University. It is concerned with publishing researches, studies, book reviews, and abstracts of university thesis in Arabic & English.

Vision

Journal aspires to be an international, indexed, accessible electronically, and a pioneer in the field of research publishing in the history and civilization of the Arabian Peninsula. In addition to its endeavor to publish critical studies of the latest Arab and international publications on the history and civilization of the Arabian Peninsula.

Mission

The journal seeks to become a scientific reference for researchers and students of the history and civilization of the Arabian Peninsula, to provide them with knowledge and skills, based on Arab and Islamic culture, and human heritage.

Objectives

- Publishing refereed historical and cultural research in the field of history and civilization of the Arabian Peninsula.

Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia (SHCA)
Peer-Reviewed Academic Journal, Published by
King Salman's Center for Historical and Civilization Studies of Arabian Peninsula/King Saud University

General Supervisor
Prof. Abdullah bin Salman Alsalman
President of King Saud University

Vice General Supervisor
Prof. Nayef Thunayan Al Saud
General Supervisor of King Salman's center for Historical and Civilization Studies of Arabian Peninsula

Advisory Board

Prof. John Hailey
Manchester University

Prof. Ahmed Al-Faya
King Khalid University

Prof. Mohamed Elkahlawy
Cairo University

Prof. Laila Nehme
Sorbonne University

Prof. Saad A. Sammar
Wasit University

Prof. Ahmed Boucharb
Hassan II University

Prof. Mody Abdullah Al-Sarhan
King Saud University

Editor-in-Chief
Prof. Solaiman Abdulrahman Altheeb

Editorial Board

Prof. Khaled A. Al-Bakr
King Saud University

Prof. Abdulrahmn A. Al-Ahmari
King Saud University

Prof. Ahmed M. Ameen
Fayoum University

Prof. Ahmed Al-Jallad
Ohio University

Managing Editor
Dr. Ahmed M. Atwa Abdelhamid

Secretary & Production
Mohammed S. Abdullah **Abdulrahmn M. Al-Jadeed**
Saud M. Al-Tamim

Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia (SHCA)

Peer-Reviewed Academic Journal

Published by

King Salman's Center for Historical and Civilization Studies of

Arabian Peninsula

King Saud University

Volume 2, Issue No.2

March, 2025 AD/ Ramadan, 1446 AH.

https://shcajournal.ksu.edu.sa/ar

shcajournal@ksu.edu.sa

IN THE NAME OF ALLAH

THE MOST GRACIOUS, THE MOST MERCIFUL

King Salman's Center
King Saud University

Journal of Studies in The History and Civilization of Arabia (SHCA)

The Hejaz in Algerian Hajj Journeys During the 11th and 12th Centuries AH / 17th and 18th Centuries AD
Prof. Nasser Al-Din Saidouni

Moroccans' Observations in Their Journeys to the Two Holy Mosques Regarding the Scientific Movement During the 12th Century AH/18th Century AD
Prof. Benaissa Ahmed Bouyouzan

The Emirate of Prince Al-Qasim bin Al-Hassan bin Ali bin Taraf in Mikhlaf Athar In Light of His dinar Minted in Baysh in the Year 329 AH / 941 AD
Dr. Nayef bin Abdullah Al-Shar'an

Water Resources in the Hejaz Through the Moroccan Hajj Journey During the 11th and 12th Centuries AH
Dr. Al-Ghali Benhchoum

Reviews:

- Symposium Review "Yemen: Civilization and History (April 24–25, 2024)".
  Dr. Salah Sultan Abdu Al-Husseini
- Book Review "Camels: (God's Gifts)"
  Dr. Mahmoud Abdel Basset

A semi-annual refereed academic journal - The second volume - Issue (2) - Ramadan, 1446 AH / March, 2025 AD